اللُّغَة العَرَبِيَّة وَ آدابُها

جامعة فردوسي، مشهد — فصلية علمية محكمة

السنة 16- العدد 1 - ربيع 1445 ه.ق - الرقم المسلسل 193/1/36

النسخة العربية

صدى المرأة في شعر أبي العلاء المعري "والخاقاني الشرواني "دراسة نقدية مقارنة — سيد مهدي مسبوق، رسول فتحي مظفري، جواد محمدزاده

تمظهرات الصراع الاجتماعي في رواية «أدركها النسيان» لسناء شعلان بناءً على نظرية لويس كوزر — يوسف متقيان نيا، عبدالوحيد نويدي

وظائف القرية في شعر محمّد عفيفي مطر، دراسة سرديّة في مجموعاته الشعرية الكاملة — شهريار همّتي، حامد پورحشمتي

المرأة العاملة في روايات خولة حمدي (رواية أحلام الشباب... يوميّات فتاة مسلمة، أن تبقى، ياسمين العودة أنموذجا) — محمود آبدانان مهديزاده، حسن دادخواه تهراني، نرجس هاشمي

ظاهرة القرآنيّة في الشعر العراقي الحديث شعر مهدي النَهيريّ أُنموذجاً — عبدالامير دلي مجباس، أحمد رضا حيدريان شهري، يحيى حسن خضير

قراءة صورة الآخر الفرنسي بين النمطين السلبي والإيجابي في الرواية الجزائرية (روايات معمر حجيج أنموذجا) — دانا طالب‌پور، صلاح نجم الدين أمين مجيد

الترقيم الدولي الموحد للطباعة: 7217-2008

الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: 2681-2383

اللُّغَة العَرَبِيَّة وَ آدابُها

السنة 16- العدد 1 - ربيع 1445 ه.ق - الرقم المسلسل 193/1/36

مجلة اللّغة العربية وآدابها

(فصلية علمية محكمة)

الناشر: جامعة فردوسي مشهد

المدير المسؤول: الدكتور سيد حسين سيدي

رئيس التحرير: الدكتور سيد حسين سيدي

هيئة التحرير (حسب الحروف الهجائية):

الدكتور عباس اقبالي ..... (استاذ بجامعة كاشان – ايران)
الدكتور ابوالحسن امين مقدسي ..... (استاذ بجامعة طهران – ايران)
الدكتور احمدرضا حيدريان شهري ..... (استاذ مشارك بجامعة فردوسي مشهد – ايران)
الدكتور محمد خاقاني اصفهاني ..... (استاذ بجامعة اصفهان – ايران)
الدكتور أسعد خلف العوادي ..... (استاذ بجامعة ذي قار – العراق)
الدكتور حسن دادخواه طهراني ..... (استاذ بجامعة الشهيد جمران اهواز – ايران)
الدكتور حجت رسولي ..... (استاذ بجامعة الشهيد بهشتي طهران – ايران)
الدكتور سيد حسين سيدي ..... (استاذ بجامعة فردوسي مشهد – ايران)
الدكتورة بهار صديقي ..... (استاذة مشاركة بجامعة فردوسي مشهد – ايران)
الدكتور عباس طالب زاده ..... (استاذ مشارك بجامعة فردوسي مشهد – ايران)
الدكتورة عناية عثمان ..... (استاذة مشاركة بجامعة ماركوئت – أمريكا)
الدكتور عباس عرب ..... (استاذ مشارك بجامعة فردوسي مشهد – ايران)
الدكتور علي كاطع خلف البصري ..... (استاذ بجامعة الكوفة – العراق)
الدكتور حسين ناظري ..... (استاذ مشارك بجامعة فردوسي مشهد – ايران)

المدير التنفيذي: الدكتورة بهار صديقي (أستاذة مشاركة في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة فردوسي مشهد)

التنقيح الأدبي و المراجعة اللغوية: الدكتور احمدرضا حيدريان شهري، الدكتور حسن خلف، الدكتورة منير زيبايي

تنقيح الملخّصات الإنجليزية: علي نورمندي بور

التصميم والمراجعة والتنضيد: عمادالدّين طالبي مظاهري

العنوان: مجلة اللغة العربية و آدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية للدكتورعلي شريعتي جامعة فردوسي مشهد، إيران

الرقم الهاتفي: 9033629533 98+

البريد الإلكتروني: E-mail:jal@ferdowsi.um.ac.ir **الموقع الإلكتروني:** www.jall.um.ac.ir

وفقًا لكتاب وزارة العلوم والبحوث والتكنولوجيا، منذ عام 1398 ، تم تغيير جميع المجلات العلمية الحاصلة على درجة علمية محكمة إلى درجة علمية.

يتم عرض هذه المجلة العلمية في المواقع التالية

ISC, SID, DOAJ, Google Scholar, Ebsco, Magiran, Civilica, LinkedIn, Academia, Noormags, MIAR

بسم الله الرحمن الرحيم

دانشگاه فردوسی مشهد

اللّغة العربية و آدابها

(فصلية علمية محكمة)

حصلت مجلة «اللّغة العربية و آدابها» على درجة «علمية محكمة» إعتبارا من عددها الأول من قبل وزارة العلوم والبحوث والتكنولوجيا وفق الكتاب المرقم ب٣/١١/١١٩٦ مورّخ ١٣٨٨/٧/٢٠ هـ.ش.

السنة السادسة عشرة، العدد سادس و الثلاثون

ربيع، ١٤٤٥هـ.ق، ٢٠٢٤م

الرقم المسلسل ١٩٣/١/٣٦

يتم عرض هذه المجلة العلمية في المواقع التالية

- ISC
- SID
- DOAJ
- Google Scholar
- Ebsco
- Magiran
- Civilica
- LinkedIn
- Academia
- Noormags
- MIAR

شروط النشر في مجلة اللغة العربية و آدابها بجامعة فردوسي مشهد

تنشـر هذه المجلة أبحاثا مبتكرة ذات الجودة العلمية باللغتين العربية و الفارسـية مرفقة بالملخصـات الانجليزية علي أن تتحقق بالشروط الآتية:

- تخضع المقالات والبحوث لتحكيم سريّ من قبل المحكّمين و أيضا آراء هيئة التحرير لتحديد صلاحيتها للنشر .
- الكتاب يتحملون مسؤولية المعلومات الواردة في مقالاتهم من الناحيتين العلمية القانونية.
- يجب أن يكون البحث متعلقا بالكاتب نفسه.
- يجب أن يكون موضوع البحث مبدعا ولم ينتشر من قبل في أي مجلة
- حجم المقال يجب أن لايتجاوز عن عشرين صفحة

يرتب البحث علي النمط الآتي

- صفحة العنوان : عنوان البحث ، اسم الباحث ، الرتبة العلمية و العنوان و البريد الإلكتروني للكاتب المسؤول.
- حجم الملخص يتراوح بين ٢٥٠-٣٠٠ كلمة مع الكلمات الدليلية في نهاية الملخص.
- يشتمل نصّ المقال على المقدمه، المحاور الأصلية، المباحث الفرعية، التحليل و الاستنتاج، النتيجة وقائمة المصادر و المراجع.

*ملاحظة: يلحق الملخص الإنجليزي في بداية البحث في صفحة مستقلة و يذكر فيه عنوان البحث، معلومات المؤلفين، البريد الإلكتروني للكاتب المسؤول و الكلمات الدليلية.

- تدون قائمة المصادر والمراجع في نهاية المقال حسب الترتيب الهجائي لألقاب المولفين.

يتم إرسال البحث عبر الموقع الالكتروني للمجلة حصرا على أن يتمتع بالمواصفات التالية

- ملف word قياس A٤
- يجب ألايزيد عدد كلمات المقال على٨٠٠٠ كلمة بما فيها الصور و الجداول والإحصائيات، قائمة المصادر و الملخصات يجب أن يراعي الكتاب قواعد الكتابة العربية الصحيحة وخاصة في كتابة الهمزة والياء والشدة والأسلوب الصحيح لاستعمال علامات التنويع والتفريع، حيث تستعمل الأعداد الأصلية للمحاور الأصلية والأعداد المتشعبة للمحاور الفرعية.
- يجب أن تكون الترجمة الإنجليزية للملخص منقحة وعلي يد مترجم بارع متخصص.

يتم التواصل مع المجلة عبر العنوان التالي

الرقم الهاتفي :٩٨ ٩٠٣٣٦٢٩٥٣٣+
البريد الإلكتروني : E-mail:jal@ferdowsi.um.ac.ir
الموقع الإلكتروني: https://jall.um.ac.ir

المحكمون لهذا العدد

١. الدكتور عباس إقبالي..... (أستاذ في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة كاشان)

٢. الدكتور رسول بلاوي.....(أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة خليج فارس)

٣. الدكتور تورج زينى وند..... (أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة رازي كرمانشاه)

٤. الدكتورة كبرى راستگو.(أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة العلوم والمعارف القرآنية في مشهد)

٥. الدكتورة خيرية عچرش ..... (أستاذة مشاركة في قسم اللغة وآدابها بجامعة شهيد چمران)

٦. الدكتورة زهرة قرباني مادواني....(أستاذة مشاركة في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة العلامة الطباطبائي، طهران)

٧. الدكتور عباس گنجعلي.....(أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الحكيم السبزواري)

٨. الدكتورة عزت ملا ابراهيمي..... (أستاذة في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران)

٩. الدكتور روح الله مهديان طرقبه..... (أستاذ مساعد في قسم اللغة وآدابها بجامعة لرستان)

١٠. الدكتور هومن ناظميان..... (أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة خوارزمي)

١١. الدكتور على اكبر نورسيده ..... (أستاذ مشارک في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة سمنان)

قائمة المحتويات لهذا العدد

		الصفحة
صدى المرأة في شعر أبي العلاء المعري والخاقاني الشرواني "دراسة نقدية مقارنة"	سيد مهدي مسبوق رسول فتحي‌مظفري جواد محمدزاده	١-٢٠
تمظهرات الصراع الاجتماعي في رواية «أدركها النسيان» لسناء شعلان بناءً على نظرية لويس كوزر	يوسف متقيان نيا عبدالوحيد نويدي	٢١-٣٧
وظائف القرية في شعر محمّد عفيفي مطر، دراسة سرديّة في مجموعاته الشعرية الكاملة	شهريار همّتي حامد پورحشمتي	٣٨-٥٨
المرأة العاملة في روايات خولة حمدي (رواية أحلام الشباب... يوميّات فتاة مسلمة، أن تبقى، ياسمين العودة أنموذجا)	محمود آبدانان مهديزاده حسن دادخواه تهراني نرجس هاشمي	٥٩-٧٤
ظاهرة القرآنيَّة في الشعر العراقي الحديث، شعر مهدي النَهيريّ أُنموذجاً	عبدالامير دلي مجباس احمد رضا حيدريان شهري يحيى حسن خضير	٧٥-٨٩
قراءة صورة الآخر الفرنسي بين النمطين السلبي والإيجابي في الرواية الجزائرية (روايات معمر حجيج أنموذجا)	دانا طالب‌بور صلاح نجم الدين أمين مجيد	٩٠-١٠٤

اللّغة العربية وآدابها (الفصلية العلمية المحكمة)
www.jall.um.ac.ir
الترقيم الدولي الموحد للطباعة: 7217 – 2008
الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: 2681 – 2383

اللّغة العربية وآدابها، السنة السادسة عشرة، العدد ١ (الرقم المسلسل ٣٦)، ربيع ١٤٤٥، صص: ٢٠-١

صدى المرأة في شعر أبي العلاء المعري والخاقاني الشرواني
"دراسة نقدية مقارنة"

(المقالة المحكمة)

سيد مهدي مسبوق (أستاذ في اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة بوعلي‌سينا همدان، همدان، إيران، الكاتب المسؤول)[1]
رسول فتحي‌مظفري (دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة بوعلي‌سينا همدان، همدان، إيران)
جواد محمدزاده (أستاذ مساعد في اللغة العربية وآدابها، كلية الأدب الفارسي واللغات الأجنبية، جامعة مازندران، بابلسر، إيران)

Doi: 10.22067/jallv16.i1.54775

الملخص

تتناول هذه الدراسة موقف الشاعرين أبي العلاء المعري (٣٦٣ - ٤٤٩ هـ) والخاقاني الشرواني (٥٢٠ -٥٩٥ هـ) من المرأة. إن أبا العلاء المعري كان شاعرا كفيف البصر شديد التشاؤم حيث جعله تشاؤمه ساخطا على الحياة الدنيا وأبناءها ولاسيما المرأة. أما الخاقاني الشرواني، فهو من الشعراء الفرس، اشتهر بغموض أشعاره وخفاء معانيها كما اشتهر بتشاؤمه، حيث يرى بعض الدارسين أنه كان من أكثر الشعراء الفرس تشاؤما بالنسبة إلى المرأة. على الرغم من تشاؤمهما وموقفهما السلبي من المرأة إلا أنّ كليهما أولى أهمية بالغة بها وشغلت المرأة مساحة كبيرة في قصائدهما. حاولت هذه الدراسة بالمنهج الوصفي التحليلي وبالاعتماد على المدرسة الأمريكية للأدب المقارن تسليط الضوء على المؤتلف والمختلف في موقف الشاعرين من المرأة كالأم والبنت والزوجة والحبيبة؛ واستعرضت الدواعي الخاصة والعامة التي جعلتهما أن يسلكا مسلك التطرف في العداء على المرأة. توصلت الدراسة إلى أن موقف الشاعرين من المرأة كالأم لا يتخذ طابعا عدائيا ولا يتمثل في الحقد والبغضاء عليها؛ لأنها الملاذ الذي وجدا السكينة في جوارها. أما عن البنت فكلاهما يفرح من موتها، ودفنها وإن اختلفت الدواعي عندهما. ومعاني الغزل تجري عندهما من ضمن أسلوب عام وكان جهد الشاعرين يقتصر على ترديد المعاني القديمة في الغزل وذلك لأن صناعة الشعر في عصرهما لم يقدّر لها أن تستعرض المعاني الجديدة. أما الخاقاني بالنسبة إلى المعرى فقد أكثر من المعاني الغزلية وأجادها.

الكلمات الدليلية: المعري، خاقاني، المرأة، الزوجة، الأم، البنت، الحبيبة.

تاريخ الوصول: ١٤٠٢/٩/١١ تاريخ المراجعة: ١٤٠٢/١١/٢٩ تاريخ القبول: ١٤٠٣/١/٢٤
[1]. الكاتب المسؤول: smm@basu.ac.ir

١. المقدمة

يعبر الأدب عن الجوانب المختلفة من الحياة البشرية ويصور أحاسيسنا ومشاعرنا الذاتية والجماعية وإن دارس الأدب بصورة عامة والشعر بخاصة، في مختلف الأمم، يعتبر الأدب مرآة صافية تنعكس عليها المشاعر الإنسانية والحقائق الاجتماعية وهو مرآة للتعبير عن حالات الشاعر النفسية ونحن نعرف أن الشاعر إنسان غير عادي يمتاز بسمات مختلفة منها الذكاء والموهبة والكفاءة الشعرية وبسبب هذه الموهبة، بوسعه أن يصف لنا ما فطن له ويعبر عن شعوره في عبارة واضحة. إنّ الأدب خلال قرون عديدة من تكوينه، توسع كثيراً وانقسم إلى العديد من الفروع منها ما يسمّى بالأدب المقارن. يقوم هذا الفرع بمقارنة أدب معين مع أدب آخر أو آداب أخرى. إن المقارنة يمكن أن يتم من حيث المضمون والمعنى أو من حيث الأسلوب والطبائع الفنية. من المواضيع المشتركة في آداب الشعوب المختلفة قضية المرأة ومكانتها التي احتلت حيزا واسعا في الأدبين الفارسي والعربي منذ القدم، وكان لها نصيب وافر في دواوين الشعراء.

من جهة أخرى لقد واجه الإنسان على مرّ العصور الحياةَ وما فيها من خير وشرّ وأمل ويأس وفرح وألم، حيث نلاحظ أنّ «النفس البشرية مفطورة على حب الخير، وبغض الشر، ولذلك تجدها تفرح وتستبشر إذا ما سمعت ما يَسُرّها، وتحزن وتنفر إذا سمعت ما يسوؤها» (السميرى والطرطور، ٢٠٠٩: ٢). فبرزت هذه المواجهة في نزعتين أساسيتين تجاه الحياة: النزعة التشاؤمية والنزعة التفاؤلية، والنزعة التشاؤمية من تلقاء ذاتها تؤدّي إلى الأفكار السلبية وأخذ الشاعران "المعرّي والخاقاني" هذه النزعة وأصبح التشاؤم جزءاً هاماً من مضامين أشعارهما حيث احتوى ديوان أشعارهما على الكثير من النصوص التي يمكن توظيفها للتعرف على أسباب ودوافع ذلك وهذه الدوافع تنقسم إلى مجموعتين: أولهما: بواعث ذاتية (خاصة بالشاعرين)، وثانيهما: بواعث خارجية (خاصة ببيئة الشاعرين الاجتماعية) وهناك علاقة مباشرة بين الأزمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وبين رؤية سلبية تجاه المرأة إذ يثبت التأريخ أن سيادة المجتمع الأبوي على الأدب الكلاسيكي قد أدت عموماً إلى وجود موقف سلبي تجاه المرأة «وإن كانت قد تبلورت فكرة كراهية المرأة[١] في عصر أرسطو والإغريق القديمة» (حسينى، ١٣٨٨: ١١٧) غير أننا نرى أن بعض الشعراء على وجه الخصوص في بعض القصائد- علاوة على سيادة هذا الموقف- يقصد إذلال المراة وحط شأنها وينظر إليها كطبقة سفلى.

من ثمّ اخترنا علمين من أعلام الشعر والأدب العربي والفارسي ألا وهما أبو العلاء المعرّي والخاقاني الشرواني بسبب كثرة الحديث عن المرأة في أشعارهما وموقفهما منها. إنّ شخصيتهما وما يتمتعان به من ثقافة أدبية وفكرية جعلت شعرهما في مستوى عالٍ استلفت اهتمام الدارسين العرب والفرس. في الأدب العربي القديم، يبلغ أبو العلاء المعري الذروة في موقفه العدائي من المرأة حيث جسّد المرأة في فلسفته الغامضة كمخلوق خبيث ومحتال وهي أدنى من الرجل شأنا ومنزلة. وفي الأدب الفارسي، يذهب بعض الدارسين إلى أن الخاقاني كان من أكثر الشعراء تشاؤما بالنسبة إلى المرأة. يهدف هذا البحث إلى استجلاء صورة المرأة في شعر المعرّي والخاقاني، فمن ثم ندرس هنا في ضوء المدرسة الأمريكية للأدب المقارن الأفكار المعادية للمرأة عند الشاعرين وتكون لزوميات المعري وديوان الخاقاني أعمدتنا الأولى في هذه الدراسة. أما منهجنا المتبع فيكون قائما على المنهج الوصفي- التطبيقي واتجه البحث في الإطارين: الإطار الأول ندرس فيه سيرتهما الذاتية ونستعرض آراء الدارسين حول موقف الشاعرين من المرأة. أمّا الإطار الثاني فتناولنا فيه صورة المرأة في شعر الشاعرين تحت هذه المحاور: المرأة/البنت، والمرأة/الأم، والمرأة/الزوجة، والمرأة/الحبيبة.

١-١. أسئلة البحث

نحاول في هذه الدراسة أن نجيب على الأسئلة التالية:

١. ما هو السبب الأساسي لنشوء الموقف السلبي من المرأة عند الشاعرين؟

٢. أيهما يبدو أكثر تشددا في هذا المجال وموقف أيهما يبدو أكثر عقلانية؟

٣. ما هي مواطن الائتلاف والاختلاف في أشعارهما؟

١-٢. خلفية البحث

قد عني النقاد والدارسون عناية فائقة بحياة أبي العلاء المعري والخاقاني الشرواني وأدبهما حيث نرى كتبا وبحوثا شتى نشرت عن حياتهما وموقفهما من المرأة منها:

– مقتدائی، محمود: ١٣٨٥ش، «أبو العلاء كيست و چگونه می‌انديشد؟» (من هو أبو العلاء وكيف يفكّر؟) مجلة الثقافة والأدب، السنة الثانية، الربيع والصيف، الرقم ٢ من صفحة ١٣٩ إلى ١٦٤.

– مسبوق، سيدمهدی: ١٣٨٧ش، «بررسی افكار انتقادی ابوالعلاء معری در لزوميات پيرامون مسائل دينی، اجتماعی، اخلاقی و سياسی» (دراسة آراء المعري النقدية في اللزوميات حول القضايا الدينية والاجتماعية والخلقية والسياسية) رسالة الدكتوراة، في جامعة طهران.

– فخرى العبهري، ميسون محمود: ٢٠٠٥م، «النقد الاجتماعي في لزوميات أبي العلاء المعري»، رسالة الماجستير، الأستاذ المشرف إبراهيم خواجة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

– مراني، ناجية: ١٣٥٥ق، «أبو العلاء المعرّي، المرأة في اللزوميات»، مجلّة المورد، العدد ١٨، من صفحة ٣٦ إلى ٤٢.

محمد حزين أحمد مصلح: ٢٠١٢م، «المرأة في شعر أبي العلاء المعرّي» رسالة الماجستير، الأستاذ المشرف: ياسين، عايش خليل، جامعة العلوم الإسلامية.

– بهنام‌فر، محمد واحرارى وفا، صديقه: ١٣٨٩ش، «آيا الخاقانی زن ستيز است؟» (هل يقف الخاقاني موقفا عدائيا من المرأة)، مجلة الأدب الفارسي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تبريز، العدد٢٢٠، من صفحة ٢٩ إلى ٤٢.

– حسينی، مريم: ١٣٨٧ش، «بررسی تطبيقی سيمای زن در آثار خاقانی ونظامی»، (صورة المرأة عند الخاقاني ونظامي دراسة مقارنة) مجلة الأدب واللغة، جامعة شهيد باهنر كرمان، الرقم ٢٣، من صفحة ٨٩ إلى ١١٠.

– كزازی، سيده آناهيتا وصادقيه، بريسا: ١٣٨٨ش، «زن، خاقانی، جان دان» (المرأة: الخاقاني، جون دان)، مجلة دراسات الأدب المقارن، السنة الثانية، العدد ٨، من صفحة ١٣٩ إلى ١٥٨.

جودي نعمتي، أكرم: ١٣٨٤ش، «زن در آينه شعر فارسی (خاقانی شروانی)» (المرأة في مرآة الشعر الفارسي، الخاقاني الشرواني أنموذجا) مجلةة المجلس الثقافي والاجتماعي للمرأة، السنة الثامنة، العدد٢٩، من صفحة ١٧٩ إلى ٢١٨.

أما هذه الدراسة فتميزت في كونها ركزت على البحث عن أسباب نشأة هذا الموقف عند الشاعرين والتحري عن المؤتلف والمختلف عندهما في ضوء المدرسة الأمريكية للأدب المقارن وعالجت المرأة باعتبارها أمًّا، وزوجة، وبنتا، وحبيبة في شعرهما فيما أن سائر الدراسات نظرت إلى صورة المرأة في شعر الشاعرين من دون أن تميز بين المرأة بوصفها أمًّا، وبنتا، وحبيبة ولم نجد دراسة تقارن بين موقفهما من المرأة باعتبارهما الشاعرين ذاع صيتهما في نظرتهما المعادية للمرأة. فمن ثم

هذه الدراسة جديدة في نوعها وتحاول أن تبرز أن موقف الشاعرين من المرأة كالأم وكالحبيبة ليس عدائيا ولا سلبيا خلافا لما ردده الباحثون في نظرتهم الأحادية إلى شعرهما النسوي والتعريف بهما كخصمين للمرأة أمّا، وزوجة، وبنتا، وحبيبة.

٢. نظرة على حياة المعري والخاقاني

إن أبا العلاء المعري شاعر وعالم من العلماء الكبار في القرن الرابع الهجري، اسمه أحمد بن عبد الله بن سليمان أبو العلاء المعروف بالمعري نسبة إلى بلده، "معرة النعمان". ولد لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاثمئة وثلاث وستين في مدينة "معرة النعمان" (ابن خلكان، د.ت، ج١: ١١٣). أصيب في سنته الرابعة بالجدري وذهبت هذه العلة بنور بصره. كانت نشأته في البيت الذي عرف بالعلم والفضل وكان كثير من أقربائه أدباء وشعراء في عصرهم وتولّوا أمور القضاء في مدينتهم (الصفدي، ١٩٨١، ج٧: ٩٧).

فقد الشاعر أباه في ريعان شبابه وأقبل على العلم وأخذ يرتوي من مناهل العلم في مسقط رأسه ثم راح ينهل العلم من حلب وطرابلس وأنطاكية ولاذقية وفي النهاية توجه إلى بغداد سنة ثلاثمئة وتسع وتسعين (عبد الرحمن، د. ت: ٩٠). أعجب الشاعر ببغداد وحظي فيها بالعلوم العربية وتبحر في النحو والحديث، لكن إقامته في بغداد لم تدم طويلا وعاد إلى موطنه وانعزل فيه ما يقرب نصف قرن واختار لنفسه اللقب الذي أحبه كثيرا وهو "رهين المحبسين" (حسين، د.ت: ١٠٨).

يرى كثير من المؤرخين والباحثين أن وفاة والدته كانت سببا لعودته من بغداد إلى المعرة واختياره حياة العزلة (المصدر نفسه: ١٤٤). وحين توفيت والدته رثاها رثاء حارا يرينا إحساسه العميق بالألم والحزن، الأشعار التي تدل على مدى علاقة الشاعر بأمه حتى قيل إن رحلة أمه والخلاف الذي وقع بينه وبين شريف مرتضى جعلاه يعتزل الناس (عبد الرحمن، د.ت: ١٠٨).

على أية حال، بعد عودته إلى المعرة بقي في عقر داره وانزوى عن الناس إلا طلابه الذين كانوا يحضرون في داره لطلب العلم. لم يفكر أبو العلاء في الزواج بتاتا وهذب نفسه بالعبادة وأمسك عن شهوتي البطن والفرج طوال اليوم ولبس خشن الثياب من القطن ولم يتخذ إلا غطاء بسيطا للفراش. «أشعاره مليئة بالمضامين الفلسفية والصراعات الباطنية. تتجاوز مؤلفاته مئة كتاب إلا أنّ معظمها ضاعت إثر الحروب الصليبية وسقوط معرة النعمان» (عرب يوسف‌آبادي وحسيني، ١٣٩٨: ٤). بإمكاننا أن نقول إن نبذة أفكار المعري تنبني على أن هناك رذائل كالجهل والهوى والمكر والاحتيال والنفاق سادت على المجتمع وتخلقت بها أخلاق الناس وإنه لا يرى ذوي السلطان وحاشيتهم إلا رعيلا من الطماعين وقطاع الطرق، «ففي هذا الزمن الذي انهمكت عامة الناس في الفساد، لا يبقى للإنسان إلا سبيل واحد وهو الاعتزال وإكمال مكارم الأخلاق وإتمامها» (مقتدايى، ١٣٨٥: ١٥٦).

أما الخاقاني فهو أفضل‌الدين بديل بن علي الشرواني، ولد في العشرة الثانية من القرن السادس الهجري، وكان والده نجارا وأمه مسيحية. عاش الخاقاني في كنف عمه كافي الدين عمر بن عثمان وهو كان عالما وطبيبا حاذقا وكان متضلعا في جميع علوم عصره. وصل الخاقاني إلى قصر خاقان أكبر أبي الهيجاء منوجهر بن فريدون وأصبح ملك الشعراء عنده وسمّى نفسه بالخاقاني. بعد مدة، توجه الخاقاني إلى خراسان، لكنه عاد إلى خاقان وهو كان في طريقه إلى ري. ما لبث أن ذهب إلى مكة لزيارة البيت الحرام وفي مسيره إليه، مرّ من همدان، والعراق والشام وأنشد ديوان «تحفة العراقين» (ينظر: الخاقاني، ١٣٧٥:

١٢- ١٦). حج الخاقاني مرة أخرى البيت الحرام، وحين رجع من الحج عرف أن المنية وافت ابنه رشيد الدين سنة ٥٧١، وإن هذا الغم شقق قلبه حيث أنشد أشعارا تحسر فيها عليه وبكاه بكلمات مؤثرة وعدد محاسنه. تقوم شهرة الخاقاني على مدائحه وإنه كان رجلاً أبيا، بعيد الهمة متحرراً وهو لم يجعل هذه القصائد للتكسب على الرغم من أنّه كان قريباً من البلاط (إيمانيان، ١٣٩٢: ٢٩). ما لبث أن توفيت أمه فتفجع شاعرنا فعصفت الآلام به وإثر ذلك المصاب انعزل الشاعر عن بهارج الدنيا وزخارفها وعاش في عزلة وانصرف إلى العبادة وصد عن الدنيا ازدراءًا بها وزهد وانخرط في سلك العارفين وسجل اسمه في لائحة الناسكين (الخاقانی: ١٣٥٧: المقدمة). ومن هذا المنطلق نرى أن وفاة الأم كانت سببا لاعتزال الشاعرين عن الناس واختيارهما حياة العزلة. توفي شاعرنا سنة ٥٩٢ للهجرة وخلف لنا أعمالا أدبية منها: ديوان شعره المسمى بـ"تحفة العراقين" ومجموعة رسائله الموسومة بـ"المنشآت".

٣. موقف الشاعرين من المرأة في آثار الدارسين

سبق أن قلنا إن كلا الشاعرين قد انفرد بدراسات مستقلة أجريت حول صورة المرأة في شعرهما. ونرى في بعضها أن الدارسين ركزوا على نماذج من أشعارهما تدل على أنهما وقفا موقفا عدائيا من المرأة وتوصلت هذه الدراسات إلى نتائج كلية منها: «نستطيع القول: إن الخاقاني شاعر له موقف عدائي بالنسبة إلى المرأة. قد نجد في أشعاره نماذج لا نجدها في دواوين سائر الشعراء» (حسيني، ١٣٨٨: ٦٠). وكذلك الأمر بالنسبة إلى أبي العلاء، منه هذا القول: «ويبدو لنا أنّه كان قاسياً على المرأة بما نظم في بعض أشعاره في تجريحها، ونفى الشرف والخلق عنها، حتى إنه ليراها فتنة للرجل تتعرض له بأساليب غواية متعددة؛ بدلالها وزينتها وتمايلها» (فخري العبهري، ٢٠٠٥: ٢٥٧). أمّا الرأي الثاني فيدل على أن الشاعرين ذهبا هذا المذهب بسبب تأثرهما من البيئة الاجتماعية أو حياتهما الشخصية وإن موقفهما من المرأة يضاهي ما نراه عند معاصريهم. كما يقول كاتبا مقالة «آيا خاقانی زن‌ستيز است؟» (هل يقف الخاقاني موقفا عدائيا من المرأة؟): «علينا أن نأخذ بعين الاعتبار بعض العوامل التي تساعدنا في دراسة موقف الخاقاني من المرأة منها: المظاهر الثقافية والاجتماعية السائدة في عصر الشاعر، والبيئة العائلية وتجارب الشاعر الشخصية، والقضايا النفسية وميزاتها، وضروريات المقام، وأسلوب التعبير» (بهنام‌فر وأحراري وفا، ١٣٨٩: ٣٧). يرى الكاتبان في حديثهما عن أسلوب الشاعر وطريقة تعبيره أن هناك نوعا من الفكاهة الاجتماعية في جميع أشعاره التي عبر فيها عن عدائه على المرأة والتي تدل على عدم رضى الشاعر من مكانة المرأة في المجتمع بحيث نراه في هذه الأشعار شاعرا منتقدا شديد الإحساس ينظر إلى المجتمع والعصر نظرة استياء وتعد أشعاره هذه تمردا على الظروف القاسية التي عاشتها المرأة آنذاك وسخرية منها (المصدر نفسه: ٣٨).

ومن الباحثين من يحاول أن يعرّف المعري بأنه عالم مصلح وليس نقده للمرأة ناجما عن الطعن والتشهير وإن البيئة الاجتماعية هي التي جعلته أن يقف هذا الموقف العدائي من المرأة. وفي رأيهم أن آراء المعري عن المرأة ليست إلا صورة من الفساد السائد على المجتمع المطبوع على الغدر والخيانة، والبعيد عن العدل والتسوية. وعندهم أن موقف المعري من المرأة يعكس رؤيته الإصلاحية للمجتمع التي تسعى أن تبعد المرأة من بؤر الفساد والضلال لئلا يكون في المجتمع سبيل إلى الفسق والفجور؛ وإن كانت رؤيته هذه قد تؤدي، إلى سوء الظن والتشاؤم بسبب روحه المتذبذبة لكن يجب أن نعرف أن نقد

المعري لا ينحصر في المرأة، بل يشمل جميع شرائح المجتمع من الحكام والساسة إلى رجال الدين وأصحاب المذاهب المختلفة حتى الأدباء منهم (صدقي، ١٩٨٦: ١١٠؛ يازجي: ١٩٩٧: ٣٤٥).

٤. المرأة في شعر المعري والخاقاني

٤-١. المرأة/ البنت

نجد في لزوميات المعري نماذج كثيرة يدعو فيها الشاعر إلى التحلي بالفضائل الأخلاقية والعطوفة حيث يحذرنا من ذبح الحيوانات وأذاها وفي المقابل، قد نرى أبياتا يدعو فيها الشاعر إلى دفن البنات ويعتبر وأدهن من المكرمات وهذه الأبيات وإن كانت قليلة، لكنها تدل على التعسف على المرأة والنظرة الظالمة إليها، منها قوله:

ودفــنٌ والحــوادثُ فاجعــاتٌ لإحــداهنّ إحــدَى المــكَرُماتِ
وقــد يَفقــدنَ أزواجــاً كرامــاً فيــا للنســوةِ المتــأيِّمــاتِ

(المعري، ٢٠٠١، ج١: ١٩١)

وقد ذهب المعري إلى أبعد من ذلك حين أقر بأن مجيء البنت فيه بؤس وشقاء ليست فيها فائدة ودفنها أحسن من حياتها:

وَدَفــنُ الغانِيــاتِ لَهُــنَّ أَوفــى مِــنَ الكِلَــلِ المــَنيعَةِ وَالخُــدورِ

(المصدر نفسه، ج٢: ٢١٨)

وإليك بيتاً آخر في المعنى نفسه:

إِنَّ الأَوانِــسَ أَنْ تَــزُورَ قُبُورَهــا خيــرٌ لَهــا مــن أَنْ يُقــال عَــرائِسُ

(المصدر نفسه، ج٢: ٢٠)

إن عبد القاهر زيدان في معرض دراسة هذه الأبيات يدافع عن المعري ويبرئه من العداء على النساء في قوله: إذا استطعنا فهم أفكار المعري ورؤيته بالنسبة للموت، تنتفي النظرية التي ترى أن الشاعر دافع عن وأد البنات، ويبدو هذا المعنى أوضح إذا قرأنا البيت الثاني؛ لأنّه بعد أن يتحدث عن فاجعة موت البنات يشير إلى فاجعة أسوأ من الموت وهي فقد الزوج وتأيّمها والذي قد صاح المعرّي وتأوّه على فضيحة هذا الأمر» (زيدان، ١٩٨٧: ٢٨٧). وفي رأيه يختلف الدافع عند المعري حول وأد البنات عن العادات السائدة في العصر الجاهلي، حيث يقول:

ولــو درى المــوؤدُ مــا عنــدنا مِــن نَبــاءٍ مــا عُتِــبَ الوائــدُ

(المعري، ٢٠٠١، ج٢: ٢٨٢)

إن الأبيات التي يدين فيها الشاعر بدوره الحياة والتناسل، خير دليل على هذه الدعوى، وذلك لأنه يرى أن العقم أفضل من الإنجاب والإنسال في الدنيا التي ملئت بالبلايا والمصائب ومن أنجب فقد جنى على نفسه وأولاده:

وَمَــن رُزِقَ البَنــينَ فَغَــيرُ نــاءٍ بِــذَلِكَ عَــن نَوائــِبَ مُسقِمــاتِ
فَمِــن ثُكــلٍ يَهــابُ وَمِــن عُقــوقٍ وَأَرزاءٍ يَجِــئنَ مُصَمِّــماتِ

(المصدر نفسه، ج١: ١٩١)

بينما قعدت الدنيا بمصائبها بالمرصاد للبنين؛ فكيف للبنات اللواتي لا تطيش سهام البلية والخطوب عنهن، فنراه يعد إنجاب البنات بؤسا كبيرا لأبويهن:

وَإِن تُعــطَ الإِنــاثَ فَــأَيُّ بُــؤسٍ تَبَــيَّنَ فــي وجــوهِ مُقَسَّــماتِ
يُــرِدنَ بُعولَــةً وَيُــرِدنَ حَليــاً وَيَلقَــينَ الخُطــوبَ مُلَوَّمــاتِ

(المصدر نفسه، ج١: ١٩١)

ويتبنى الخاقاني موقفا يضاهي موقف المعري من البنات ويعتبر اللحد أفضل ملجأ لهن. وهو يخجل إذا سمع خبر ولادة بنته ويفرح كثيرا إذا نُعي بموتها. وإن القصائد التي أنشدها الشاعر في ولادة بنته وموتها من أهم الأشعار التي دعت الدارسين إلى اعتباره من ألدّ الأعداء للمرأة (بهنامفر وأحراري‌فر، ١٣٨٩: ٣٧). يقول الخاقاني في قطعة لا تتجاوز أربعة أبيات:

ســرفكنده شــدم چــو دختــر زاد بــر فلــک ســر فــراختم چــو برفــت
بــودم از عجــز چــون خــر انــدر گــل بــر جهــان اســب تــاختم چــو برفــت
ماتــم عــمر داشتــم چــو رسـيد عمــر ثــانی شناختــم چــو برفــت
محنتــش نــام خواســتم کــردن دولتــش نــام ســاختم چــو برفــت

(الخاقاني، ١٣٧٥: ٦٢٨)

(ترجمة) «حين أنجبت زوجتي بنتا خجلت من ولادتها إلا أنني رفعت رأسي عاليا حين تُوفيت/ بسبب العجز،كنت كالحمار الذي تورط في الوحل وبعد وفاتها ركبت فرسي وتجولت بها في العالم/ لما ولدت، كنت في مأتم مستديم وعادت لي حياة جديدة حين توفيت/ سمّيتها المحنة في حياتها، والسعادة بعد وفاتها».

ويقول في هذا المعنى المقيت في موضع آخر:

چو دختــر آمـدم از بعـد ايـن چنـين سرشــک چشــم مــن از چشــمه ارس
مرا به زادن دختر غـمی رسيـد که آن نه بــر دل مــن نــی بـر ضميــر کـس
چــو دختــر انــده مــن ديــد ســخت ســه روز عــده‌ی عــالم بداشــت پــس

(المصدر نفسه: ٨٣٤)

(ترجمة) «لما رُزقتُ بنتا بعد مثل هذا الابن تجاوزت دموع عيني ينبوع الأرس/ ولما رُزقتُ بنتا أصبتُ بحزن عميق ما أصاب أحداً قط/ عندما رأت بنتي أنني حزين كالمتصوفة لم تعش في هذه الدنيا سوى ثلاثة أيام».

يقول الأستاذ ميرجلال الدين كزازي في تعليقه على هذه الأبيات وتعليل موقف الشاعر المتشدد من المرأة: كانت الخاقاني ثلاث بنات، بلغت اثنتان منهن وتزوجتا أما صهره الأول شهاب الدين فكان رجلا ظالما سيء الخلق آلم قلب الخاقاني وآذاه. وبعد خمسة أشهر من الزواج، قد بدأ الصهر بالمشاجرة وتحامل على زوجته. في ذلك الوقت، كان الخاقاني بعيدا عن شروان وكتب رسالة إلى صهره ووبخه فيها عريسه بكلام أدبي أنيق استنفد فيها غاية النظم وحشد فيها معاني كنائية. أما هذه الرسالة فلم تُجدِه وفي النهاية أراد الخاقاني من الصهر أن ينسى أن زوجته كانت بنت الخاقاني وقد اشتراها جارية وكتب في رسالة لصهره الآخر: حبّذا لو ماتت بنته بدل ابنه رشيد الدين وما سدت في وجهه الأبواب ليخزى أمام صهره (كزازى، ١٣٨٧ب: ٣٩-٤٠). فمصير بنته الأولى جعله أن يفرح بموت بنته الثانية حين مولدها:

دیـــد در پـــرده دختـــر دگـــرم گفت محنت یکـی بـس اسـت برفـت

(الخاقاني، ١٣٧٥: ٦٢٦)

(ترجمة) «شاهدت بنتي الأخرى خلف الستار، فقالت كفى به محنةً واحدةً فماتت». هنا، يظهر الخلاف جلياً بين فكرة أبي العلاء والخاقاني. يحزن أبو العلاء من ولادة البنين ويصبح أشد حزنا من ولادة البنات؛ لأن البنات في رأيه ضعيفة وانية أمام حوادث الدهر كريشة في مهبّ الرياح. في الواقع تبتني فلسفة أبي العلاء على المخالفة مع الإنسال والإنجاب ولا فرق في ذلك بين الذكر والأنثى.

أما الخاقاني فيفتخر بأبنائه ويتمنى الموت لبناته ويعتبر القبر أفضل من الحياة لهن:

یکـی دو زایند آبسـتنان مـادر طبـع ز مـن بـزاد به یکباره صد هـزار پسـر

یکانیکان حبشـی‌چهـره و یمانـی- هـمه بـلال معـانی، همه اویـس هنـر

مرا چه نقصـان گـر جفـت مـن بـزاد بـه چشم زخـم هزاران پسر یکـی دختر

که دختـری کـه ازینسـان برادران دارد عـروس دهـرش خواننـد و بانـوی

اگرچه هست بدینسان خـداش مـرگ که گـور بهتـر دامـاد و دفـن اولـی‌تـر

اگـر نخوانـدی "نعـم الخـتن" بـرو وگـر ندیدی دفـن البنـات شـو بنـگر

(المصدر نفسه: ٦٦٢)

(ترجمة) «تلد الأمهات الحوامل بطبيعتهنّ واحدا أو اثنين، أما زوجتي فقد أنجبت لي مئة ألف ابن دفعة واحدة/ وجوههم حبشية وأصلهم يماني، جميعهم كبلال في المعنى والأويس في الفن/ إذا أنجبت زوجتي بنتا فلا يلحقني أي عيب؛ لأنها قد أزلقت بالأبصار وولدت بنتاً بعد أن ولدت آلاف ابن / إنما البنت التي لها مثل هؤلاء الإخوة، تدعى عروسة الدهر وعقيلة البلاد/ ولو كانت هكذا، ليقض الله عليها، لأن القبر أفضل عريس لها ودفنها أولى/ إذا لم تقرأ "نعم الختن" فعليك بقرائته، وإن لم تر دفن البنات فعليك برؤيته».

إن كثيرا من أشعاره التي دعت الدارسين إلى تسمية الخاقانى بعدو المرأة يعود إلى حياته الشخصية وهذا العداء لا ينشأ عن رؤية فكرية أو فلسفة خاصة ويعني هذا أن آرائه المتشددة وثيقة الصلة مع أحداث حياته الشخصية والأسرية وربما لم نكن نرى مثل هذه الأشعار المتشائمة للمرأة لو لم ير الشاعر مسؤولية الحياة التي أثقلت كاهل أمه أو ظلم عريسه في حق بنته أو زوجاته اللاتي ماكان بينه وبينهن علاقة ودية. «رؤية الخاقاني إلى العالم سوداء قاتمة وكان شعوره قاتما أيضا وهذه النظرة السوداوية لا تصدر عن التأملات الفلسفية أو الرؤية الصوفية فإنما كان مصدرها الطموحات اللانهائية وخيبة آماله في الدهر» (علی‌زاده، ١٣٧٨: ٧٩).

٤-٢. المرأة/ الأم

إن موقف المعري من المرأة كالأم لا يطبع بطابع عدائي ولا يتمثل في لون من العداء والخصومة وذلك لأنه كان شديد الحب لأمه يقدر شأنها ويبجلها حيث إنه عاد من بغداد إلى معرة النعمان بعد أن نعي بأمه ونظم أشعارا يتحسر فيها على أمه

حيث عدّ النقاد القصائد التي رثا فيها الشاعر لأمه من أفضل المراثي في الأدب العربي ولا شك أن المعري جعل من أمه النموذج الأعلى للنساء، يتحدث عن رقة أخلاقها وطيب منبتها، وإخلاصها وحبها للأبناء:

مَضت وقد اكتهلتُ فخِلتُ أني رَضيعٌ ما بلغتُ مَدى الفطامِ
فيا ركبَ المنون! أما رسولٌ يبلِّغ روحَها أرَجَ السَّلامِ

(المعري، ١٩٨٧: ١٦٦)

إن نظرة أبي العلاء إلى المرأة لم تنشأ عن فلسفة خارجة عن ذاته وإنما موقفه منها كان ناجما عن فساد الرأي العام في عصره بالنسبة إلى المرأة ولكنه حين ينظر إلى المرأة كأم يخرجها من حيز هذه القضية المعقدة، ويجعلها رمزا للتضحية ويفضلها على الأب ويراها أولى بالرعاية وأحقّ بالعطف والشفقة والحنان:

العيشُ ماضٍ فاكرَم والديك به والأمُّ أولى بإكرامٍ و إحسانِ
وحسبُها الحملُ والإرضاعُ تُدمِنُه أمرانِ بالفضل نالا كلَّ إنسانِ

(المعري، ٢٠٠١، ج٢: ٤٤٦)

من الواضح أن المعري عندما يتكلم عن أمه لا يظن بها السوء ولا ينطوي على شك قبيح؛ ذلك لأن المعري كان متأثرا بحبه الشديد لأمه وتعلقه بها وهو ينظر في ذلك إلى أمه التي اجتهدت وكافحت من أجل تنشئته ثم غادرها الشاعر إلى بغداد. هذه الأم عند المعري كانت تمثل نموذجا يختلف عن سائر النساء وهذه النظرة إلى الأم تجعله ألا يصدر أحكاما تسيء إليها. نراه في موضع آخر يطلق لسانه في الإشادة بأمه وثناءها ويذكر ما احتملته الأم في أيام حملها:

وأعطِ أباك النصفَ حيا وميّتا وفضِّل عليه في كرامتهِ الأُمّا
أقلَّك خفّاً إذ أقلتك مُثقلاً وأرضعت الحولينِ واحتملت تمّا
وأَلقتك عن جُهدٍ وألقاك لذَّةً وضمَّت وشمّت مثلَ ما ضمَّ أو شمَّا

(المصدر نفسه، ج٢: ٣٠٧)

يعد المعري استمرار التوالد والتناسل ظلما للبشر فالوالد في نظره هو المسؤول الرئيس لهذا الجناح وإن أنجبت الأم المولود:

على الوُلدِ يجني الوالدُ ولو أنَّهم وُلاةٌ على أمصارِهم خطباءُ

(المصدر نفسه، ج١: ٤٨)

تقول عائشة عبد الرحمن في تفسير هذه العقيدة: «السبب الذي دعا المعري ألا يشرك الأم في الجناية على المولود هو المشقة التي تتحملها الأم أثناء الحمل وكذلك حبها له» (عبد الرحمن، د.ت: ٣٥).

أما الخاقاني فإنه جرى على دروب المعري في حبه للأم. «يبدو من كلام الخاقاني أن أمه كانت جارية مسيحية انتقلت من الروم إلى شروان وهناك أسلمت وتزوجت مع والد الخاقاني علي نجار. لا يزال يذكر الخاقاني من محبة أمّه ورقتها ولا ينساها حتى في أسفاره ورغم انزجاره عن شروان، يشتاق إليها بسبب أمّه» (الخاقاني، ١٣٧٥: ١٠).

يتحدث الشاعر في قطعة شعرية بناها على رديف "الأم" عن ضيق معيشته في أيام حداثته والمشاق التي قاستها أمه لحماية الأسرة ورعايتها. يصرح الشاعر في هذه القطعة بأنه نشأ في رعاية أمه وأكل من عملها وأنها لم تركع لأحد سوى الله:

ای ریـــزه‌ی روزی تـــو بـــوده از ریـــزش ریســـمان مـــادر

خـو کـرده بـه تنگنـای شـروان بـا تنگـی آب و نـان مـادر
زیـر صَـلَف کسـی نرفتـه جـز آنِ خـدای و آنِ مـادر
افسـرده چـو سـایه و نشسـته در سـایه دوکـدان مـادر

(الخاقاني، ١٣٧٥: ٦٦٦)

(ترجمة) «يا من حصل على رزق زهيد بسبب إيثار الأم وكدّها / الأم التي اعتادت على فاقة شروان وقلّة مائها وخبزها. / لم تخنع لأحد سوى الله والأم/ إنك كئيب كالظل وعشت في ظل مغزل الأم».

فإنه مدين لأمه التي أنشأته نشأة طيبة ونجاحه مرهون بدعائها:

حـالات مـن از رضـاش مرضـی حاجـات مـن از دعـاش مقضـی
پـندش هـمه بنـد اختیـارم نصـحش همـه حصـن روزگـارم
آه ار دعـوات او نـبـودی کـارم ز فلـك چگـونه بـودی

(المصدر نفسه: ٢١٤)

(ترجمه) «إن أحوالي ترضى برضاها وحاجاتي تتحقق بدعائها/ ووعظها نياط اختياري ونصائحها حصني أمام الدهر/ آه لو لم يكن دعاؤها لي فكيف كان أمري في الدهر».

ويقول في موضع آخر:

مـادرم کـرد وقـت نـزع دعـا کـه تـو را بانـگ و نـام سـرمد بـاد

(المصدر نفسه: ٦٣٧)

(ترجمة) «دعت لي أمي وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة أن يكون لي صيت طائر وسمعة سرمدية».

يؤمن الخاقاني بدعاء أمّه إيمانا صادقا فمن ثم يكثر من الحديث عن دعائها في شعره وكثيرا ما يستخدم هذا الدعاء في مدائحه كمصدر خياله وتشبيهاته. على سبيل المثال، عندما يتمنى أن يكون ممدوحه سعيدا في حكمه وملكه، يربط هذا الدعاء والتمني باستجابة أدعية الأمهات ويرجو أن يقضي الله حاجته ويلبي دعائه، كما يستجيب دعاء الأمهات (جودي نعمتي، ١٣٨٤: ٥٣).

رأى كاتبا مقالة «آيا خاقانی زن‌ستيز است؟» (هل يقف الخاقاني موقفا عدائيا من المرأة) أن أشعار الخاقاني المناهضة للمرأة نوع من الأدب الساخر وتعبير عن عدم ارتياح الشاعر ورضاه من مكانة المرأة المتردية في المجتمع» (بهنام‌فر وأحراري صفا، ١٣٨٩: ٣٢).

مرا به زادن دختر چه تهنیـت گوینـد؟ که کاش مادر من هـم نـزادی از مـادر!

(المصدر نفسه: ٦٦٢)

(ترجمة) «كيف تهنئونني بمناسبة مولد بنتي؟ لو حبذا ما وُلدت أمي من أمها قط!»

قد أحب كلا الشاعرين أمهما وأخلصا لها المودة أما الفارق بينهما فيكمن في نظرتهما إلى الأم وذلك لأن شعر الخاقاني اقتصر على الإشادة بأمه ولم يتحدث عن سائر الأمهات خلافا للمعري الذي لم يكن شعره حكرا على أمه فحسب وإنما تحدث عن جميع الأمهات واعتبرها جديرة بالتكريم والتبجيل.

٤-٣. المرأة / الزوجة

موقف أبي العلاء من الزواج مشهور، إنه انصرف عن الزواج طوال حياته ورفضه في لزومياته بصراحة كاملة ودعا الناس إلى الزهد وحثهم على العزلة.

اجتَنِبِ النـاسَ وعِـش واحـداً لاتَظـلِمِ القَـومَ ولا تُظـلَمُ

(المعري، ٢٠٠١، ج٣: ١٧٦)

إن الهدف من زواج البنت -في رأيه- هو أن تحيا في رعاية الزوج فيدعو الأبوين إلى تزويج البنات أما الأبناء فيمنعهم عن الزواج ويطلب منهم ألا يخضعوا للزواج:

واطْلُـب لِبنتِـكَ زَوجـاً كَـي يُراعِيَهـا وَخَـوِّفِ ابنـكَ مِـن نَسـلٍ وتَـزويجِ

(المصدر نفسه، ج١: ٣٢٥)

وفي موضع آخر يخاطب الرجال بأن خير النساء للزواج عاقرها التي لا تنجب أبداً، على نحو ما جاء في قوله:

إذا شِـئْتَ يَومـاً وَصـلةً بِقَرينَـةٍ فَخيـرُ نِسـاءِ العـالمينَ عَقيمُهَـا

(المصدر نفسه، ج٣: ٨٤)

ينهى المعري الناس عن الزواج والنسل ويتملص منه لسببين؛ الأول: حرصا على راحة الأبناء من العناء والأذى، لأن النسل في رأيه جناية على الأولاد وشقاء على الوالدين ويرى أن الإنسان كيف يستطيع أن يلقي الولد في دار ملؤها الشقاء والعذاب الذي لن يلبث أن تهلكه وتفسد حياته. والثاني: فقد أبى المعري النسل، تعاطفا بالآباء الذين ابتلوا - من وجهة نظره - بعبء الأولاد الذين قد يكون منهم العدو، أو العاق، كما أشفق أبو العلاء على الولد من جناية والديه، «فإننا نجده يشفق على الوالدين من عقوق أبنائهما ويرى أن الأهل يربون الأولاد ويشقّون بهم ليلاقوا الضغن والحقد، مقابل تعبهم وعنائهم» (فخري العبهري، ٢٠٠٥: ٢٦٤).

فمن ثم نراه تخلى عن الزواج ومات عازبا ومرد ذلك إلى أفكاره السوداوية واعتزاله عن الدنيا وأهلها لا إلى مقته للمرأة. ولما كان المعري، كثيراً ما، يهمل حقوق المرأة ولا يهتم بها إلى حد الزراية والإهانة فالقارئ لشعره لا يتوقع الدفاع عن حقوقها لكن ما حدث كان عكس ما يتصوره ونرى أنه يدافع في أبيات عن حقوق المرأة منها قضية تعدد الزوجات والتزوّج بأكثر من امرأة فخالفه الشاعر وعده نكثا بحقوق المرأة وعاملا لأذاها والألم النفسي، فضلا عن ذلك ينال تعدد الزوجات في رأيه من الرجل نفسه ويجعل حياته جحيما يصاب به الرجل ويبتلى بحسادة الزوجات وكيدهن. يرى المعري أن أتباع الأهواء النفسانية هو العامل الرئيسي لرغبة بعض الرجال في هذا الأمر فينصح الرجال بالصدود عن الزواج كلما أمكن ذلك؛ لأن المرأة عنده كالشهد الذي دونه إبر النحل:

أُشـدُد يـدَيك بمـا أقـولُ فقـولُ بعـضِ النـاسِ دُرُّ
لا تـدنوَنَّ مـن النسـاءِ فـإنَّ غِـبَّ الأرِي مُـرُّ

(المعري، ٢٠٠١، ج١: ٣٩٠)

ثم يخاطب الرجل ويقول له: إذا لم تقبل النصيحة وأردت أن تتزوج فاكتفِ واقنع بإحدى منهن؛ لأنَّ التزوج بأكثر من امرأة لا محالة يؤدي إلى أذى المرأة ويعقبه حزن عميق وأسى موجع:

قـــرانُك مـــا بـــينَ النِّســـاءِ أذيـــةٌ لَـــهُنَّ فـــلا تـــحمل أذاةَ الحرائـــرِ
وإن كنـــتَ غِـــرّاً بالزَّمـــانِ وأهلِـــهِ فتكفيـــك إحـــدَى الآنســـاتِ الغَرائـــرِ

(المصدر نفسه، ج١: ٤٣٨)

ثم يبين لنا أضرارا أخرى لتعدد الزوجات ويحتج فيه بقوله:

متـــى تُشـــرك مـــع امـــرأةٍ ســـواها فقـــد أخطـــأتَ فـــي الـــرأيِ التريـــك
فـــلو يُرجَـــى مـــع الشـــركاءِ خيـــرٌ لَمـــا كـــان الإلـــهُ بـــلا شـــريك

(المصدر نفسه، ج٢: ١٣٣)

وهكذا يحتج في النهي عن تعدد الزوجات: لو كان تعدد الزوجات خيراً من الزوجة الواحدة لكان الإشراك بالله أولى من التوحيد لكنّه ليس كذلك؛ لأنَّ التوحيد أولى وأزكى من الإشراك. من الآثار السيئة الأخرى لتعدد الزوجات هي زرع الضغينة في ضمير النساء وتردي المحبّة في الحياة الزوجية والبرودة في بؤرة الأسرة:

إذا كنـــتَ ذا اثنتـــينِ فاغـــدُ مُـــحارباً عَـــدوَّينِ فاحـــذَر مِـــن ثـــلاثِ ضـــرائرِ
فـــإن هُـــنَّ أبـــدينَ المـــودَّةَ والرِّضَـــى فكـــم مِـــن حُقـــودٍ غُيِّبـــت فـــي السَّرائـــرِ

(المصدر نفسه، ج١: ٤٣٨)

وفي النهاية يقول إذا اخترت يوماً ما الزوجتين فأنصف بينهما وإذا لم تستطع الإنصاف بينهما فلا تتزوج؛ لأنَّ عدم الزواج أفضل وأعدل من تعدد الزوجات:

إذا كنـــتَ ذا اثنتـــين فـــاعدل أو اتّحـــد بنفسِـــك فالتوحيـــدُ أولـــى مِـــن العـــدلِ

(المصدر نفسه، ج٢: ٢٠٨)

والعامل الثاني الذي حمل المعري على الدفاع عن المرأة في الزواج هو توافق الزوجين في العمر؛ لأنه يرى أن نظرة المجتمع غالبا ما تكون قاسية للمرأة التي تتزوج من رجل يصغرها سنا ويعتبر زواج المرأة الشابة مع المسنين سببا لمعاناتها وكثيرا ما يعطي المشورة لمراقبة أوجه التشابه بين الأزواج في العمر (فخري العبهري، ٢٠٠٥م: ٢٦٦). ويقول عن الشيخ الذي اختار شابة للزواج: لا تفتأ زوجته الملولة لا تخضب يدها بالحناء ولا تضع الكحل في عينيها ولو عاشت عيشة رخية فتقول في نفسها: متى يموت هذا الشيخ؟!

وعُرسُـــهُ فـــي تَعَـــبٍ دائـــمٍ لا تخضَـــبُ الكـــفَّ ولا تكتَحِـــل
مَلَّـــت وإن أحسَـــنَ أيّامَـــهُ تَقـــولُ فـــي الـــنَفسِ: مَتـــى يَرتَحِـــل؟

(المعري، ٢٠٠٨، ج٣: ٥٨)

أما الخاقاني فنظرته إلى المرأة أقسى من المعري وهو يرى أن النساء كلّهن عيب وعار وإذا اختارهن الرجال كالزوجات أصبحوا مثلهن وتلطخوا بعارهن وإن المرأة تقع في رأيها أسيرة في يد الرجال في الظاهر أمّا الحقيقة فليست هكذا وإن الرجل هو الأسير الحقيقي:

همه عیبند زنان وانهمه را نیک‌مردان به هنر برگیرند
چون مؤنث به مذکر پیوست گرچه آن حکم مذکر گیرند
لیک چون مرد به زن پیوندد حکم تأنیث قوی‌تر گیرند
صیدِ مرد است زن، اما به زبان مرد را صید نگون سر گیرند

(الخاقاني، ١٣٥٧: ٦٣٤)

(ترجمة) «إن النساء كلهن عيب وعار ويختارهن رجال أبرار اختيارا جميلا/ لما اتصلت المؤنث بالمذكر أصبح مذكرا/ إلا أن الرجل إذا قرن بالمرأة تخلّق بصفات الإناث بشدة/ المرأة هي صيد الرجل إلا أنها تصيد الرجل الشقي بلسانها».

رغم ذلك، نستشف من شعر الخاقاني أنه تزوج ثلاث مرات. كانت زوجته الأولى امرأة قروية ماتت حزنا وألما بعد موت ابنها رشيد الدين. أما زوجته الثانية فكانت امرأة حضرية أعرب الشاعر عن قلقه عنها وكأن هذه المرأة ماتت بعد زوجته الأولى. وبعدهما اختار الخاقاني زوجته الثالثة وهي أخبث من المرأتين السابقتين (كزازي، ١٣٨٧ب: ٣٥). وفضلا عنهن كانت له جارية أيضاً.

أحب الخاقاني زوجته الأولى حبا شديدا وأجاد في رثائها:

بس وفا پرورد یاری داشتم بس به راحت روزگاری داشتم
خنده در لب گویی: «اهلی داشتی!» گریه در بر گویم: «آری! داشتم»

(الخاقاني، ١٣٥٧: ٢١١)

(ترجمة) «كانت لي حبيبة وفية كما كانت لي أيام في غاية السعة/ تقول ضاحكا: كان لك أهل! فأقول باكيا: أجل كان لي».

وقال يهجو زوجته الثانية:

به غربت زنی کردی آن شد وگرچه که صد شهوت او به پاکی نیرزد
پسین زن چو پیشین بود حاش لله که صد نسر طائر سماکی نیرزد
سپردی به خاک آنکه ارزید شهری گزیدی ز شهر آنکه خاکی نیرزد

(المصدر نفسه: ٦٣٠)

(ترجمة) «تزوجتَ في الغربة بامرأة لا يقارن جمالها الكثير بامرأة عفيفة/ ليست زوجتي الثانية كزوجتي الأولى أبدا ولا يضاهي مائة نسر طائر (اسم نجم) سماكيا (اسم نجم ضوءه أقل بكثير من نجم نسر طائر)/ واريت في التراب من تفوق أهل المدينة واخترت منهم امرأة أتفه من التراب».

أما في قضية تعدد الزوجات فلا نجد فرقا كبيرا بينهما، وربما الفرق بينهما هو أن الخاقاني يرى أن تعدد الزوجات يجتلب مصيبة للرجال أما المعري فيراه انتهاكا لحقوق النساء إذ يتسبب في الشقاق في بنية الأسرة وانهيارها ويتبعه شقاء المرأة:

از فراش کهن بلات رسید تا ازین نو رسیده خود چه رسد
از یکی زن رسد هزار بلا پس ببین تا ز ده به صد چه رسد

(دشتي، ١٣٦٤: ٢٧٢)

(ترجمة) «حلت بك المصيبة من زوجك الأول فناهيك من زوجك الجديد/ تحل بالرجل آلاف مصيبة من امرأة واحدة، فانظر كيف يكون إذا كانت زوجاته عشرا أو مئة».

هذا إن كلمة "المرأة" عند الخاقاني تفيد معنى سلبيا وحيث يستخدم هذه الكلمة يقصد منها لؤما وعارا لكنه إذا مدح أم أخستان، ملكة خاقان الكبير أو مدح أخت منوجهر عصمة الدين، استخدم كلمة "ست" بدل المرأة (حسيني، ١٣٨٨: ٩٥).

في نظرة الخاقاني أن الأسرة التي يحكم فيها الأب على سائر الأفراد تخلو من العدل والنصفة وليست مكان الأمن والراحة. وهذا يدل على أن الخاقاني يرى الظروف التي يعيشها النساء مترديةً وظالمة عليهن فمن ثم يفرح عندما تموت بنته وتنجو من ظلم الرجال كما هي الحال لبنته الأخرى فنرى في الأبيات التالية يتحدث عن الأوضاع القاسية التي عانتها أمه في الأسرة:

زيـــن خـــام قلتبـــان پـــدرى دارم كـــز آتـــش آفـــريد جـهانـــدارش
هـــم طبـــع او چـــو تيـــشه تراشنـــده هـــم خـــوى او برنـــده چـــو منـــشارش
منـبـــر گـــرفته مـــادر مســـكين از دســـت آن منـــاره‌ى خونخـــوارش

(الخاقاني، ١٣٥٧: ٦٤٥)

(ترجمة) «لي أب قسي القلب، خلقه الله من النار/ خُلقه قاطع كالفأس وشيمته صارمة كالمنشار / ناحت الأم المسكينة لصوت منارته السفاكة».

كان الخاقاني رجلا متشائما ويعود تشاؤمه إلى مزاجه العصبي؛ لأنّه كان متردي الأعصاب فاعترض على عدم احتماله للنساء كما اعترض على الأوضاع السيئة التي عانتها النساء (دشتي، ١٣٦٤: ١٥١).

٤-٤. المرأة / الحبيبة

نظم المعرى ديوانه المسمى بـ "اللزوميات" أو "لزوم ما لايلزم"، في أيام عزلته وضم فيه آراءه الفلسفية حول القضايا الاجتماعية والدينية والسياسية والتزم في قوافيها الأحرف التي لا يُلتزم بها وإنما آثر الالتزام حين ألزم نفسه على تكبد المشقات واحتمال الصعوبات في العزلة وهو لم ينبس في ديوانه هذا بكلمة عن الغزل والنسيب وأكثر فيه من نقد أخلاق النساء وخصالهن. أما في ديوانه المسمى بـ "سقط الزند" الذي نظمه أيام شبيبته وقبل عزلته نجد أبياتا غزلية تغزل فيها الشاعر بالنساء وإن كان عددها نزرا يسيرا، لكنه يدل على أن المعري لم يكن له في بدء الأمر هذا الموقف السلبي من النساء. نورد هنا أبياتا من سقط الزند والتي صرح فيها الشاعر باسم حبيبته أمامة التي كوى حبها قلب الشاعر وهو لا ينسى حبها:

ولقـد ذكرتُـك يـا أمامَـةُ بعـد مـا نـزلَ الـدليلُ إلـى التـرابِ يَسـوفُهُ
والعِيـسُ تُعلِـنُ بـالحنينِ إليـكمُ ولُـغامُها كـالبِرسِ طـارَ نَديفُـهُ
فـنسيتُ مـا كلَّفتِنِيـه وطالمـا كـلَّفتِني مـا ضَـرَّني تكـليفُهُ
وهـواك عنـدي كالغِنـاء لأنَّـهُ حَسَـنٌ لـديَّ ثـقيلُهُ وخـفيفُهُ

(المعري، ١٩٨٧: ١٣٣)

إن المعري لم يأت في هذه الأبيات بمعنى جديد يدل على موقفه من المرأة فإنما هي أبيات تدل على أنه وقف أمام المعشوق بشيء من الخضوع وضمنها المعاني الغزلية المبتذلة والمطروقة فمن ثم يرى طه حسين أن أبيات المعري في النسيب إنما تخرج من اللسان لا القلب وهي لا تتجاوز الآذان (حسين، د.ت: ٢٣١). لم يتحدث التاريخ لنا عن ميل المعري إلى فتاة في أيام شبابه. أما صلاح عبد الصبور ذهب -خلافا لسائر الدارسين- إلى أن عودة المعري من بغداد لم تكن بسبب موت أمه وفي رأيه أن هناك امرأة راودته وفتن الشاعر بها حيث أراد أن يتزوجها لكن حدثت له أحداث جعلته أن يغادر بغداد

ويلجأ إلى عزلته. في رأي عبد الصبور، عندما يتكلم المعري في لزومياته عن المرأة يبدو أنه متيم في نهاية الذل والهوان واكتفى من الدنيا بأقلها وقنط منها وقصد ألا يجنى على أحد على عكس أبيه الذي جنى عليه (عبد الصبور، ١٩٨٠: ٨٨).

في رأينا أن كلام عبد الصبور مستبعد للغاية وذلك لأن القصائد التي أنشدها الشاعر في رثاء أمه بعد عودته من بغداد تنم عن مدى تعلقه وحبه لها وندمه الشديد على عدم حضوره بجانبها قبل موتها. ومن جانب آخر يظهر المعري في بعض قطعاته من اللزوميات كمصلح اجتماعي يبحث عن سبل إصلاح المجتمع ويحذر الناس من بعض أخلاق النساء السيئة في عصره حيث لا تكاد تخلو هذه الأفكار من سوء ظنه وتشاؤمه ولا نرى أثرا من الذل والهوان أو التوله لدى الشاعر. أومأت الباحثة المعاصرة عايشة عبد الرحمن إلى نماذج من اللزوميات ورأت أن المعري كشف فيها اللثام عن سره الذي يدل على أنه لم يبتعد عن النساء بطيب خاطره. اعتمدت عايشة على هذه الأبيات لتؤكد بها على ما زعمت (عبد الرحمن، ١٩٦٩: ٢٢٦):

إنـــي أُواري خَـــلّتي فـــأُريهمُ رِيّـــا وفـــي ســـرِّ الفـــؤادِ أُوارُ

(المعري، ٢٠٠١، ج١: ٣٧٨)

ومـا جَبَـلُ الرّيـانِ عنـدي بطائـلٍ ولا أنـا مـن خُـودِ الحِسـانِ بريّـانِ

(المصدر نفسه، ج٢: ٤٣٥)

والمـرءُ لـيس بـزاهدٍ فـي غـادةٍ لكنـــّه يـــترقّبُ الإمكـــانا

(المصدر نفسه، ج٢: ٤٣٤)

في رأينا لا يمكن بالاعتماد على هذه الأبيات الزهيدة أن ندعي أن المعري قد كشف اللثام عن حبه المكنون. أما عن الغزل في شعر الخاقاني فنقول: «كانت القصيدة الشكل الغالب في الشعر الفارسي إلى نهاية القرن السابع الهجري والشعراء الذين عاشوا قبل هذا القرن، كانوا جميعا من شعراء القصيدة فلم يشذ الخاقاني عن هذه القاعدة فديوانه الذي يعد من أهم أعماله الأدبية مرآة انعكست عليها حياة الشاعر؛ وشغلت فيها القصيدة أوسع حيز» (الخاقاني، ١٣٨٧: ٢٨). يشتمل ديوانه على أكثر من ٤٠٠ غزل. من أهم معاني غزله وصف جمال الحبيبة بالتشابيه الوفيرة التي مصدرها الطبيعة أو العناصر التي صنعها الناس وعتاب الحبيبة والحديث عن جورها وظلمها، وكبرها ودلالها وتنعمها، وشدة تعنتها، وخلفها للوعد ومكرها (يزدانبناه وعدناني، ١٣٩١: ١٣٤).

ونحن نعرف أن هذه المعانى مطروقة ومبتذلة في الغزل الفارسي وأوصاف الحبيبة في غزله قريبة من الأسلوب العراقي؛ أوصاف كالجفوة والقساوة والصدود وعدم المبالاة، والإباء والألم الشديد كلها يعبر عن عواطف الشاعر المشبوبة ومشاعره المتأججة (المصدر نفسه). نرى في أشعاره أسماء وأوصافا كثيرة للأحبة كمشرق الوجه، والصنم، والربيع، والمرأة الحوراء، وزهرة الورد، وسكينة القلب، والنجمة، والفتنة، والكافر، والحبيب الموافق، ويوسف و... (چرمگي عمراني، ١٣٨٧: ٢٩٦). تجدر الإشارة إلى أنه قد لمح في غزلياته إلى قصص المغرمين والعشاق وهذه اللمحات مع قلتها ونزارتها أنيقة جدا. وقد نرى في غزلياته مغامرات رومانسية كمغامرات ليلي ومجنون، ووامق وعذرا، ودعد وباب، وخسرو وشيرين (اردلان جوان، ١٣٦٧: ١٣٦ - ١٣٩).

وهكذا نرى أن معاني الغزل تجري عند الشاعرين من ضمن أسلوب عام وكان جهد الشاعرين يقتصر على ترديد المعاني القديمة في الغزل وذلك لأن صناعة الشعر في عصرهما لم يقدّر لها أن تلم بالمعاني الجديدة. أما الخاقاني بالنسبة إلى المعرى فقد أكثر من المعاني الغزلية وأجادها.

٥. مواطن الاختلاف بين المعري والخاقاني

قد عني أبو العلاء بقضية المرأة عناية فائقة حيث لا نجد شاعرا في الأدب العربي يضاهيه في التطرق إلى المرأة من مختلف الجوانب. إن وجهة نظر الشاعر وموقفه من المرأة منظومة فكرية تدور حول النقاط الرئيسة في خصال المرأة وما يجب أن تراعيه أو تتجنبه منها: العفة، والزخارف، والجواهر، والتقوى، ومنع تحصيلها، ولزوم تسترها وإقامتها في الدار، ووجوب القيام بأداء الواجبات الدينية التي لا تقتضي خروجها من الدار كالصلاة والصوم، وميلها إلى الخرافة وإيمانها بالسحر والشعوذة، والتحذير من اختلاطها بالرجال ومقارنة المرأة الحصان بالمرأة الفاسقة ويتحدث عن عيوبها وأخلاقها المرذولة كالتكلم بالغمز والمشي بالدلال، والكشف عن الأسرار، والحسد، والتكبر، والاحتيال، والاغتياب والطعن في أعراض الناس، والسعاية، وإخلاف الوعد، وعدم الاستماع إلى نصح الآخرين وعدم تأثير اللوم والتعنيف عليها.

وهذه المساحة الكبيرة التي تشغلها المرأة في شعر المعرى خير دليل -في رأينا- على أهميتها القصوى عند شاعرنا ولو كانت المرأة عنده جنسا ثانويا فلم يكن في معرض الاهتمام- سلبيا أو إيجابيا- في أشعاره إلى هذا الحد. أما الخاقاني فله نظرة كلية إلى المرأة وكان كثير من أشعاره عن المرأة يتعلق بعوائلهن ولا ينظر إلى المرأة وخصالها وتحدياتها نظرة جامعة كما هي الحال عند المعري فمن ثم لا يمكن أن نقيمه مقام المعري عند مقارنة وجهات نظرهما وآرائهما عن المرأة.

قد نظم الشاعران أشعارا يمدحان فيها المرأة وإن كان عددها نزرا يسيرا. تكفينا نظرة متأملة إلى البيتين التاليين للمعري يبدو لنا أنه يعد المرأة التي جمعت بين العفة والعقل مدعاة للفخر والتي يستحق بعلها للتبريك والتهنئة:

إذا كـــانت لـــك امـــرأةٌ حَصـــانٌ فأنـــت مُحسَّـــدٌ بيـــن الفـــريقِ

فـإن جَمعـت إلـى الإحصـانِ عقـلاً فبـــُورِكَ مُثمـــرُ الغصـــنِ الوَريـــقِ

(المعري، ٢٠٠١، ج٢: ١٠٥)

إن الشيء الوحيد الذي عني به المعري في تفضيل النساء بعضهن على بعض -خلافا لسائر الشعراء العرب- هو العفاف إذ اعتبره شاعرنا عنصرا لتفضيل النساء حيث يفضل الجارية العفيفة على امرأة حرة تكشف القناع عن وجهها وتظهر جمالها للآخرين. أما مدح النساء عند الخاقاني فقد اقتصر على نساء البلاط «ويمكن أن نبحث عن رؤية الخاقاني النفعية في مدائحه التي فيها يمدح الشاعر نساء البلاط، حسب طلبه ليطلب شيئا منهن أو يريد منهن أن يقفن موقف الوسط بينه وبين الملك. إن قصائده المدحية نفسها تدل على دوافع الشاعر الحقيقية من مدح النساء» (كزازي وصادقيه، ١٣٨٧الف: ١٤٤). وهنا يظهر لنا جليا موقف الشاعرين من المرأة إذا مدحاها. أحدهما يمدحها إذا اتسمت بالعفة والعقل والحشمة والآخر لا يقيم وزنا لهذه الخصال فإنما يشيد بها ويحبذها إذا وجد فيها نفعا يجديه في نجاته من غضب الملوك.

النتيجة

نخلص مما مر بنا ذكره من موقف المعري والخاقاني من المرأة إلى النتائج التالية:

النقطة الأولى التي ينبغي لنا أن نأخذها بعين الاعتبار إزاء الشاعرين هي أنهما كانا أديبين متشائمين تمردا على ظروف مجتمعهما السيئة وتقاليدها القاتمة وأعرافها الظالمة بحق النساء، حيث انعكس هذا التشاؤم على نظرتهما إلى الحياة ومظاهرها. انطلاقا من هذا، نحن نواجه الشاعرين اللذين لهما حياة خيمت عليها الظلمة ولما كانت المرأة قد أدت دورا هاما

في تكوين هذه الرؤية السلبية والسوداوية، فلها نصيب وافر من ذمهما ونقدهما. وأكثر ما كان يثير نقمتهما على النساء، ما شاع بينهن -في رأي الشاعرين- من تبرج وغواية وغدر.

إذا أمعنا النظر في أشعار الشاعرين حول البنات، تبين لنا أنهما اتفقا في هذه العقيدة التي تفضل القبر للبنات على العريس ومرد هذه العقيدة الظالمة إلى أنهما اعتبرا البنت مجلبة للبؤس والشقاء فوأدها عندهما خير من حياتها أما الفارق بينهما في هذه القضية فهو أن الخاقاني فقد نظم هذه الأبيات في حق بنته وبعد أن استشعر بالظروف الأسرية الظالمة على المرأة، فقد استاء من مولد بنته ووجد في نفسه كثيرا من العناء؛ بينما رأى المعري أن الدنيا محل عناء فيجب على الإنسان الصدود عنها والوقوف في وجه مصير مشؤوم ترصّد للبنين والبنات وفي رأيه إذا كان المولود أنثى فقد يعاني الأبوان أضعاف ما يعانيانه إذا كان المولود ذكرا وهذا يعني أن المعري يرى الموت أفضل قرين للبنات اللاتي تأسرهن الدنيا بمصائبها.

أما من دراسة موقفهما من المرأة كالأم، فنخلص إلى أنهما أخلصا الود للأم ونظرا إليها نظرة تكريم وتبجيل وهذا الموقف الإيجابي من الأم له صدى أوسع عند المعري الذي أكثر من الحديث عن أمه وذكر غير مرة ما عانته أمه في أيام الحمل والرضاع فعلى الأبناء أن يقدروا شأنها ويرفعوا منزلتها.

إن أبا العلاء لم يتحدث عن الزوجة لأنه عاش عزبا ولم يتزوج أبدا أما الخاقاني الذي تزوج بثلاث زوجات فقد أحسن الظن بزوجته الأولى وفضلها على زوجتيه الثانية والثالثة وأسرف في هجاء زوجته الثانية.

أما عن المرأة باعتبارها حبيبة للشاعر فإن المعري لم يتحدث عنها في لزومياته ولكن في ديوانه الموسوم بـ "سقط الزند" نجد شذرات تغزل فيها الشاعر بامرأة اسمها أمامة والمعري لم يأت في هذه الأبيات بمعنى جديد يدل على موقفه من المرأة فإنما هي أبيات تدل على أنه وقف أمام المعشوق بشيء من الخضوع وضمنها المعاني الغزلية المبتذلة والمطروقة. أما الخاقاني فقد اشتمل ديوانه على أكثر من أربعمئة غزل وأكثر فيه من وصف الحبيبة ومن أهم معاني غزله وصف الحبيبة ووسامتها وعتابها والحديث عن جورها وظلمها، وكبرها ودلالها وتنعمها، وشدة تعنتها، وخلفها للوعد ومكرها. وهكذا نرى أن موقف الشاعرين من الحبيبة ليس سلبيا ولا عدائيا وأن معاني الغزل عندهما تجري في أسلوب عام ويقتصر جهد الشاعرين على ترديد المعاني القديمة في الغزل وذلك لأن صناعة الشعر في عصرهما لم يقدّر لها أن تستعرض المعاني الجديدة. أما الخاقاني بالنسبة إلى المعرى فقد أكثر من المعاني الغزلية و أجادها.

الهوامش

1. Misogyny

المصادر والمراجع

١. ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس. (د.ت). **وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان**. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة.

٢. أردلان جوان، سيد علي. (١٣٦٧). **تجليات الأساطير الدينية والروايات التاريخية والمذهبية في شعر خاقاني**. مشهد: آستان قدس رضوي.

٣. حسين، طه. (د.ت). **تجديد ذكرى أبي العلاء**. القاهرة: دار المعارف.

٤. حسيني، مريم. (١٣٨٨). **جذور العداوة مع المرأة في الأدب الفارسي الكلاسيكي**. طهران: چشمه.

٥. الخاقاني الشرواني، أفضل‌الدين. (١٣٥٧). **ديوان الخاقاني**. تحقيق علي عبد الرسولي. طهران: چاپخانه مروي.
٦. الخاقاني الشرواني، أفضل‌الدين. (١٣٨٧). **تحفة العراقين**. تحقيق علي صفري آق قلعه. چاپ اول. طهران: ميراث مكتوب.
٧. الخاقاني الشرواني، أفضل‌الدين. (١٣٨٢). **ديوان الخاقاني**. تحقيق ضياءالدين سجادى. الطبعة الرابعة. طهران: زوار.
٨. دشتي، علي. (١٣٦٤). **الخاقاني شاعر غامض**. الطبعة الرابعة. طهران: أساطير.
٩. زيدان، عبدالقادر. (١٩٨٧). **قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٠. السميري، جابر والطرطور، عبير سليمان محسن. (٢٠٠٩). **التطير مفهومه وآثاره وسبل علاجه**. رسالة الماجستير. كلية أصول الدين بجامعة الإسلامية. غزة: فلسطين.
١١. صدقي، عبدالرحمن. (١٩٨٦). **أبوالعلاء المعرى؛ حياته وشعره**. بيروت: المكتبه الحديثة.
١٢. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك. (١٩٨١). **الوافي بالوفيات**. تحقيق إحسان عباس. ألمانيا: دار فرانزشتاينر ويسبادان.
١٣. عبد الرحمن، عايشة. (١٩٦٩). **مع أبي العلاء في رحلة حياته**. بيروت: دار الكتاب العربي.
١٤. _____ (د.ت). **أبو العلاء المعري**. القاهرة: المؤسسه المصرية العامة.
١٥. عبد الصبور، صلاح. (١٩٨٠). **كتابة على وجه الريح**. بيروت: الوطن العربى للنشر والتوزيع.
١٦. كزازي ، مير جلال‌الدين. (١٣٨٧ب). **الخاقانى الشرواني**. طهران: مكتب البحوث الثقافية.
١٧. المعري، أبو العلاء. (١٩٨٧). **سقط الزند**. شرح وتعليق ن. رضا. بيروت: دار مكتبة الحياة.
١٨. _____ (٢٠٠١). **لزوم ما لا يلزم**. شرح كمال اليازجى. الطبعة الثانية. بيروت: دار الجيل.
١٩. يازجي، كمال. (١٩٩٧). **أبوالعلاء ولزومياته**. بيروت: دار الجيل.
٢٠. إيمانيان، حسين. (١٣٩٢). «شاعران غامضان: الخاقاني الشرواني وأبو تمام الطائي». مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة فردوسي مشهد. السنة ٥. العدد ٨. صص ٥٨-٢٩. Doi: 10.22067/jall.v5i8.24190
٢١. بهنام‌فر، محمد وصديقة أحراري‌وفا. (١٣٨٩). «هل الخاقاني عدو للنساء؟». مجلة اللغة الفارسية وآدابها بجامعة تبريز. السنة ٥٣. العدد ٢٢٠. صص ٢١-٤٢. ٧/٢/٢٢٠/٥٣/١٣٨٢/٢٢٥١٧٩٧٩/١/١٠٠١/٢٠ :Dor
٢٢. جودي نعمتى، أكرم. (١٣٨٤). «المرأة في مرآة الشعر الفارسي؛ الخاقاني الشرواني». مجلة فصلية يصدرها مجلس المرأة الثقافي والاجتماعي (كتاب المرأة). السنة ٨. العدد ٢٩. صص ١٧٩-٢١٨.
٢٣. چرمگي عمراني، مرتضى. (١٣٧٨). «الأسماء الشعرية للحبيبة في غزل الخاقاني والنظامي والسعدي». مجلة اللغة والأدب الفارسي بجامعة يزد. السنة ٩. العدد ١٧. صص ٢٩٣-٣٢٠.
٢٤. حسيني، مريم. (١٣٨٧). «دراسة مقارنة لصورة المرأة في أعمال الخاقاني والنظامي». مجلة الأدب واللغة بجامعة الشهيد باهنر، كرمان. العدد ٢٣، صص ٨٩-١١١.
٢٥. عرب يوسف‌آبادي، عبد الباسط وعرب يوسف‌آبادي، فائزة وحسيني، سيدباقر. (١٣٩٨). «علم النفس المقارن للألوان في ديوان سقط الزند للمعري وديوان رودكي على أساس نظرية ماكس لوشر». مجلة اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران. السنة ١١. العدد ١.صص ١-٢٤. Doi:10.22067/jall.v11i2.45820

٢٦. فخري العبهري، ميسون محمود. (٢٠٠٥). النقد الاجتماعي في لزوميات أبي العلاء المعري. رسالة الماجستير. نابلس: جامعة النجاح الوطنية.
٢٧. كزازي ، سيده آناهيت، وصادقية، پريسا. (١٣٨٧الف). «المرأة، الخاقاني، جون دون». مجلة دراسات الأدب المقارن. السنة ٢. العدد ٨. الشتاء. صص ١٣٩-١٥٨.
٢٨. مقتدائي، محمود. (١٣٨٥). «من هو أبو العلاء المعري وكيف يفكر؟». مجلة الثقافة والأدب. السنة ٢. العدد ٢. صص ١٣٩-١٦٤.
٢٩. يزدان‌پناه، مهرعلی و عدناني، روجا. (١٣٩١). «دراسة مقارنة لتجليات المحبوب في غزل الخاقاني والسعدي». مجلة درّ دري. السنة الأولى. العدد ٢. صص ١٣٢-١٣٤.

References

Abd al-Rahman. A. (1969). *with Abu Al-Alaa on his life's journey*, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi. [In Arabic].
_____. (n.d). *Abul Al-Ala al-Ma'ari*, Cairo: Al-Massira al-Masri al-Gaa'a. [In Arabic].
Abdel-Sabour, S. (1980). *Writing on the Face of the Wind*, Beirut: Al-Watan Al-Arabi for Publishing and Distribution. [In Arabic].
Ali Zadeh, J. (1988). *Saghri in the middle of Sangistan*, Tehran: Markaz. [In Persian].
Al-Maarri, A.A. (2001). *The Necessity of What is Not Necessary*, Explanation of Kamal Al-Yaziji, second edition, Beirut: Dar Al-Jeel. [In Arabic].
_____ (1987). *Siqt Al Zand*, Explanation and Commentary, n. Reda, Beirut: Al-Hayat Library House. [In Arabic].
Al-Samiri, J. and Tartoor, A. S. M. (2009). *Al-Tateer is a concept and a work of treatment. Risal al-Magister*, College of Islamic Principles, Islamic University, Gaza, Palestine. [In Arabic].
Arab Yousef-Abadi, A. B. and Arab Yousef-Abadi, F. And Hoseini. S.B.(2018). "Comparative psychology of colors in "Sqat al-Zand" by Ma'ari and Divan Rudaki based on Max Loescher's theory" *Journal of Arabic Language and Literature*, 11(1), 1-24. doi:10.22067/jall.v11i2.45820. [In Persian].
Ardalan Javan, S. A. (1988). "*Poetic manifestation of religious myths and historical narratives in Khaqani poems*", Mashhad: Astan Quds Razavi. [In Persian].
Behnamfar, M. and Sediqa A. W. (2009). "Is Khaqani misogynistic?", Tabriz University Persian Language and Literature Journal, No. 220, Autumn and Winter, pp. 21-42. Dor:20.1001.1.22517979.1382.53.220.2.7. [In Persian].
Chamergi O. M. (2008). "Lover's poetic titles and names in Khaqani, Nizami and Saadi's ghazals", Pick Noor, 8th year, 2nd issue, pp. 55-63. [In Persian].
Dashti, A. (1985). *Khaqani poet of Deir Ashna*, 4th edition, Tehran: Asatir. [In Persian].
Fakhri.A., M. (2005**).** *Social Criticism in Abu Al-Alaa Al-Maarri's Literatures*, Master's Thesis, An-Najah National University, Nablus, Palestine. [In Arabic].
Hosseini, M. (2008). "Applied Study of Simai Zen in the Works of Khaghani and Nizami", *Literature and Language Journal of Shahid Bahoner University, Kerman*. No. 23, 89-111. Bahar. [In Persian].

Hosseini, M.(2008). *Risheh hay Zentazi in Persian Classical Literature*, Tehran: Cheshmeh. [In Persian].
Hussein, T. (n.d), *Renewing the Memory of Abu Al-Ala*, Cairo: Dar Al-Maaref. [In Arabic].
Ibn Khalkan. S. A (n.d). *Wafayāt al-Aʿyān wa-Anbāʾ Abnāʾ al-Zamān*, edited by Ihsan Abbas, Beirut: Dar Al- Thaqafat. [In Arabic].
Imanian, H. (2012). "Two Diriyab poets: Khaqani Shervani and Abu Tamam Ta'i", *Journal of Arabic Language and Literature*, 5(8), 58-29. doi:10.22067/jall.v5i8.24190 [In Persian].
Jodi N. A. (2005). "Woman in the mirror of Persian poetry; Khaqani Shervani", The *quarterly magazine of the Women's Cultural and Social Council (Women's Book)*, 8(29), 218-179. [In Persian].
Kazazi, M. J. (2008). *Khaqani Shervani*, first edition, Tehran: Cultural Research Office. [In Persian].
Kazazi, S. A. and Parisa S. (2008). "Zen, Khaqani, John Dunn", *Comparative Literature Studies Quarterly*2(8). 139-158. [In Persian].
Khaqani S. A. (1978). *Diwan Khaqani*, researched by Ali Abdul Rasouli, Tehran: Maravi Printing House. [In Persian].
_____. (1978). *Diwan Khaqani*, by the efforts of Ziauddin Sajjadi, 4th edition, Tehran: Zovar. [In Persian].
_____ (2008). *Tohfa al-Iraqin*, by the efforts of Ali Safari Aq Qala, first edition, Tehran: Mirath Maktoob Publishing House. [In Persian].
Moqtadaei, M. (2006). "Who is Abu Al-Ula Maari and how does he think?", *Research Journal of Culture and Literature*, Year 2, Number 2, Spring and Summer, pp. 139-164 [In Persian].
Safadi, S. K. A. (1981). *Al-Wafi Baloviat***,** research by Ehsan Abbas, Germany: Dar Franzsteiner, Wiesbaden. [In Arabic].
Sedqi, A. R. (1986). *Abul Ala Al Ma'ari; Hayate and Poetry*, Beirut: Al-Hadiditha Library. [In Arabic].
Yazdan-Panah, M. A. and Roja A. (2013). "Comparative study of the appearance of the beloved in Khaqani's and Saadi's ghazals", *Dorre Dari Quarterly*, 1(2) 132-134. [In Persian].
Yaziji, K. (1997). *Abu Al-Ala and his Zumiyat*, Beirut: Dar Al-Jeel. [In Arabic].
Zidan, A.Q. (1987). *Contemporary Issues in the Literature of Abu Al-Ala Al-Maarri*, Cairo: Egyptian General Book Authority. [In Arabic].

الترقيم الدولي الموحد للطباعة: 7217 – 2008
الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: 2681 – 2383
اللّغة العربية وآدابها (الفصلية العلمية المحكمة)
www.jall.um.ac.ir

اللّغة العربية وآدابها، السنة السادسة عشرة، العدد ١ (الرقم المسلسل ٣٦)، ربيع ١٤٤٥، صص:٣٧-٢١

تمظهرات الصراع الاجتماعي في رواية «أدركها النسيان» لسناء شعلان بناءً على نظرية لويس كوزر

(المقالة المحكمة)

يوسف متقيان نيا (طالب دكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران)
عبدالوحيد نويدي (أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران، الكاتب المسؤول)[1]

Doi: 10.22067/jallv16.i1.2312-1354

الملخص

قد حاول العديد من الباحثين وعلماء الاجتماع البحث عن الصراع الاجتماعي وظواهره ونتائجه في المجتمع البشري. وكان أحد هؤلاء العلماء والباحثين هو لويس كوزر الذي قدم نظرية ممنهجة ومتقنة عن هذه الظاهرة. لقد تأثر كوزر بالفكر الماركسي وأكد على أنّ الصراع الاجتماعي ينشأ عندما تتصادم الأهداف غير المتوافقة، سواء كانت ملموسة أو غير ملموسة. وقد يكون هذا الصراع نتيجة التنافس على الموارد المحدودة أو السلطة أو الأعراف. وبما أن هناك علاقة متجذّرة ومتماسكة بين الأدب والمجتمع فيتأثر بسياقه المجتمعي، ويمكن القول بأن كل نص أدبي هو تجربة اجتماعية، وأداة تقويمية للمجتمع تأخذ على عاتقها تبيين الصراعات الاجتماعية والحدّ منها، كما أنه مرآة صادقة تكشف عن مساوئ المجتمع ومهاويه وترسم اتجاهات الأشخاص والمجموعات المختلفة. وبما أنّ رواية «أدركها النّسيان» هي رواية الطبقة المحرومة المضطهدة فتُصوّر صراعهم مع أصحاب السلطة، فيسعى الباحثان دراستها مستخدمَينِ المنهجَ الوصفي التحليلي، معتمدينِ على المحاور المقترحة في نظرية كوزر، من أجل تحليل ودراسة التمثلات الصراعية ودورها في تشكيل العلاقات الاجتماعية والأيديولوجية والخطاب السائد في الرواية. وأما الذي دفع الباحثين إلى اختيار هذا الموضوع، فهو أنّ دراسة الأدب لاسيما الرواية من منظور علم الاجتماع وتوظيف الآليات السوسيولوجية تقدم رؤية جديدة ودقيقة في التحليل والتأسيس. ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث هي أنّ جميع أنواع الصراعات كانت حاضرة في النص وفق نظرية كوزر حيث لعبت السلطة دورًا حاسمًا في الصراع الواقعي، وعندما أدرك بطلا الرواية أنهما بعيدانِ عن القرارات السياسية والمصيرية زادت المشاحنات والتوترات مع السلطة ووضعت الصراع غير واقعيّ، وكانت الصراعات الخارجية نتيجة للنظرة الدونية والمحتقرة للآخر/المرأة، وأما الصراع الداخلي فيتمثَّل غالبًا في الأهداف والمعتقدات المتضاربة داخل مجتمع الرواية حيث ترى المصالح الشخصية هي الهدف الأساس.

الكلمات الدليلية: الصراع الاجتماعي، السقوط، لويس كوزر، سناء شعلان، رواية «أدركها النّسيان».

تاريخ الوصول:١٤٠٢/٩/٢٧ تاريخ المراجعه :١٤٠٢/١١/٤ تاريخ القبول :١٤٠٣/٢/٣١
[1]. الكاتب المسؤول: a.v.navidi@scu.ac.ir

١. المقدمة

يمتلك كل شخص مجموعة من المعتقدات التي تتشكل من خلال تربيته وثقافته وتجاربه الشخصية، وعندما تتصادم وجهات النظر المختلفة يمكن أن تؤدي إلى سوء الفهم والخلافات والصراعات في نهاية المطاف. وتنشأ ظاهرة الصراع الاجتماعي من التنوع المتأصل بين الأفراد واختلاف احتياجاتهم ورغباتهم ووجهات نظرهم. عندما يتعايش البشر في بيئة مشتركة، فإنهم يواجهون مواقف تتعارض فيها أهدافهم ومصالحهم. ويمكن أن ينبع هذا الصدام من الموارد المحدودة، أو الصراع على السلطة، أو الأيديولوجيات المتضاربة. فضلا عن ذلك، فإنّ الاختلافات في الأفكار والآراء والاتجاهات تساهم بشكل كبير في ظهور الصراع الاجتماعي.

فإذًا حاول الكثير من العلماء أن يستكشفوا طبيعة الصراع وظواهره ونتائجه؛ وكان لويس كوزر من علماء الاجتماع الذين قدموا نظرية علمية وممنهجة عن الصراع الاجتماعي. وقد سلّط كوزر الضوء على الدوافع والديناميكيات الأساسية للصراع الاجتماعي، وهذا يشير إلى أنّ الصراع الاجتماعي يحدث عند التعارض بين الأهداف المتضادة، سواء كانت محسوسة أو غير محسوسة. وربما يكون هذا الصراع ناشئًا عن التنافس على الموارد المحدودة أو السلطة أو الأعراف الاجتماعية. وقد ينخرط الأفراد أو الجماعات في صراع ليؤمّنوا مصالحهم الخاصة على حساب الآخرين. ويمكن أن يظهر ذلك في أشكال مختلفة مثل الصراعات السياسيّة أو الاقتصاديّة أو الصراعات الأيديولوجية أو حتى الصراعات بين الأشخاص.

وأمّا العلاقة بين الأدب والمجتمع فهي علاقة متجذّرة ومتماسكة، فالأدب لا ينفصل عن سياقه المجتمعي، فكل نص أدبي هو تجربة اجتماعية؛ واقعية أو خيالية، وإنّ المجتمع يلقي بظلاله على تكوين العمل الإبداعي، ويعطيه الاتجاهات أو يصححها، فيمكن القول بأنّه لا يوجد أدب دون مجتمع ولا مجتمع يخلو من الأدب، بل لكل مجتمع أدبه ولكل أدب مجتمعه الذي يحتضنه وينكشف من خلال نصوصه ومروياته. من هنا يمكن النظر إلى الأدب كآلية إصلاحية في المجتمع تتولى توضيح الصراعات الاجتماعية والحدّ منها، فهي مرآة صادقة تكشف عن مساوئ المجتمع ومهاويه وتصور اتجاهات الأشخاص والمجموعات المختلفة. وظهر هذا الدور الإصلاحي للأدب في الرواية الجديدة جليًا بما في ذلك رواية (أدركها النّسيان) حيث تتعمق الرواية في النضالات والظلم الذي يواجهه أولئك الذين يعيشون على هامش المجتمع، وتسلط الضوء على التناقض الصارخ بين القلة المتميزة والكثير من المهمشين. ومن خلال تصويرها الحي لشخصيات من مختلف مناحي الحياة، فإنه يكشف الحقائق القاسية لعالم تملي فيه القوة والثروة قيمة المرء. فهي رواية نقدية اجتماعيّة سياسيّة أخلاقيّة يمكن دراستها وتحليلها على أساس النظريات الاجتماعية الحديثة، بما في ذلك نظرية الصراع لكوزر والتي تدرس المجتمع على أساس الصراع الواقعي، والصراع غير الواقعي، والصراع الخارجي، والصراع الداخلي. ويبدو أنّ طرح ودراسة مثل هذه الثيمات التي ترتبط بالفرد والمجتمع وتصور الصراع الاجتماعي والتفاوت الطبقي على أساس منهج علمي وموضوعي، يساعدنا على التعمق في مفهوم الصراع الاجتماعي ومعرفة دواعيه وظواهره. لذلك يهدف البحث إلى الوقوف على مظاهر الصراع الاجتماعي في الرواية المذكورة، مستخدمًا المنهج الوصفي التحليلي، معتمدًا على نظرية لويس كوزر حتى يقدم دراسة تجتمع بين الأدب وعلم الاجتماع ويجيب عن الأسئلة التالية:

- كيف تمثلث الصراع الاجتماعي في رواية «أدركها النّسيان» بناءً على نظرية لويس كوزر؟
- ما هي العوامل الرئيسة التي شكلت الصراع داخل مجتمع رواية «أدركها النّسيان»؟

١-١. فرضية البحث

– يبدو أنّ جميع مظاهر نظرية الصراع للويس كوزر والتي تمثلت في الصراع الواقعي، والصراع غير الواقعي، والصراع الخارجي، والصراع الداخلي، قد وظفتها سناء شعلان في رواية «أدركها النسيان» فأشارت من خلال توظيف هذه المظاهر إلى الكثير من المشاكل الموجودة في مجتمعها لكي تضع يدها على هموم الفقراء المشردين ومصلحي المجتمع ومآسيهم، وتصورَ صراعهم مع المجتمع وأصحاب السلطة.

– يبدو أنّ أهم العوامل الرئيسة التي شكلت الصراع داخل مجتمع الرواية هي قلة الموارد وشحّتُها وتوزيعها بطريقة غير عادلة، وقرارات السلطة وإبعادها الكثير من المواطنيين عن القرارات السياسية والمصيرية والاجتماعية والاقتصادية، وتنعم الفئة القليلة من المجتمع، وحرمان العدد الكبير منه، والفساد والبغي والسرقة والنظرة المحتقرة للمرأة وسلب كرامتها وعزتها.

١-٢. خلفية البحث

حظيت أعمال سناء شعلان الأدبية بقبول النقاد والباحثين وكتبت عنها دراسات عديدة، وأما هنا فنكتفي بالبحوث التي كانت حول هذه الرواية فقط، منها:

– مذكرة الماستر «بنية الشّخصيّة في رواية أدركها النسيان لسناء شعلان». لدعمي سالمة، جامعة عمار ثليجي الأغواط، الجزائر في كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي، سنة ٢٠٢٠م، وعالج هذا البحث بنية الشخصية باعتبارها المحرك الأساسي الذي يقوم عليه نجاح العمل الروائي، وتطرق إلى أنواع الشخصيّات الرئيسيّة والثانويّة والناميّة والثابتة والهامشيّة، ثم تحدث عن أبعادها الجسميّة والنّفسيّة والاجتماعية والفكريّة.

– رسالة ماجستير «الرؤية والتشكيل السردي في رواية «أدركها النّسيان» لسناء شعلان أنموذجا» لفضيلة قريب، جامعة عمّار ثليجيّ، الجزائر، سنة ٢٠٢٠م. توصلت الكاتبة إلى عدة نتائج، منها: أنّ شعلان اختارت هذه العتبات النصية الخارجية منها والداخلية، لتشير بها إلى مضمون الرواية، وأن الأديبة لم تفصح عن الزمن في هذه الرواية، فقد تركت للمتلقي الحصيف أن يدرك تلك الأزمان التي تعنيها من خلال معاناة البطلين.

– مقالة «تجليّات الانطباعية في رواية «أدركها النّسيان» لسناء شعلان على ضوء نظرية سوزان فيرغوسن» لسمانه موسى بور ويوسف هادي بور، مجلة «دراسات في السردانية العربية»، المجلد ٢، العدد ١، سنة ١٤٤٢، صفحات ٣٠١-٢٧٦. توصل الباحثان إلى أن الرواية هي مثال ناجح للأدب الروائي «الانطباعي» في الأدب الروائي العربي وتظهر التأملات في العناصر الانطباعية في أعماق القصة أن شعلان رسمت لوحات للواقع والخيال، وتوجّهت إلى السّلام والعدالة والحريّة في العالم.

– مقالة «أسلوب سرد «الأقوال الروائية» في رواية «أدركها النسيان» لسناء شعلان»، بقلم سمانه موسى بور ويوسف هادي بور، مجلة «دراسات في السردانية العربية»، المجلد ٢، العدد ٢، سنة ١٤٤٣، صفحات ١٨٥-١٦٨. تشير نتائج هذا البحث إلى أن الأساليب السردية لهذه الرواية تبدأ من هيمنة الراوي في قصة التقرير السردي وتنتهي بالسيطرة الكاملة للشخصية في القصة.

– مقالة «تمظهرات الاغتراب في رواية «أدركها النسيان» لسناء شعلان بناءً على نظرية ملفين سيمون»، لولي بهار ويوسف متقيان نيا، مجلة دراسات في السردانية العربية، المجلد ٤، العدد ٢، السنة ٢٠٢٢م. وتظهر النتائج أنّ اغتراب

الشخصيات في الرواية هو نتيجة عوامل عدة، منها: الاستبداد وطغيان الفئة الحاكمة، وحرمان الطبقة المحرومة من المشاركة الفعالة في النظام الاجتماعي الحاكم.

وأمّا الدراسات التي وظفت نظرية الصراع لكوزر فهي ليست بكثيرة، أهمّها:

- بحث «خوانشی جامعهشناختی از نامههای امام علی (ع) به معاویه بر اساس نظریه تقابلهای اجتماعی لوئیس کوزر» (قراءة سوسيولوجية لرسائل الإمام علي (ع) إلى معاوية في ضوء نظرية الصراع الاجتماعي للويس كوزر)، لعلي صياداني وبرويز أحمدزاده هوج وعاطفه رحماني، نشر في مجلة پژوهش نامه علوي، سنة ١٤٠١ش. وقد توصل البحث إلى أن نص رسائل نهج البلاغة يوفر أرضية مناسبة جدًا للقراءة السوسيولوجية المبنية على نظرية الصراع؛ لأنهم يستخدمون الخطاب الجدلي ويمكن الحديث في الرسائل عن العديد من الصراعات.

- بحث «بررسی تقابلهای اجتماعی در برخی اشعار حافظ» (دراسة الصراع الاجتماعي في بعض من أشعار حافظ)، لأحمد خطيبي خيالي، مجلة مطالعات زبان فارسي، سنة ١٣٩٨ ش. يسعى البحث إلى الكشف عن سلوكيات حافظ المتبادلة في الطبقات الداخلية من غزله.

تظهر المعطيات السابقة أنّ موضوع الصراع الاجتماعي في رواية «أدركها النّسيان» لم يحظ بورقة بحثية حتى الآن، وهو موضوع ذو جدّة وفعالية لدراسة المجتمع من منظار الأدب والأديب وفق منهجية سوسيولوجية.

١-٣. ملخص الرواية

ترسم لنا بداية الرواية حياة طفلين يتيمين ومشرّدين في بلد شرقي، في ميتم ماتت فيه أسس الثقافة الإنسانية؛ الضّحّاك سليم بطل الرّواية وبهاء عشيقته الحمراء الملعونة يمثلان حياة الطبقة المنكودة والأطفال الضائعين، من الميتم إلى الشارع إلى التبني والحياة القاسية. عاش سليم الضّحّاك حياة مؤلمة قبل الهجرة مع ابن عم والده إلى أرض جليدية باردة في شمال الدول الإسكندنافية، فالاثنان عانيا من طفولة معاقة حزينة وتعنيف واعتداء على طفولتهما. والضحاك متهم بالسرقة، لأنّ والده كان ناشطًا فلسطينيًا سياسيًا، وتعرض لتعذيب شديد في السجن السياسي حتى يعترف بأنه مناضل سياسي، مما أدى إلى فتور في إحدى عينيه. ومنذ الطفولة تدفقت مشاعر الضّحاك وبهاء وأحبّا البعض ببراءة وصدق. ووعد الضحاك أن ينقذ بهاء، لكنه حاول مرات عديدة وفشل. وانتظرت كثيرًا كي يأتي المنقذ الضحاك من شرفة دار الأيتام. والفتى اليتيم في تلك الأرض صار أستاذًا جامعيًا في مجال الأدب المقارن؛ وتستمر الرواية بقراءة لمذكرات بهاء التي كتبتها لضحاك وهو يقرأها بعدما وجدها مصابة بمرض السرطان الذي أفقدها ذاكرتها وأسلمها للنّسيان؛ وكانت تعيش حياة نكراء، فاغتصبت في دار الأيتام من قبل المعلم أفراح الرملي وإيذاء من مشرفات الميتم. وفي الثامنة عشرة من عمرها، بعد أن طُردت من دار للأيتام في حالة فقر، عاشت حياة البغاء الجسدي والثقافي فعند الشباب تبيع جسدها وفي الكبر تبيع قلمها وكلماتها، ثم تصاب بسرطان الدماغ وتدخل غياهب عالم النّسيان.

٢. المفاهيم والتعاريف

٢-١. مفهوم الصراع الاجتماعي ونشأته

يعتبر النظام الاجتماعي شبكة من العلاقات المتبادلة بين الأفراد والجماعات. وبعبارة أخرى، يتمّ النظر في كل عامل في النظام الاجتماعي بشكل خاص من وجهة نظر تفاعله مع العوامل الأخرى. ومن المفاهيم الأساسية التي تؤدي إلى

تشكيل الصراع الاجتماعي هو مفهوم القوة والهيمنة الذي يوفر ساحة الصراع وميدانه. ويمكن تعريف الصراع بأنّه: «عملية تفاعلية تظهر عند الاختلاف والتنافر أو عدم الاتفاق بين الأفراد والجماعات، أو عند تدخل أحد الأطراف في أنشطة الطرف الآخر ومنعه من تحقيق أهدافه، أو عند وجود حق إداري لأحد الطرفين بتفضيل سلوك أحدهم على الآخر في أثناء قيامهم بنشاط مشترك أو عندما تكون اتجاهات الطرفين أو قيمهم أو معتقداته أو مهاراتهم متباينة» (قطيشيات، ٢٠١٠م: ٦٢). وترجع آراء هذه النظرية إلى أعمال كارل ماركس في منتصف القرن التاسع عشر. ويشكّل تضارب المصالح بين العمال وأصحاب الرأس المالي أساس نظرية الصراع، ووفقًا لعقيدة ماركس، ينقسم المجتمع إلى فئتين رئيستين: البرجوازية والبروليتاريا؛ وإنّ البرجوازية مدفوعة بسعيها لتحقيق الربح، وتستغل عمل البروليتاريا، وتدفع لهم أجورًا أقلّ بكثير من القيمة التي ينتجونها (دنكن، ١٩٨٦: ١٤٠-١٤٢). ثم جاء علماء آخرون لتطوير هذا المنظور، وسميت نظريتهم بالماركسية الحديثة، ويمثلها: رالف داهرندورف، ولويس كوزر، ورايت ميلز. اعتمد هؤلاء العلماء على الأفكار التأسيسية للماركسية الكلاسيكية، ولكنهم قدموا مفاهيم ووجهات نظر جديدة تهدف إلى معالجة قيود وانتقادات النظرية الماركسية التقليدية. وساهم رالف داهرندورف، بشكل كبير في الماركسية الحديثة من خلال التأكيد على أهمية التقسيم الطبقي الاجتماعي والصراع على السلطة داخل المجتمع. وأكد أنّ الصراع الطبقي وحده لا يمكن أن يفسر بشكل كامل عدم المساواة الاجتماعية وأنّ عوامل أخرى مثل المكانة والسلطة والوكالة الفردية تلعب أدوارًا حاسمة في تشكيل الديناميكيات الاجتماعية. وركّز عمل داهرندورف على فهم كيفية تنافس المجموعات المختلفة على الموارد والسلطة داخل النظام الرأسمالي (معن، ٢٠٠٥: ٢٠). ثم توسع لويس كوزر في أفكار داهرندورف من خلال استكشاف مفهوم الصراع الوظيفي داخل المؤسسات الاجتماعية. وقال إنّ الصراع لا يضر دائمًا بالمجتمع ولكنه يمكن أن يكون بمثابة قوة دافعة للتغيير والتقدم. ويسمح هذا الفهم الأوسع للصراع الذي قدمه الماركسيون المحدثون بتحليل ديناميكيات السلطة وعدم المساواة في مختلف الأبعاد الاجتماعية بما يتجاوز الطبقة الاقتصادية (Coser, 1992: 15) ومن خلال الاعتراف بأنّ الصراعات يمكن أن تنبع من مصادر مختلفة، تعترف الماركسية الحديثة بالترابط بين الأشكال المختلفة للقمع والتمييز.

٢-٢. الصراع الاجتماعي من منظور لويس كوزر

لويس كوزر هو عالم الاجتماع الأمريكي الذي اتخذ وجهة نظر بنائية وظيفية في نظرية الصراع. وكان كوزر في شبابه يميل إلى الفكر الماركسي (كيلوتش، ١٩٩٠: ٢٧٥). وقد شرح وظائف التفاعلات الاجتماعية، ثمّ صدر كتابه المهم عام ١٩٥٨م، تحت عنوان «وظائف الصراع الاجتماعي». ويعتقد كوزر أنّ المجتمع يتّسم، بطبيعته، بالصراعات على السلطة وعدم المساواة الاجتماعية، وهو ما اعتبره أمرًا أساسيًا لفهم الديناميكيات الاجتماعية (coser, 1957: 199-202). وفي مساهماته النظرية للصراع، اعتمد كوزر على أطر نظرية مختلفة، بما في ذلك الأطروحات الوظيفية البنائية الكلاسيكية والمعاصرة. وقام بتحليل كيفية عمل الهياكل والمؤسسات الاجتماعية على استمرار عدم المساواة وكيفية نشوء الصراعات عندما تتنافس مجموعات مختلفة على الموارد والسلطة. ومن خلال دراسة التفاعل بين الطبقات الاجتماعية، يهدف كوزر إلى تسليط الضوء على الآليات التي يحدث من خلالها التغيير المجتمعي (Coser, 1992: 18). وقد قام كوزر أيضًا بدمج التحليلات النفسية والاجتماعية في عمله، معترفًا بأهمية علم النفس الفردي في تشكيل السلوك الجماعي واستكشف كيف تساهم العوامل النفسية مثل الإحباط والعدوان وتكوين الهوية في الصراعات الاجتماعية. وأكّد بأنّ الصراع هو الجانب المتأصل والضروري من الحياة الاجتماعية. وأعرب عن اعتقاده بأن الصراع يخدم وظائف مهمة في

المجتمع، مثل تعزيز التغيير، وتحدي هياكل السلطة القائمة، وتعزيز التماسك الاجتماعي (Wirawan,2012:82-85). ونبع انتقاد كوزر للبنائية الوظيفية من اعتقاده بأنها فشلت في الاعتراف بالتعقيدات والتناقضات داخل الأنظمة الاجتماعية. وأكد أنّ الوظيفيين مثل بارسونز ركزوا كثيرًا على الجوانب المتناغمة للمجتمع بينما أهملوا التوترات والصراعات المتأصلة الموجودة داخله. ومن خلال التقليل من أهمية دور الصراع، قدم الوظيفيون صورة غير كاملة للواقع الاجتماعي.

٢-٣. أنواع الصراع الاجتماعي عند كوزر

يوفر تصنيف كوزر للصراع على أساس درجة التنظيم المعياري داخل النظام الاجتماعي رؤى قيمة لفهم أنواع مختلفة من الصراعات. ومن خلال التمييز بين الصراعات الواقعية وغير الواقعية، يسلط كوزر الضوء على التأثيرات المتنوعة لهذه الصراعات على عمل النظام الاجتماعي (Coser, 1992: 18). ويصنف كوزر الصراع الاجتماعي كالآتي:

الف) الصراع الواقعي: ينشأ هذا الصراع من الاختلافات المتأصلة في وجهات النظر والأهداف والاهتمامات بين الأفراد والجماعات داخل الهيكل التنظيمي. ويكون الصراع الواقعي ليس مدفوعًا بالعداء الشخصي أو العوامل العاطفية، بل بالحاجة إلى التنقل والتفاوض ضمن القواعد واللوائح المعمول بها. تلعب السلطات دورًا حاسمًا في الصراع الواقعي، لأنها هي التي ترسم الحدود والتوقعات للسلوك داخل المنظمة. وقد تنشأ الصراعات عندما يكون لدى السلطات المختلفة رؤى أو تفسيرات متضاربة لهذه القواعد، مما يؤدي إلى خلافات حول كيفية تنفيذ المهام أو تخصيص الموارد (Haryanto, 2012: 51-53).

ب) الصراع غير الواقعي: يمكن أن ينشأ الصراع غير الواقعي عندما يشعر الأفراد أو المجموعات بالإقصاء أو التهميش من المشاركة في المطالب الاجتماعية والشخصية. وتشير المصالح الخاصة إلى الاحتياجات أو الرغبات أو الاهتمامات المحددة لبعض الأفراد أو المجموعات التي قد لا تتماشى مع المصالح الأوسع للمجتمع أو أصحاب مصلحة الآخرين المشاركين في الصراع. ويمكن أن تستند هذه الاهتمامات الخاصة إلى عوامل مختلفة مثل التحيزات الشخصية، أو الاختلافات الثقافية، أو الدوافع الاقتصادية، أو الأيديولوجيات السياسية (المصدر نفسه: ٥١-٥٣).

ج) الصراع الخارجي: غالبًا ما تتغذى الصراعات على المستويين الوطني والدولي على مجموعة متنوعة من العوامل، بما في ذلك الاختلافات السياسية والاقتصادية والأيديولوجية. ويمكن أن تنشأ هذه الصراعات بسبب النزاعات الإقليمية، أو التنافس على الموارد، أو الصراع على السلطة، أو حتى المظالم التاريخية. ويمكن أن تظهر في أشكال مختلفة مثل الحروب أو النزاعات التجارية أو التوترات الدبلوماسية أو الصدامات الأيديولوجية. والصراع العرقي هو نوع آخر من الصراع الذي يحدث داخل الدولة أو المنطقة. وينشأ عندما يكون لدى المجموعات العرقية المختلفة داخل المجتمع مصالح متنافسة أو عندما يكون هناك تهديد محتمل لهويتهم الثقافية أو حقوقهم (بن عون، ٢٠١٢: ٨٥-٨٦).

د) الصراع الداخلي: وتعمّق كوزر أكثر في المنظور الماركسي، الذي يفترض أن الصراع الداخلي ينشأ بسبب التناقضات المتأصلة داخل البنية الاجتماعية. ووفقًا لوجهة النظر هذه، تظهر الصراعات نتيجة للصراع الطبقي، والتوزيع غير العادل للموارد، وديناميكيات السلطة داخل المجتمع. وسلط كوزر الضوء على كيف يمكن أن تؤدي هذه الصراعات الداخلية إلى اضطرابات اجتماعية واحتجاجات وحتى ثورات. بالإضافة إلى ذلك، استكشف كوزر الميول النفسية التي تساهم في الصراع الداخلي. وشدّد على دور الرغبات الفردية والطموحات والصراعات الشخصية داخل المجموعة أو

المجتمع. وقد تنبع هذه الصراعات الداخلية من عوامل مثل القيم أو الأهداف أو المعتقدات المتضاربة بين الأفراد (المصدر نفسه: ٨٧).

٣. تمظهرات الصراع في رواية «أدركها النّسيان»

سنحاول في هذا الجزء من البحث أن ندرس أنواع الصراع وأسبابها في النص الروائي، ونعالجها بالتحليل والتوضيح وفق نظرية الصراع الاجتماعي للويس كوزر.

٣-١. الصراع الواقعي

تلعب السلطات دورًا حاسمًا في الصراع الواقعي، لأنّها هي التي تضع الحدود والتوقعات للسلوك داخل المنظمة. وتساعد هذه الحدود والتوقعات في إنشاء إطار لكيفية تفاعل الأفراد والجماعات وتعاونهم وتحقيق الأهداف المشتركة. ومع ذلك، بالرغم من هذه المبادئ التوجيهية، غالبًا ما تنشأ الصراعات بسبب الاختلافات المتأصلة في وجهات النظر والأهداف والمصالح بين الأفراد والجماعات. وتعدّ وجهات النظر المتنوعة نتيجة طبيعية لوجود أشخاص من خلفيات وتجارب وخبرات مختلفة يعملون معًا. فضلا عن ذلك، يمكن أن تنبع الصراعات أيضًا من التنافس على الموارد المحدودة. عندما يدرك الأفراد أو الجماعات أن مصالحهم تتعرض للخطر أو أنهم لا يحصلون على نصيبهم العادل من الموارد، يمكن أن تتصاعد التوترات (حاجتي وصفايي، ١٣٩٢: ٥٠-٥١). من هنا فإنّ غياب الانسجام والتوازن في مدلولات نظرية الصراع، ينشأ من المنافسة المتأصلة والصراع على الموارد داخل المجتمع. ووفقًا لهذا المنظور، فإنّ الأفراد والجماعات يتنافسون باستمرار على السلطة والثروة والسيطرة على الموارد الشحيحة.

ويمكن أن ينشأ الصراع الاجتماعي الواقعي من مصادر مختلفة، مثل عدم المساواة الاقتصادية، أو الاختلافات السياسية، أو الصدامات الثقافية. ويصف لويس كوزر الصراع الاجتماعي على أنه: «نضال حول قيم، أو أوضاع معينة أو قوة أو حول موارد محدودة أو نادرة» (بن سلامة، ٢٠٠٦: ١٣). وتبدأ صفحات رواية «أدركها النّسيان» بعذابات بطلي الرواية الضحاك سليم وبهاء الحمراء واحتراقتهما، فهما يرويان صراعهما المرير مع السلطة المستبدة منذ الطفولة. وإنّ العلاقات القاسية السلطوية التي تصوّرها شعلان في الرواية نتيجتها الحرمان الدائم والخوف الملازم في المجتمع، فالفرد «محاصر ودائرة الحصار تضيق باستمرار، فيضطر بفعل اليأس للانشغال بتدبير شؤونه الخاصة، وتحسين أوضاعه المعيشية المادية على حساب كرامته وإنسانيته وطاقاته الإبداعية. لقد سلبته هذه المؤسسات حقوقه وحرياته في السيطرة على إنتاجه في مختلف الحقول» (بركات، ٢٠٠٦: ٨). ويرى كوزر كباقي منظري الصراع الاجتماعي بأنّ هذه المنافسة تؤدي إلى عدم المساواة الاجتماعية والطبقية. ويعتقد أنّ اللذين يمتلكون المزيد من القوة أو الدخل أو الممتلكات، لديهم ميزة على الآخرين في المجتمع تسمح لهم بالحفاظ على موقعهم المميز مع استغلال من لديهم موارد أقلّ، بحيث يكون المواطن عندها مكفوف الأيدي إمّا أن تُداسَ كرامته أو يثورَ ويطعمَ نفسه للموت، أو ينسحبَ ويهاجرَ بعيدًا عن أرضه التي تذيقه العذاب والألم ليجد الكرامة والطمأنينة والعدالة في بلاد أخرى. فالضحاك «عاش في الشارع حياة الكلاب والقطط والجرذان والكائنات الظلامية المجهولة، وتشاجر مع هوام البشر والحيوانات لينتزع اللقمة من المزابل وحاويات القمامة» (شعلان، ٢٠٢١م: ١١). وتمثّل هذا الصراع في أفعال البطل وأقواله منذ طفولته واستمر هذا الإحساس والازدراء مما أدى به إلى جلاء الوطن.

وفي الجانب الآخر يعتبر علم الاجتماع الحديث أنّ الصراع الاجتماعي هو مصدر التغيرات والتحولات الاجتماعية، التي يواجهها المجتمع في طريقه. وإنّ الصراع لا ينفي حقيقة أنّه لكل مجتمع أو كل صراع اجتماعي نسبة معينة من التماسك، ويمكن القول إنّ الصراع الاجتماعي لا يخلو من الوظيفة التماسكية أحيانًا. ولذلك كانت نظرة كوزر إلى الصراع الاجتماعي هي وجهة نظر مختلفة حتى اعتبر الصراع الإيجابي نوعًا من الصراع على القيم، وعلى المكانة والموارد الاجتماعية (كوزر، ١٣٨٤: ٢١). وكانت بهاء الحمراء (بطلة الرواية) وحيدة ومخذولة من المجتمع، فلم يكن أمامها سوى الانسجام مع المجتمع والغوص في غياهب الظلام والرذيلة؛ حيث تقول: «الآن أشعر أنّني متّسقة مع كل ما حولي وداخلي، فأنا نخرة ومتعبة وخائنة ومهزومة، مثل كل ما حولي من أوطان ورموز وتاريخ ومآلات وبشر وأزمان» (شعلان، ٢٠٢١: ٢٤٠). فالبطلة تعكس لنا مجتمعًا ظالماً مهيمنًا على أفراده يطعمهم الألم والمنفى. ولا يقتصر التعدي إلى ذلك، بل نجد الاستغلال الطبقي والظلم والقهر والفجوات العميقة بين الفقراء والضعفاء من ناحية والأقوياء والأغنياء من ناحية أخرى. فهذا السرد المأساوي يطلعنا على معاناة بهاء وصراعها الدامي في المجتمعات العربيّة السلطوية، وهو كشف يسير بشكل ملحميّ في صراع مستمرّ لسبعين عام من عمر بطلي الرّواية. من هنا تشكل الحكومات الاستبدادية ورجال السّلطة صراعًا واقعيًا مع أبناء المجتمع، وتخنق أصوات الأحرار والفدائيين الأشراف ببطش وتجبّر.

ويشير هذا الخط من التفكير إلى أنّه مع اشتداد الصراعات داخل هيكل أو منظمة، تميل أنماط معينة إلى الظهور. وأحد هذه الأنماط هو تقليل التمايز داخل الهيكل، ويشير التمايز إلى تقسيم العمل وتخصص الأدوار داخل المنظمة. وفي أوقات الصراع الشديد، قد يصبح الأفراد أكثر تركيزًا على حل الصراع بدلًا من أداء مهامهم المتخصصة. وهذا يمكن أن يؤدي إلى عدم وضوح الأدوار والمسؤوليات مما يؤدي إلى تقليل التمايز. وفي الوقت نفسه، قد يتعرّض الاستقرار والتماسك الداخلي للهيكل للخطر أيضًا أثناء الصراعات الشديدة. وغالبًا ما تخلق الصراعات انقسامات وفصائل داخل المنظمة، حيث يصطف الأفراد مع وجهات نظر أو اهتمامات مختلفة. يمكن لهذه الانقسامات أن تضعف التماسك العام واستقرار الهيكل، مما يجعله أكثر عرضة لمزيد من الاضطرابات. في مثل هذه المواقف، ربما تتخذ المركزية طبيعة استبدادية. وتشير المركزية إلى تركيز سلطة اتخاذ القرار على مستويات أعلى داخل المنظمة بدلًا من توزيعها على مختلف المستويات أو الأقسام. ثمّ إنّ الذين يملكون السلطة قادرون على تحديد ما يعتبر شرعيًا ومقبولًا، في حين أنّ الذين لا يملكون القدرة والقرار سيخضعون للحرمان والاستغلال. فمثلاً كان «ثابت السردي» أحد الشخصيات المناضلة التي ثارت على المحتلين الذين دخلوا بلاده بناءً على الإرادة الدولية وخيانة الحكام المستبدين لسرقة بلده، يلخّص لنا حكاية شعبه في «التشريد، والحرمان، والظلم، والقسوة، والسجن، والتعذيب، والإبادة الجماعية، والموت، والعنصرية، والفراق في ظل السجن أو النفي أو القتل أو الترهيب والملاحقة» (المصدر نفسه: ١٢٩). وهذا ينبع من التفاوت في النظام الاقتصادي؛ لأنّ أحد الأسباب الرئيسة التي حدّدها كوزر للصراع الاجتماعي هو التوزيع غير العادل للثروة داخل المجتمع. ولاحظ كيف أنّ نسبة صغيرة من الأفراد تمتلك قدرًا غير متناسب من الموارد والسلطة، بينما يكافح جزء كبير من السكان لتلبية احتياجاتهم الأساسية. وأدى هذا التفاوت الصارخ في الثروة إلى خلق بيئة مهيأة للصراع حيث أصبح الذين شعروا بالتهميش والحرمان يشعرون بالإحباط بشكل متزايد بسبب ظروفهم. فضلا عن ذلك، أدرك كوزر أنّ هذا التوزيع غير العادل للثروة غالبًا ما تديمه عوامل نظامية مثل الفساد والمحسوبية وانعدام الشفافية (Coser, 1992: 35). وقد أدّت هذه العوامل إلى تآكل الثقة في النظام السائد وأدّت إلى سحب شرعيته.

٣-٢. الصراع غير الواقعي

يضع كوزر في دراسة الصراع الاجتماعي عوامل الصراع في المجتمع نصب عينيه؛ ويرى وجوب معرفة عوامل الصراع وأهدافها؛ لذا يشدّد على وجوب تفكيك عوامل الصراع ومستخدميها وما يصبون إليه حتى نتمكن من معرفة الصراع ونقوم بتحليله (كوزر، ١٣٨٤: ١٢). وهذه المقابلة كانت تشكل صراعًا عنيفًا في الرواية؛ لأنّ السلطة وهي الطرف الأهم في هذا الصراع تعطي الأولوية لاحتياجاتها ورغباتها على المصالح الأوسع للمجتمع، وفي الطرف الآخر يظهر المواطن المهمش والشعب الفقير. وهذا يسلط الضوء على اختلال توازن القوى حيث يسيطر من هم في مواقع السلطة على القدرة والنفوذ، بينما يتجاهلون رفاهية وتطلعات الأفراد المهمشين. ونتيجة لذلك، تظهر التحيزات الشخصية والاختلافات الثقافية داخل المجتمع الروائي، والذي بدوره ينتهي إلى الصراع غير الواقعي. ويعكس الاستبعاد الذي يعاني منه بطلا الرواية، نمطًا أوسع من الظلم الاجتماعي وعدم المساواة داخل المجتمع؛ فهو يثير تساؤلات حول من يملك السلطة، ومن يُسمح له بالمشاركة الكاملة في المجتمع، حيث «تظهر في ظروف مادية اجتماعية معينة أصنام تقف حجر عثرة في طريق المعرفة الموضوعية، وتمارس سيطرة ونفوذًا على تفكير الإنسان وطريقة معالجته للموضوعات؛ وحين تنشر الفئة الاجتماعية خرافة، أو وهمًا، أو فكرة، فإنها تربطها بمفهوماتها العامة عن الحياة التي انبثقت من الحالة الاجتماعية، والتي تتميز بوجود الأصنام، فتتعصب لها، وتتهم كل فكرة معارضة لا تتفق وتلك المفهومات، بالمروق، والانحراف، والهدم، والشذوذ، حتى تظهر تلك المفهومات، فتصبح أوهاما تمنع الفئة الاجتماعية المذكورة من استحسان ما لدى الآخرين من آراء وقيم، فينشأ حال من القلق والارتباك، والشك، والتهاتر، والرياء، والنفاق، وتضيع المقاييس الخلقية» (الطاهر، ٢٠١٦: ٦). لذا ترى انتكاسات للقيم وتحولات لأخلاق هذا المجتمع. ومن هنا تشاهد هذا المجتمع المتداعيَ لا يعير أي أهمية للإصلاح والإبداع وتجرفه موجة التزوير والكذب، حيث يستخدم كل السبل كي يصل إلى مبتغاه: فيسير «عيسى الإقبالي متستر بالمظاهر الدينية ويراها تتحقق ما يصبو إليه من مكانة وسمعة عالية فهو يطلب من بهاء ستر شعرها، لكنه يهتك شرفها بكل سهولة، وهو بنفس سلوك شخصية (أفراح الرّمليّ) الذي كان في الميتم معلما ومربيا، لكنه ينتهك كل معايير الشرف. أو ذلك الرجل السكير الذي تقطر لحيته من الشراب وهو غاضب على ابنه الذي حلّق لحيته وهي من رموز الدين الجليلة وليلتها كان عند بهاء يمارس البغاء والدعارة» (شعلان، ٢٠٢١: ١٤٠). ففي التواصل والتفاعل داخل المجتمع، تجدّ جهات تتنافس وتتقاتل للحصول على مجموعة من القيم أو للحفاظ عليها، وثمة جهات متبادلة الخطابات والجهود المبذولة لتهميش الخطاب، فالتنافس والصراع الخطابي يحدث من أجل الحفاظ على القيم داخل جماعة أو شعب معين، وفي الواقع فإنّ وجود مركزية مشتركة بين الأفراد والجماعات البشرية والسعي للحفاظ عليها يسبب المواجهة بين الجماعات البشرية التي تدافع عن تلك المركزية مع الجماعات الأخرى (إلياسي مفرد وقاسمي أصل، ١٤٠١: ٣٢٧).

ومن القيم التي حاولت السلطة الحفاظ عليها والقتال من أجلها هي تهميش شخصية المرأة وتقليص دورها الاجتماعي حتى لا تجد مفرًا إلا اللجوء إلى أصحاب السلطة والاعتراف بضعفها وقدرتهم، ولم يكن أمام المرأة سبيلًا إلى إرضاء الآخر لنيل غايتها. فتجد هذا المجتمع متصارعًا حتى مع نفسه، يسقط في هاوية الانحراف برمته. فهذه بهاء تصف لنا الحالة السائدة في المجتمع: «دار البغاء التي أسّستها على أرقى طراز لأجل الطبقة المخملية في المجتمع، واستقطبت لها جميلات المومسات، وسيدات الأشراف المزوّرات ليمارسن فيها هوايتهنّ في التردّي والسقوط والتعهّر، وقدمت فيها مغريات كبيرة كي أجذب إليها أهل القلم والصحافة والكتابة والفكر» (شعلان؛ ٢٠٢١: ١٤٢). من هنا يبدأ الصراع الذي تمّ قمعه في الظهور على السطح، والإحساس بالخطر المرتبط بالصراع ينشأ من الإخلال بالتوازن القائم داخل المجموعة

الاجتماعية. وغالبًا ما ينظر النّاس إلى الصراع على أنه تهديد محتمل لعلاقاتهم أو الوضع الراهن أو حتى هويتهم داخل المجموعة. وهذا الخوف يمكن أن يدفع الأفراد إلى قمع مشاعرهم وآرائهم الحقيقية من أجل الحفاظ على الاستقرار وتجنب أي عواقب سلبية محتملة. لذا تصبح الرؤية عاتمة فتقول بهاء: «كل شيء حولي أصبح خاسرًا بامتياز؛ المدن والمواطنون والأفكار والأحداث والمذعنون والرافضون، جميعهم الآن خاسرون، لا شئ هناك في الأفق سوى الخسارة، والجميع ضلّوا الدّرب في متاهة تاريخية مخيفة ينزلقون فيها دون مقاومة» (المصدر نفسه: ١٨٧). من هنا نجد شخصيات مثل الكاتبة التي اشترت ألقابها بالمال، والأديبة الشهيرة (سهر قوت القلب) الرخيصة، تحظى بمناصب رفيعة ومكانة وثراء في المجتمع و(محب وهبات) تاجر السلاح والمخدّرات والنساء و(هملان أبو الهيبات) المخنّث الذي أصبح قائدًا سياسيًا ومهرّبًا للسلاح في الخفاء يتّخذ القرارات ويحدد خطوات الوطن ومصيره.

٣-٣. الصراع الخارجي

تكون هذه الصراعات في الغالب معقدة ومتعددة الأوجه، حيث تتشابك عوامل متعددة وتؤدي إلى تفاقم الوضع. وغالبًا ما ينبع الصراع العرقي من المظالم التاريخية، أو النزاعات الإقليمية، أو التوزيع غير العادل للموارد والسلطة بين المجموعات العرقية المختلفة. ويمكن تأجيج هذه الصراعات عن طريق التلاعب السياسي، أو الفوارق الاقتصادية، أو الاستبعاد الاجتماعي، مما يؤدي إلى تفاقم التوترات بين المجتمعات. وإحدى العوامل الرئيسة التي تساهم في الصراع العرقي هو تصور وجود تهديد للهوية الثقافية أو الحقوق. وعندما يشعر الأفراد أنّ لغتهم أو عاداتهم أو تقاليدهم أو ممارساتهم الدينية تتعرض للتهميش أو القمع من قبل مجموعة مهيمنة أخرى، فقد يؤدي ذلك إلى استياء وعداء عميقين. وهذا الشعور بانعدام الأمن الثقافي يمكن أن يدفع الناس إلى التعبئة على أسس عرقية والسعي إلى حماية تراثهم (بن عون، ٢٠١٢: ٨٥-٨٨). وتستخدم الكاتبة شخصية الضحاك لتسليط الضوء على القوة التدميرية للأنظمة السياسية التي تعطي الأولوية للسيطرة على رفاهية مواطنيها. ومن خلال تجاربه وتأملاته، يواجه الواقع القاسي المتمثل في أن وطنه كان مكانًا للمعاناة واليأس؛ «فهو لم يرغب في أن يقرأ أكثر عن الثورات والثائرين والموت والكذب والخديعة والمؤامرة في الشرق الدامي» (شعلان، ٢٠٢١: ١٩٥). ففي كل حالة صراع، نرى مجموعة من الأهداف المحددة أو الخفية لكل من أطراف الصراع، وفي المجتمع يكون وجود سلسلة من الأهداف هو حلقة الوصل بين أفراد ذلك المجتمع أو المجموعة والمنظمة، والاستيلاء على السلطة أو إنتاجها من أجل تحقيق الأهداف التي يتبعونها. ولذلك فإنّهم يسعون جاهدين لإنتاج قوة وهيمنة خاصة تقودهم إلى أهدافهم، وبهذه الطريقة يكونون في مواجهة مع شعوب وجماعات أخرى، والجهد المبذول لتحقيق الأهداف يمكن أن يكون عاملًا لصراعات سياسية واجتماعية واسعة النطاق. ويخلق أدوات مختلفة لقمع الآخرين في الصراع والمواجهة. سواء كان ذلك في مجال السياسة أو المجتمع، فالنّاس لديهم اهتمامات وميول مختلفة، ولكن ما يجمعهم هو نفس الأهداف التي هي أساس المواجهة مع الآخرين والجماعات، وتقودها إلى إنتاج القوة أو ضرورة القتال، ويعتقد كوزر أنّ مصدر تضارب المقاربات ينبعث عندما تتجمع الجماعات البشرية بوعي وتوفر جزءًا من أدواتها ومواردها الشخصية لمركزية مشتركة من أجل اكتساب القوة لتحقيق أهدافها (كوزر، ١٣٨٤: ١٢). فهذه الأهداف والتضاربات هي التي أذاقت بهاء الويلات في منظمة التعليم السائدة في المجتمع المتمثلة بالمعلم أفراح الرملي حين أصبحت ملهاة في يده فقدت الحبَ والانتماء لوطنها ومجتمعها. وانطلاقًا مما سبق يمكن القول إنّ الصراع الخارجي هو حالة عدم التفاهم واختلاف مقصود وعدم توافق نتيجته حالة توتر واضطراب داخل المؤسسة أو خارجها مما يؤدي إلى تعطيل نشاطها، وذلك

أن أحد أطراف الصراع يسعى إلى إعاقة وتعطيل أهداف أو مصالح الآخرين بغرض الحصول على امتيازات تحقق أهدافه وتساعده في تلبية رغباته وحاجاته، ومع أنّ هذا الصراع الاجتماعي ينشأ كنتيجة لتعارض المصالح والأهداف، وعدم تحديد المسؤوليات ونقص الموارد حتى اختلفت رؤية بهاء عن الطبقة المترفة المخملية؛ آية ذلك أنّها تقول في الدافع وراء كتابة حكايتها: «ليس المرض الذي فتك بي هو من يدفعني الآن إلى الكتابة له بل هي رغبتي في أن أتطهر من النجس الذي علق بي في رحلتي المضنية في حلبة الصراع الشرس غير المتكافئ بين امرأة وحيدة معدمة وبين حياة متوحشة متنمرة» (شعلان، ٢٠٢١: ٥٤). وتُعرف الصراعات التي تنتجها القرارات البشرية، بالصراعات السلوكية أو صراعات الأدوار في علم الاجتماع، ولا يمكن وصف الصراعات التي تركز على الصراع بين أفراد أو مجموعات بشرية متعددة على هذا النحو ببساطة. وتجلّت هذه الصراعات بصورة واضحة في الحالة التي يعيشها الإنسان عامة والفرد العربي خاصة، من حيث «أصبح الفرد في المجتمعات الحديثة مهووسًا بفيروس السلطة، إنّه حامل لسلطة تلاحقه وتتعقله في كل حركاته وسكناته، فلم يعد بمستطاع الفرد التخلص منها أو الإفلات من قبضتها، إنّها كالعنكبوت تنسج خيوطًا في كل مكان وتعكس معرفة دقيقة بجغرافية الجسد لا الخارجية فحسب، بل الداخلية أيضًا» (موسى، ٢٠٠٩: ١٢٨). فأسباب الغربة والاغتراب ليست وليدة اليوم بل هي متأصلة في المجتمعات البشرية إلا أنّها تختلف من مجتمع لآخر، وبالرغم من اختلافها فإنها تؤدي بالنهاية إلى الاغتراب (تميم، ٢٠٠٣: ٨٧). وكذلك ظهرت هذه الصراعات في التعامل مع الآخر/المرأة داخل هذا المجتمع، والتي يصنفه كوزر ضمن الصراعات الخارجية، لأنّ العامل الاجتماعي من أكثر العوامل تأثيرًا على واقع المرأة حيث يطعمها الضياع ويشعرها بالدونيّة مقابل الرجل الذي طالما كان المسيطر الأول وكان يضع القوانين لتحكيم قبضته عليها حيث تتمثل هذه الحالة المنحطة في سلوك بهاء عند الميتم، وبعد ذلك حين كبرت ودخلت حلبة المجتمع الشرسة؛ لا تستطيع دفع الظلم المتمثل بسلوك المعلم «أفراح الرملي» الذي يمثل الفئة المبتذلة، عن نفسها و«كان عندها في نهاية العقد الخامس من عمره، لكنه كان يملك شهوة صياد في عنفوان شبابه، شهوته هذه كانت تدفعه إلى اصطياد إناث الميتم الواحدة تلو الأخرى، لم يخرج من الميتم عندما تقاعد عن العمل في سن الستين إلا وقد اصطاد نساء الميتم جميعهنّ، لقد طوّف على أجساد اليتيمات الواحدة تلو الأخرى» (شعلان، ٢٠٢١: ٨٦). ولا تتخلص البطلة من هذا الشعور طيلة حياتها؛ حتى وصلت إلى هذه القناعة بأنّها دون الرجل في المكانة، وأنها خلقت كي تلبي حاجات الرجل. ولا يقتصر أثر غياب التوازن والانسجام على معيشة الأفراد ومواردهم المالية، بل يتعدى إلى فكرهم وطموحهم وآمالهم. فترى الصراع بين المواطن والسلطة يولد حالة الاغتراب ويميت أحلامهم، ويستشري الشعور بالغربة داخل المجتمعات بسبب الأوضاع الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية وغيرها (تصديقي مؤخر وآباد، ٢٠٢٣: ٩١). وعندما يصل المجتمع إلى هذه المتاهات لا يبقى أمام المرأة طريق سوى الولوج في مستنقع الرذيلة والفساد لا سيما وأن «بهاء اليتيمة لا أصل أو جذر لها في الحياة التي ولدت على قارعة درب من دروبها» (شعلان، ٢٠٢١: ٦٢). وأما أسباب الاستلاب عند المرأة الضعيفة فلم تكن حصرًا على الظلم الاجتماعي بل يمنعها الآخر/الرجل؛ ويسلط هذا الواقع المأساوي الضوء على القمع والاستغلال المنهجي الذي تواجهه العديد من النساء في المجتمعات الذكورية. وإن نقص الفرص والتعليم والدعم للنساء مثل بهاء الحمراء يجعلهن عرضة للتلاعب وسوء المعاملة من قبل من هم في السلطة، حيث «خسرت شرفها وفرصها وروحها وحياتها وآمالها وفرح وكبرياءها وصحتها وحلمها في الكتابة والشهرة الأدبية والتحقّق المشرف» (شعلان، ٢٠٢١: ٧١). ولم ينته صراعها بل كابدت حتى آخر محطة من حياتها، وأما بالنتيجة فاستسلمت لواقعها المرير؛ واختارت النّسيان كي تفر من الواقع إلى عالم الخيال لتنسج لها حكاية كانت تطمح بها.

٣-٤. الصراع الداخلي

يفترض المنظور الماركسي أنّ نشأة الصراع الداخلي هي وليدة التناقضات المتأصلة داخل البنية الاجتماعية. والتعمّق الأكثر للمنظور الماركسي ساعد كوزر كي يفهم أنّ الصراع الداخلي نتيجة للتناقضات وعدم المساواة المتأصلة داخل البنية الاجتماعية، لأنّ المجتمع هو أكبر عدد من البشر الذين يتفاعلون لتلبية احتياجاتهم الاجتماعية ويعيشون جميعًا في فضاء ثقافي مشترك (معلوف، ٢٠٠٠، ج١: ١٠١). ومن وجهة النظر الماركسية، ينقسم المجتمع إلى طبقات مختلفة بناءً على علاقتها بوسائل الإنتاج. ووفقًا لهذا الرأي تنشأ الصراعات في المقام الأول بسبب الصراع الطبقي، وأنّ البرجوازية التي تمتلك وسائل الإنتاج وتسيطر عليها، تستغل البروليتاريا التي تضطر إلى بيع عملها من أجل البقاء. ويخلق هذا التوزيع غير العادل للموارد توترًا متأصلًا بين هاتين الفئتين، حيث إنّ مصالحهما وأهدافهما تتعارض بشكل أساسي مع بعضها البعض. فضلا عن ذلك، تلعب ديناميكيات السلطة دورًا حاسمًا في استمرار هذه الصراعات داخل المجتمع. وتمارس الطبقة الحاكمة سلطتها ليس فقط من خلال الوسائل الاقتصادية، بل من خلال السيطرة السياسية والأيديولوجية، ثمّ إنّهم يشكّلون الأعراف والقيم المجتمعية بطرق تعود بالنفع على مصالحهم الخاصة بينما يقمعون الأصوات المعارضة ويحافظون على هيمنتهم. وتبدأ أزمة الفقر والحرمان الذي تعدّ ركيزة أساسية لإفساد البشر حيث يتسبب هذا العجز في الحقد على المجتمع وأفراده. وبما أن هذه الحاجات ضرورية، فإن الشخص المعدم مستعد لفعل أي شيء لتلبيتها؛ وتشكّل «ظاهرة الفقر المتجلية بوجود فجوة عميقة واسعة بين الطبقات الميسورة والطبقات المحرومة الكادحة» (بركات، ١٩٩٨: ١٩). ومن هنا فإنّ الحرمان والفقر يشكّلان صراعًا داميًا داخل المجتمع، وفي الغالب يثيران الشعور والسلوك العدائي. ويشير تحليل كوزر إلى أنه عندما تُترك هذه الصراعات الداخلية دون حلّ، فإنّها يمكن أن تتصاعد وتظهر في أشكال مختلفة من الاضطرابات الاجتماعية. وتصبح الاحتجاجات منفذًا مشتركًا للأفراد للتعبير عن عدم رضاهم عن النظام السائد أو للمطالبة بالتغيير. فالإحباط والغضب الجماعي الناتجان عن الصراعات الداخلية التي لم تتم معالجتهما، يمكن أن يغذيا نار الحركات الاجتماعية، مما يؤدي في النهاية إلى الثورات (بن عون، ٢٠١٢: ٨٧-٨٨).

فالإنسان عندما ينسحق بين الفقر واحتياجاته الأساسية؛ يتأثر ويكتئب وتنتابه حالات القلق والعبث واليأس والوحشة من مجتمعه الذي نبذه وسلب منه جميع حقوقه حتى تتولد لديه مشاعر العزلة وعدم الانتماء واللامبالاة. من هنا نرى هذه المواقف جلية في تصرفات بهاء حيث «ظلّت لسنوات أسيرة الروح والجسد للشياطين البشريين، إلى أن نفذ شبابها الأحمر المثير، فاكتفت عندها بالعزلة التامة» (شعلان، ٢٠٢١: ٦٣). ونتيجة هذه المشاعر هي العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع وخاصة على الطبقة المخملية المنعمة التي تمتص الثروات وخيرات الشعوب الفقيرة وستكون هذه العداوة عميقة وتشكّل ضغائن في نفوس الفقراء. ويؤكّد كوزر أنّ الفئات المحرومة في الغالب عندما ترفع أصواتها تريد أن تسلط الضوء على أوجه عدم المساواة النظامية والدعوة إلى تخصيص الموارد بشكل أكثر عدالة. فبسبب «هشاشة كيان الدولة وبسبب انعدام حال من الاستقلال لديها، تُختزل الدولة من كيان عام مجرد - يفترض أنّه يمثل الشعب والأمة- إلى مجرد أداة في يد فريق اجتماعي محدود ونخبة سياسية ضيقة تعبر عنه. وإنّ ضيق نطاق تمثيلها الاجتماعي والسياسي، واستيلاء قسم من المجتمع والنخب يضعها أمام حال من الاعتراض الاجتماعي والسياسي عليها ويتحوّل إلى سبب دائم لأزمتها. وغالبًا ما تواجه هذه الأوضاع بسياسات دفاعية سلبية قمعية واستبدادية لكفّ ذلك الاعتراض العمومي» (بلقزيز، ٢٠٠٨: ٥٢). وأما فقدان العدالة الاجتماعية في المجتمع فكان سببًا لعديد من الثورات والصراعات.

فالمجتمع الذي صورته الكاتبة متعطش للعدالة والحرية، مضطهد من الداخل والخارج، وعندما يثور أبناؤه بأمل العدالة والحرية تصدهم القوى الكونية الشريرة، حيث تسيطر على ثرواتهم بواسطة حكام خائنين لا يعرفون سوى منافعهم الشخصية؛ وتصور لنا شعلان هذه الحالة متمثلة بردة فعل البطل عندما «استفزه ذلك المقال عن الثورة والثائرين الذي تقوّض، دون أن ترى الأوطان أو الشعوب أيّ بصيص أمل أو حرية أو عدالة، لا شيء سوى الموت والجعجعات والنقيق الموصول دون فائدة أو تحسين، وذلك العدو الكوني الذي يلف العالم بعلمه الشرير، ويذبح العالم باسم الحرية والديمقراطية والإخاء يزفّ الموت إلى كل مكان يذهب إليه» (شعلان، ٢٠٢١: ١٧٣-١٧٤). وفي هذا المجتمع الذي يفقد الحرية والعدالة، يظهر الصراع في مشاعر أبنائه وسلوكهم، ويصبح ديدنهم أن يفكروا بمصالحهم الشخصية ويقدموا منافعهم على غيرهم، وإن أدى ذلك إلى طمس الحق والفطرة السليمة، وهذا ما ينصّ عليه كوزر في تعريفه للصراع. وفي الغالب تكون الفئة الضعيفة والمنكودة هي المتضررة والمسحوقة تحت حذافير التمييز والاضطهاد؛ وهذا ما يتبين في سلوك بهاء فـ«لا عجب أن أسرق منحة علاجي من امرأة أخرى فقيرة منكودة، مادامت البدائل أمامي معدومة، والدرب الوحيد المتاح أمام الجميع هو السرقة والحرابة، وليس أمامي للعلاج والهروب من الألم سوى سرقتها من غيري من البشر، حتى ولو كان يعني ذلك أن تموت تلك المرأة الفقيرة المريضة، وأظفر أنا بالحياة والصحة» (المصدر نفسه: ٢٤١). وعند تقسيم المجتمعات يوضح كوزر أن المجتمعات المغلقة توفر إمكانية الصراع والتصادم أكثر من غيرها، ويمكن أن ينجرّ هذا النمط المنغلق والجامد للمجتمع إلى عوامل مختلفة. وإحدى هذه العوامل هي الحفاظ على ديناميكيات السلطة والتسلسل الهرمي الذي يفيد قلة مختارة. وغالبًا ما يفضل الهيكل الحالي أولئك الذين يشغلون مناصب السلطة، مما يسمح لهم بالحفاظ على سيطرتهم على الموارد، وعمليات صنع القرار، والتوجيه العام للمجتمع. ونتيجة لذلك، ينشأ الصراع حول قضايا قد تبدو تافهة أو حتى مفتعلة. وتتسع «مساحة العبث حينما يطول الفساد صحة الأمة، حيث تعالج شرائح القمة بأرقام فلكية على حساب الدولة ومن ميزانيتها، بينما لا يجد الفقراء ما يحافظ على حدّ أدنى، من الرعاية أو الحماية الصحية. يعالج مرضى قمة المجتمع في ظل حالة من الترف والرفاهية، بينما يقترب المرضى في قاع المجتمع من الموت، بسبب العجز عن الحصول على تكاليف العلاج، ومن الطبيعي أن يولد ذلك مشاعر سلبية رافضة من القاع تجاه القمة، تزيد من مساحة التباعد وتدمر تماسك المجتمع» (ليلة، ٢٠١٥: ٢٧).

وهناك مجموعات تحاول من أجل إثبات وتعزيز موقفها الصحيح والتعبير عن خياراتها وتصوراتها العدائية، أن تقابل مجموعة لديها سلوك تصادمي، وهنا يتمّ كسر استمرارية العلاقة بين المجموعتين من خلال مثل هذه التفاعلات. وتسعى هذه القضايا غير الواقعية بمثابة إلهاء عن المشاكل الأساسية التي يعاني منها المجتمع، وصرف الانتباه بعيدًا عن الأمور الأكثر إلحاحًا مثل عدم المساواة الاجتماعية، أو الفوارق الاقتصادية، أو الظلم المنهجي. وهذا التلاعب بالخطاب العام يزيد من استمرار الطبيعة المنغلقة للمجتمع، ويمنع الحوار الهادف والتقدم. ويلقي فحص كوزر للميول النفسية الضوء على الديناميكيات الأساسية التي تساهم في الصراع الداخلي داخل المجموعات أو المجتمعات. ويصرّ على أنّ رغبات وطموحات الأفراد غالبًا ما تتعارض مع رغبات وطموحات الآخرين، مما يخلق أرضًا خصبة للتوتر والخلاف. يمكن أن تنشأ هذه الصراعات الشخصية بسبب وجهات نظر مختلفة، أو مصالح متنافسة، أو حتى صراعات على السلطة داخل المجموعة (المصدر نفسه: ٨٧-٨٨). فضلا عن ذلك، تلعب القيم أو الأهداف أو المعتقدات المتضاربة بين الأفراد دورًا مهمًا في توليد الصراعات الداخلية. وعندما تظهر لدى النّاس وجهات نظر متباينة حول القضايا الأساسية مثل الأخلاق أو السياسة أو الدين، يصبح من الصعب إيجاد أرضية مشتركة وإقامة علاقات متناغمة؛ وقد تزيد هذه الصدامات في القيم

والمعتقدات. ولا ننسى أنّ العواقب المترتبة على هذا النمط المغلق بعيد المدى وضارة، ومع تصاعد الصراعات حول قضايا سطحية، ترتفع التوترات والانقسامات العميقة داخل المجتمعات. ويؤدي الافتقار إلى قنوات اتصال مفتوحة وفرص للحوار البنّاء إلى تفاقم هذه الصراعات، مما يدفع الأفراد أو الجماعات نحو اتخاذ تدابير أكثر تطرفًا لإسماع أصواتهم.

النتيجة

بعد هذه الرحلة المتواضعة استوى البحث على عدة نتائج، منها:

أنّ سناء شعلان وظّفت جميع مظاهر الصراع الاجتماعي في رواية «أدركها النسيان» والتي تمثلت في الصراع الواقعي، وغير الواقعي، والخارجي، والداخلي، فأشارت الكاتبة من خلال توظيف هذه المظاهر، إلى المشاكل الموجودة في مجتمعها. وأما الصراع الواقعي فتمثّل في دور السلطة وقراراتها؛ لأنها هي التي وضعت الحدود والتوقعات لسلوك مجتمع الرواية. وكانت الموارد شحيحة أو موزّعة بطريقة غير عادلة؛ ومن هنا راحت بهاء البطلة تفكّر في أخذ حقوقها بصورة غير سليمة، مما تسبَّبَ في دخولها عالم البغي والسرقة. وقد استبعدت السلطة المواطنيين عن القرارات السياسية والمصيرية، لذا بدأت المشاحنات والتوترات تزداد مع السلطة ونشأ الصراع غير الواقعي. ويظهر التصادم بين الضعيف والقوي؛ فثمة فئة قليلة أو هي بيوتات ترتع وتنعم بخيرات الوطن وثرواته، وفي المقابل فئة كبيرة يقتلها الجوع والحرمان، وتذوق مرَّ الفقر جيلًا بعد جيل، مما يؤدي إلى تغريده خارج السرب حيث ترى كلَّ شيء سُلب منها حتى كرامتها. وكانت الصراعات الخارجية نتيجة النظرة الدونية والمحتقرة للآخر/المرأة؛ فرجال مجتمع الرواية لا يحسبون لها حسابًا إلّا عندما تقتضي الحاجة. وفي هذا المجتمع السلطوي تستلب حقوق المرأة بسهولة ومن لم يجد لنفسه معينًا أو عائلًا يكفله ويحميه يصبح فريسة شهية لبائعي الضمير والإنسانية. وأما الصراع الداخلي فيتمثل غالبًا في الأهداف والمعتقدات المتضاربة داخل مجتمع الرواية؛ لأنّ المصالح الشخصية هي الهدف الأساس. وكان الفساد واللامبالاة عاملا أساسيا في تشكيل الصراع حيث يطفو على العقل الجماعي في مجتمع الرواية. فترى المجتمع يكثر فيه الفساد الجنسي ويطغى فيه الشذوذ، ويؤدي ذلك إلى هدم بنيان الأسرة وتفككها. فضلا عن ذلك فإنّ أبناء هذا المجتمع مغتربون يحاولون تحقيق ذاتهم في البلد الآخر أي بلاد الثلج، وهذا الاغتراب يتسبب في عزلته عن المجتمع، ويخلق فيه حالة من القلق والخوف واللامبالاة، حيث تؤدي هذه الحالة إلى زرع بذور الحقد والكراهية فيه، مما ينتهي به إلى أفعال تسبَّبت بخرق التوازن الاجتماعي.

المصادر والمراجع

١. بركات، حليم. (٢٠٠٦). **الاغتراب في الثقافة العربية (متاهات الإنسان بين الحلم والواقع).** ط١. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

٢. _____. (١٩٩٨). **المجتمع العربي المعاصر.** ط٦. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

٣. بلقزيز، عبدالإله. (٢٠٠٨). **الدولة والمجتمع.** ط١. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

٤. تميم، علي. (٢٠٠٣). **السرد الظاهر والظاهرة الدرامية، دراسات في التجليات الدرامية للسرد العربي القديم**. بيروت: الدار البيضاء.

٥. دنكن، ميشال. (١٩٨٦). **معجم علم الاجتماع.** ترجمة محمد الحسن. بيروت: دار الطليعة.

٦. شعلان، سناء. (٢٠٢١). **أدركها النسيان**. ط٢. تامبرة. فنلاندا: مركز التنّور الثقافي.

٧. الطاهر، عبدالجليل. (٢٠١٦). **أصنام المجتمع: بحث في التحيز والتعصّب والنفاق الاجتماعي**. العراق. تورنتو-كندا: المركز الأكاديمي للأبحاث.

٨. عبدالفتاح، محمود رضوان. (٢٠١٢). **إدارة الصراعات والنزعات في العمل**. ط١. القاهرة: المجموعة العربية للتدريب والنشر.

٩. قطيشيات، ليلى. (٢٠١٠). **إدارة الصراع في المؤسسات التربوية**. عمان: مركز الكتاب الأكاديمي.

١٠. كوزر، لوئيس. (١٣٨٤). **نظريه تقابل اجتماعي**. ترجمة عبدالرضا نواح. أهواز: نشر رسش.

١١. كيتلوتش، جراهام. (١٩٩٠). **تمهيد في النظرية الاجتماعية (تطورها ونماذجها الكبرى)**. ترجمه محمد السعيد فرج. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

١٢. ليلة، علي. (٢٠١٥). **النظرية الاجتماعية وقضايا المجتمع: آليات التماسك الاجتماعي**. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

١٣. معلوف، لويس. (٢٠٠٠). **المنجد في اللغة العربية المعاصرة**. ج١. لبنان: دار المشرق.

١٤. معن، خليل معن. (٢٠٠٥). **نظريات معاصرة في علم الاجتماع**. الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.

١٥. موسى، حسين. (٢٠٠٩). **الفرد والمجتمع عند ميشال فوكو**. فنلاندا: دار التنوير.

١٦. بن سلامة. (٢٠٠٦). **أسباب نزاعات العمل في المؤسسة الصناعية الجزائرية**. رسالة لنيل شهادة الماجستير. قسطنطنية: جامعة منتوري.

١٧. بن عون، زبير. (٢٠١٢). **تحليل سوسيولوجي للصراع في الهيئات المحلية المنتخبة**. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع. جامعة قاصدي مرباح ورقلة.

١٨. إلياسي، حسين، وزينب قاسمي أصل. (١٤٠١). «بررسي مفهوم تقابل و غيريت در قصيده خفقة الذري بر اساس نظريه تقابلي لوئيس كوزر». پژوهشنامه نقد ادب عربى. المجلد ١٢. العدد ٢٥. صص ٣٢١-٣٤٩.
DOI: 10.29252/jalc.2023.230339.1210

١٩. تصديقي مؤخر، ندا، ومرضية آباد. (١٤٠١). «بررسى تنهايى و راه‌هاى درمان آن در اشعار عدنان الصائغ بر اساس نگرش وجودي اروين يالوم». زبان و ادبيات عربى. المجلد ١٤. العدد٤. صص ٨٦-١٠٥.
DOI: 10. 22067/jallv14. i4. 2210-1198

٢٠. حاجتي، سمية، وعلي صفايي سنگري. (١٣٩٢). «تحليل اجتماعى‌شناختى اشعار احمد مطر و سياوش كسرايى». زبان و ادبيات عربى. المجلد ٥. العدد ٩. صص ٤٥-٧٩. DOI: 10. 22067/jall. v5i9. 37329

المصادر الإنكليزية

21. Coser. L. A. (1957). *Social Conflict and the Theory of Social Change. The British Journal of Sociology*. *8*(3). 197–207.
22. Haryanto. S. (2012). *Spektrum Teori Sosial dari Klasik hingga Postmodern.* Jogjakarta: AR- Ruzz Media.
23. Wirawan. I. B. (2012). *Teori-Teori Sosial dalam Tiga Paradigma*. Jakarta: Kencana Prenada Media Group.
24. Cozer. L. (1992) . *Les function du conflit social*. traduit par matigman. paris. edition p. u. f.

Refrences

Barakat. H. (2006). *Alienation in Arab Culture (Man's maze between dream and reality);* 1st edition. Beirut: Center for Arab Unity Studies. [In Arabic].
_____. (1998). *Contemporary Arab Society*; 6th edition. Beirut: Center for Arab Unity Studies. [In Arabic].
Belqziz. A. (2008). *State and Society*. 1st edition. Beirut: Arab Network for Research and Publishing. [In Arabic].
Tamim. A. (2003). *Apparent Narrative and Dramatic Phenomenon*. Studies in the Dramatic Manifestations of Ancient Arabic Narrative; Beirut: Casablanca. [In Arabic].
Duncan. M. (1986). *Dictionary of Sociology*. translated by Muhammad Al-Hassan. Beirut: Dar Al-Tali'ah. [In Arabic].
Shaalan. S. (2021). *Forgotten*. 2nd ed. Tampere. Finland: Enlightenment Cultural Center. [In Arabic].
Al-Tahir. A. (2016). *Idols of Society: An Investigation into Prejudice*. Intolerance. and Social Hypocrisy; Iraq. Toronto. Canada: Academic Research Centre. [In Arabic].
Abdel Fattah. M. R. (2012*). Managing Conflicts and Tendencies at Work*. 1st edition. Cairo: Arab Group for Training and Publishing. [In Arabic].
Qtaishiyat. L. (2010). *Conflict Management in Educational Institutions*. Amman: Academic Book Center. [In Arabic].
Coser. Lewis (2004) The theory of social confrontation. translated by Abdolreza Navah. Ahvaz: Rasesh Publishing House. [In Persian].
Kitloch. Graham. (1990). *Introduction to Social Theory (its Development and Major Models)*. translated by Muhammad Al-Saeed Farag. Alexandria: University Knowledge House. [In Arabic].
Laila. A. (2015). *Social Theory and Community Issues: Mechanisms of Social Cohesion*; Cairo: Anglo-Egyptian Library. [In Arabic].
Maalouf. L. (2000). *Al-Munajjid in Contemporary Arabic*; Part 1. Lebanon: Dar Al-Mashreq. [In Arabic].
Maan. K. M. (2005). *Contemporary Theories in Sociology*. Jordan: Dar Al-Shorouk for Publishing and Distribution. [In Arabic].
Musa. H. (2009). *The individual and society according to Michel Foucault*; Finland: Dar Al-Tanweer. [In Arabic].
Ben Salamah. (2006). *Causes of labor disputes in the Algerian industrial enterprise*. Master's thesis. Constantinople: Mentouri University. [In Arabic].

Ben Aoun. Z. (2012). *A sociological analysis of the conflict in local elected bodies*. a thesis for obtaining a master's degree in sociology. University of Kasdi-Merbah Ouargla. [In Arabic].

elyasi. H. & ghasemiasl. Z. (2023). Analysis of the Concept of Opposition and Otherness in the Ode of Khafqa Al-Zhari Based on the Theory of Lewis Cozer. *Arabic Literature Bulletin*. *12*(25). 321-349. Doi: 10.29252/jalc.2023.230339.1210

Tasdaghi M. N. Abad. M. (2023). "Press the end and the end of the day in Adnan Al-Sayegh's poetry on the basis of the discussion of my existence". *Zaban and Arabic literature*. Doi: 10. 22067/jallv14. i4. 2210-1198. [In Persian].

Hajti. S. Safaei Sangri. A. (2013). "A social analysis of the poetry of Ahmed Matar and Siavush Kasraei". *Zaban and Arabic literature*. Doi: 10. 22067/jall. v5i9. 37329. [In Persian].

اللّغة العربية وآدابها (الفصلية العلمية المحكمة)
www.jall.um.ac.ir
الترقيم الدولي الموحد للطباعة: 7217 – 2008
الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: 2681 – 2383

اللّغة العربية وآدابها، السنة السادسة عشرة، العدد ١ (الرقم المسلسل ٣٦)، ربيع ١٤٤٥، صص:٥٨-٣٨

وظائف القرية في شعر محمّد عفيفي مطر، دراسة سرديّة في مجموعاته الشعرية الكاملة

(المقالة المحكمة)

شهريار همّتي (أستاذ مشارك في قسم اللغة العربيّة وآدابها بجامعة رازي، كرمانشاه، إيران)
حامد پورحشمتي (أستاذ مدعوّ في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة كيلان، كيلان، إيران)[1]

Doi: 10.22067/jallv16.i1.75648

الملخّص

تحتلّ القرية مكانةً شاهقةً في حركة الخطاب السرديّ المعاصر ويزهر استدعاؤها السرديّ في رحاب مضامين القصائد وبؤرة صورها المغرية. تمسك القرية بشحنات مفهوماتية مختلفة تتطوّر وظائفها في شتّى المواقف على أساس نوع تعامل الشاعر ومدى علاقاته مع مواضيع ترتبط بالمكان ارتباطاً واقعياً أو حلمياً. بين ألوان الأمكنة المفتوحة، اخترنا القرية في شعر محمّد عفيفي مطر لما تخفيه من قُوّة إيحائية لمعرفة طيات حياته وخاصّة ما يعود إلى ذكرياته السعيدة والمصاعب الّتي تخطر بباله طوال تجاربه الشعرية المختلفة ويدعوه إلى مزيد من التجاوب والانفعال. تمتاز القرية في شعره بتقابلها مع المدينة وما تضمّه من مواقف ثنائية جديدة تساعد الشاعر على تحقيق أسلوب التقاطب المكانيّ فيها؛ لأنّ الشاعر ما زال يسعى أن يقدّم إدراكاً أوسع وأشمل لمعانيها التقليدية العابرة الّتي تسجّلت في ذهن القارئ وينظر إليها بنظرة ذات بصمات انزياحية جديدة. ينظر الشاعر إلى القرية بوصفها مكاناً فيه آليات وملامح سردية مرفقة بدلالات ومعانٍ درامية ثرية ويولي أهمية قصوى لمشاهد قرية مسقط رأسه وحاجات أبنائها أو جودة توظيفها في نطاق الصور الفنّية. الوظائف السردية الّتي تتميز بها القرية في شعره جعلت القارئ يلتقي بمجموعة من الأحداث الواقعية أو غير المتناسقة مع الواقع الملموس وتدعوه إلى المزيد من التعاطف والمشاركة في مسار السرد. تبتغي هذه الدراسة باتّباعها النهج الوصفيّ – التحليليّ أن تتناول سردية القرية في شعر محمّد عفيفي مطر وتدلّ حصيلتها على أنّ الشاعر يعمل في وصف القرية دور سارد عالم يحضر في مسيرة أحداثها حضوراً فاعلاً ويقدّمها في ثلاث محاور أساسية يمكن تتبّعها في نوستالجيا القرية الّتي تخصّ طفولة الشاعر وماضيه، ثمّ التعبير عن يوتوبيا القرية الّتي تعمد إلى صور متفائلة من طبيعتها الفاتنة ومظاهرها الثرية البكرة والنقية، وفي النهاية صورة مأساوية قاتمة تتعلّق عادةً بنوع حياتها الطبيعية والاجتماعية وقحولة أرضها وعَوَز أبنائها وجوعهم.

الكلمات الدليلية: الشعر المصريّ المعاصر، السرد، القرية، محمّد عفيفي مطر.

تاريخ الوصول: ١٤٠٢/١٠/١٦ تاريخ المراجعة: ١٤٠٢/١٢/٢٥ تاريخ القبول: ١٤٠٣/٢/٢٣

[1]. الكاتب المسؤول: poorheshmati@gmail.com

١. المقدّمة

يحضر المكان بأشكاله المختلفة في الشعر المصريّ المعاصر حضوراً نشيطاً لا محالة منه في كلّ مناحي حياة شاعر ينظر إليه في مجمل نظراته على أنّه مكان للانتماء أو الاغتراب. تتجسّد وظائفه الشعريّة في صور ومفردات تنقل إلى القارئ فكرةً قريبةً من الواقع أو تتزوّد بخصائص الروح الإنسانيّة وعلامات رمزيّة إيحائيّة على تجسيد رؤيته الجماليّة الناجمة عن قبول المكان أم رفضه. بين ألوان الأمكنة المفتوحة تمتاز القرية بكثرة الدلالات الثريّة والصور الواقعيّة والذهنيّة المتخيّلة؛ فهي أصبحت عنده مكاناً لا يحدّ بحدود معيّنة بل ينبض بالحياة وتسهل رؤيته وإدراكه، ولو يتّسم بمعالم مشتركة مطلقة عند جمهور الشعراء. قد يهرب الشاعر في خياله إلى القرية ويحنّ إليها على مناظرها الخلّابة أثناء موقف قلق وضيق يخالجه في مكان بعيد أو منفى أو يستهدفها تعبيراً عن معاناته الاجتماعيّة وهواجسه البشريّة الّتي يتألّم منها سكّان القرية كأزمات جوع، ومرض، وجدب سائد يستوحيها الشاعر من القرية ويعرضها في حنايا خصائصه الفنّيّة والمضمونيّة.

إنّ محمّد عفيفي مطر[١] شاعر مصريّ محنّك من أجيال الستّينات والسبعينات في بلاده. لقد أمضى طفولةً صعبة حتّى بلغ سنّ الرشد ويسرد هذه الطفولة في قريته قائلاً: «تبدأ رجولة الصبي وأمومة الصبيّة في قريتنا من سنّ السابعة، على خشونة الفطام المبكّر من اللهو واللعب الفقير تبدأ خطواتنا في الاشتباك المجاهد مع اللقمة وكدح الذوبان في عرق المائلة» (عفيفي مطر، ٢٠٠٥م: ٢٢). كان الشاعر محبّاً لقريته؛ فهو يبتعد عن المجالس والاحتفالات الرسميّة، ويقضي أوقاتاً كثيرة فيها وحيداً مثل الزاهدين ليعكف على موضوع لافت يشغل باله (الرحيمي، ٢٠١٠: جريدة مصرس). لقد اقتضت حياة الشاعر أن يغادر قريته ثمّ بلاده مراراً وأثّرت هذه الرحلات فيه وزادت من انتمائه إلى مؤشّرات البيئة والمكان حتّى لُقّب بشاعر البيئة (شحاتة، ٢٠٠٣م: ١٤و١٣).

على الرغم من تجوال الشاعر حول مدن المنفى واغترابه فيها، ولكن يبدو أنّ تجربته الحقيقيّة الموحية تسطع في القرية وعادةً من خلال الذكريات البهيجة واسترجاع السير الذاتيّة والمواضيع الاجتماعيّة عنها وفي المقابل تكون المدينة مكاناً هامشيّاً أو ثانويّاً يتّصف بفوضى وعنف يشيع في ضواحيها ولو ليست هذه التجربة الجماليّة حيال القرية معزولةً عن الخوالج والأزمات الّتي تحدث في موطنه بل يعايشها الشاعر ويخوض في حناياها خوضاً غير مباشر. كانت القرية في شعر محمّد عفيفي مطر بؤرةً ذات أهميّة قصوى لمعرفة نصّه السرديّ؛ لأنّ الشاعر يكتسب من قريته أنماطاً من الحياة وهي تعطيه قُوى الإحساس بالحياة أو تزيد فيه من معرفة المستويات التعبيريّة الّتي توصل القارئ إلى قرية الطفولة والأحلام والمصاعب الّتي ترافق الشاعر خلال مراحله الشعريّة المختلفة؛ فيولع بذكرها ويتواجب معها في مجمل قصائده واصفاً إيّاها بأجمل صفات وإشارات تشحن بالرؤى البصريّة والصور الذهنيّة.

يجدر بالذكر أنّ الشاعر يحتفي في أعماله الشعرية بالأمكنة المفتوحة والمغلقة كليهما بوفرة بالغة، ولكن ما **تهدف** دراستنا في هذه الخطوة، هو إجلاء سرديّة القيمة المكانيّة على مستوى التنظير ثمّ تطبيقها في مكان مفتوح واحد فحسب وهو «القرية» في قصائد محمّد عفيفي مطر بأجمعها.

١.١. أسئلة البحث

بادئ ذي بدء تسعى هذه الدراسة أن تجيب عن **سؤالين رئيسين**، وهما:

- ما هو دور مفردة «القرية» في شعر محمّد عفيفي مطر إحصائيّاً ودلاليّاً؟

- كيف يتعامل الشاعر مع وظائف «القرية» وصورها على تحقيق البنية السرديّة في شعره؟

٢.١. فرضيّات البحث

في معرض الردّ على السؤال الأوّل نفترض أن تنصّ أعمال الشاعر نحو «الجوع والقمر» و«يتحدّث الطمي» على كثرة عنايته بالقرية ومشاهدها. أمّا حول دلالة القرية في شعره فيجدر بالقول إنّه ما زال يهرب إلى بساطة حياة القرية ودفء العلاقات الصميمة الّتي يراها بين عناصر الطبيعة؛ فيضع أقدامه على عالم القرية بما تستلهمه من طموحات وأحلام وصدق وعفويّة، ويبلغ هذا القيام قمّته حينما يشتدّ ضياعه واغترابه في فوضويّات المدينة، ثمّ يعود إلى ذاته أو تقاليده الأولى ويتذكّر قيمه الفطريّة الأصيلة، الّتي تخالف قيم المدينة. وفي موضع الردّ على السؤال الثاني، يمكن الافتراض أن تتعدّد أنماط توظيف سرديّة القرية في شعر محمّد عفيفي مطر؛ إذ أخذ الشاعر من حين لآخر يعبّر عن صفاتها وحالاتها وموقعها كما يشيع في أيّ نصّ سرديّ آخر أو يبرز حيناً آخر تجربته الوجدانيّة عنها بطريقة قد تكون مغايرةً لما يأتي في النصّ الروائيّ. يكترث الشاعر في إضاءة القرية للمحات الدالّة والإشارات الخفيّة بقدر ما يحافظ على شعريّة نثره وجماليّاته خلافاً لتوظيف المكان في النصّ السرديّ الّذي يجعل فيه السارد مساحةً كبيرةً لترجمة المكان وتعريفه عن طريق الوصف والسرد والحوار، غير أنّ شاعرنا يستمدّ في كثير من الأحايين من تقنية الوصف القصير والكامن في الأداء الشعريّ على ترجمة موقفه ونظرته إلى القرية.

٣.١. سابقة البحث

لقد نالت القرية نصيبها الوافر في الدراسات المختلفة وتكثر البحوث المختلفة الّتي تباشر موضوعها في الأدب العربيّ المعاصر؛ فعلى الحيلولة دون الإفاضة في الحديث نكتفي بذكرها على أساس الترتيب الزمنيّ في كتابتها، وهي:

كتاب «الريف في الرواية العربيّة» ألّفه محمّد حسن عبد الله سنة ١٩٨٩م، ودراسة «تقابل شهر وروستا در شعر معاصر عرب و فارسی به ویژه در آثار بدر شاکر السیّاب (شاعر عرب) و قیصر امین‌پور (شاعر پارسی‌گوی): تقابل المدينة والقرية في الشعر العربيّ والفارسيّ المعاصر؛ أعمال بدر شاكر السيّاب (الشاعر العربيّ) وقيصر أمين‌بور (الشاعر الفارسيّ) خاصّةً»، نشرها جواد قرباني ورسول عباسي في مجلّة الأدب الفارسيّ بجامعة آزاد الإسلاميّة في مشهد سنة ١٣٨٦ش، وأطروحة «الريف في الرواية الجزائريّة؛ دراسة تحليليّة مقارنة» ناقشها سليم بتقة بجامعة الحاج لخضر باتنة في الجزائر عام ٢٠١٠، ومقال «ادبیّات روستایی در رمان‌های عربی و فارسی؛ بررسی تطبیقی الأرض شرقاوی و جای خالی سلوچ دولت‌آبادی: الأدب الريفيّ في الروايات العربيّة والفارسيّة؛ دراسة تطبيقيّة في رواية "الأرض" للشرقاوي ورواية "فراغ النزوح السنويّ" لدولت‌آبادي» نشرها إبراهيم آرمن وشهرزاد فيروزي‌مندمي في مجلّة "الأدب المقارن" بجامعة رازي، كرمانشاه سنة ١٣٩١ش، ودراسة «جماليّات القرية في الرواية الفلسطينيّة؛ قرية (بيت حانون) أنموذجاً»، نشرها عبد الرحيم حمدان في مجلّة كلّية فلسطين التقنية للأبحاث والدراسات سنة ٢٠١٤، ودراسة «أدب الريف في رواية "الأرض" للشرقاوي و"كليدر" لدولت‌آبادي» نشره رضا ناظميان وپيام كريمى في مجلّة "إضاءات نقديّة" سنة ٢٠١٥. وأخيراً مقال «بررسی تقابل شهر و وروستا از دیدگاه عبد المعطي حجازی و نیما یوشیج: دراسة تقابل المدينة والقرية من نظرة عبد المعطي حجازي ونيما يوشيج» نشرته ليلى سالاري خالص، وفاطمة صحرادوان، وكبرى باراني في المؤتمر الدوليّ للغة والآداب سنة ١٣٩٥ش.

تأسيساً على محاولات مشكورة يكثر عددها في شعر محمّد عفيفي مطر، بذلنا قصارى جهدنا في التفتيش عن دراسات تباشر القرية ووظائفها في شعر محمّد عفيفي مطر، ولكن لم نجد دراسةً تكون قد ارتكزت على مقاربتها لديه. ما تمّ إصداره في

نطاق المكان الشامل أو يدنو منه، أطروحة دكتوراه توسم بـ «الخطاب الشعريّ عند محمّد عفيفي مطر»، ناقشها عبد السلام حسن سلام سنة ١٩٩٥م في كليّة الآداب بجامعة الزقازيق وتطرّق فيها إلى إضاءة مصطلح الخطاب الشعريّ في شعر محمّد عفيفي مطر على قالب خمسة فصول، وبينها يتناول إحصاء حقل المكان في شعره على قالب المستوى المعجميّ فقط. الدراسة الأخرى هي «معجم الأرض في شعر محمّد عفيفي مطر» لمحمّد فكري الجزار الّذي نشرها في ملتقى القاهرة الدوليّ للشعر العربيّ بشعار "ضرورة الشعر" سنة ٢٠١٦م، وهي كما يُعرف من عنوانها دراسة مكانيّة في حدود المعجم، لكنّها هذه المرّة تحوم حول مفردة الأرض. الدراسة الأخيرة مقال «سرديّة الأمكنة المغلقة في شعر محمّد عفيفي مطر؛ "المقبرة" و"المقهى" نموذجاً» كتبه شهريار همّتي وحامد بورحشمتي ونشراه في مجلّة "إضاءات نقديّة" سنة ٢٠١٨م هادفين على وجه التحديد إلى إجلاء سرديّة المكانين المغلقين في شعره.

تتوجّه هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على سرديّة عنصر من أهمّ العناصر المكانيّة المفتوحة المثيرة أي القرية وتحليلها في شعر محمّد عفيفي مطر على أساس ما يترّتب عليه مقتضى نصّه ويتلاءم مع حدود وظيفيّة معيّنة تحملها أيّ من نماذجه الشعرية.

٢. سرديّة القرية في الشعر المعاصر

تعدّ القرية[٢] – بوصفها مجتمعاً خصباً صالحاً للاستيطان والسكن – مظهراً من مظاهر حياة الإنسان الخارجيّة وانعقد معناها بملامح غضّ وغضارة تؤثّر تأثيراً تلقائيّاً في ذاكرة الإنسان وتسحبه إلى قيم فطريّة عاش معها من قبلُ واسترسخت في مشاعره وأفكاره وهواجسه وإبداعاته (راهب، ١٣٨٦: ١٠٦). لقد كان مستهلّ العناية بالقرية لدى العرب منذ تعرّفوا إلى البيئة الطبيعيّة الهادئة في البوادي وهاموا بمظاهرها الساحرة والخلّابة، وفي المقابل جعلهم جمالها الباهر يرفضون الاستيطان في المدن المختلقة والأخذ بمظاهر الحياة الحضاريّة النامية. مع ظهور مظاهر الحضارة والتحضّر الجديد، وتحوّل أسس الإنتاج، وخاصّة توسّع المعرفة، والفنّ، والأدب، والفلسفة لاذ معظم الأدباء في جميع أنحاء العالم بسرد القرية هرباً من مواجهة الواقع الأليم في المجتمعات البشرية (حيدريان شهرى، ١٣٩١: ٤٣). ما لبث أن اتّسعت حقول النزعة إلى البيئة الطبيعيّة في الأدب ونمت منذ ولادة الرواية بحرص بالغ على تقديم صور من الريفيّ / الفلّاح حتّى تقدّمت هذه الحركة باتّجاهها الصائب متماشيةً مع حركة الرواية المصريّة بأشكالها المختلفة في تطوّرها الإيحائيّ الّذي يدين بمعطيات متداخلة كالقيم الاجتماعيّة والصراع الإنسانيّ، والطبيعة، والحدث التأريخي، والسلطة (الضبع، ١٩٩٨: ١٦و١٥). كانت القرية في الشعر العربيّ بوصفه مكاناً مفتوحاً يؤثّر في حياة الإنسان ويوصله بمكامن الأرض، وهي لما فيها من ذكريات خالدة تتسجّل في الذاكرة، تميط اللثام عن رغبات الشاعر وتبدي هويّته وأصالته أو تمنح نصّه أجواء حالمةً مفعمةً بالخضرة والروائح الطيّبة أو على العكس قد تظهر بأجواء شجينة من الجدب والإقفار فيها.

لقد نمت تمظهرات القرية في الشعر العربيّ المعاصر وتحوّلت إلى عنصر مكاني نشيط بين عناصر السرديّة حين «شغلت القرية شعراء العصر الحديث الريفيين، في سنوات عيشهم الأولى بالمدينة، فكان ذكر القرية يملأ دواوينهم الأولى، ثمّ أخذ ينمحي وتغيب صورة الريف شيئاً فشيئاً فيما تلا من دواوين» (بتقة، ٢٠١٠: ٣٧). أصبح موضوع القرية وأحداثها بكلّ بساطتها وعفويّتها ولجّتها ينبوع وحي وإلهام يستقي منه الشاعر المعاصر ويشير بها إلى الوحدة بين الواقع والخيال ليبسط أمامه الحياة الإنسانيّة بجانب مظاهر حياته الطبيعيّة الأولى، وذلك أنّه «علّق الشاعر قلبه بقريته وناسها وطبيعتها، فبات يتذكّرها لسنين

طويلة، وخاصّةً حين كان يشعر بالوحدة والضياع في زحام المدينة والتحضّر؛ وهذا يعني أنّ ذكريات الشاعر من أيّام الطفولة في قريته صارت عنده الصورة الّتي تشعره بمزيج من الفرح والحزن» (معروف وكياني، ١٤٣٤: ١١٧).

وهذه القرية يكثر تنوّع صورها في الشعر السرديّ المعاصر لما سيطر عليها من معالم مكشوفة يمكن الحديث عنها بيسر وسهولة ولما يجري في تفاصيلها من طبيعة علاقات وطيدة تبعد عن الغموض وتدنو من العادات الفطريّة والتجارب الإنسانيّة الّتي تبني في القارئ مزيجاً من الاتجاهات الرومنسيّة والواقعيّة معاً، في الواقع «إذا كانت الرومانسيّة اتّجهت إلى الريف "القرية" من خلال دعوتها إلى العودة للطبيعة، فإنّ الواقعيّة اتّجهت إليها، لأنّ ظلم الإقطاع تجسّد فيها» (محمود، ٢٠١١: ١٥٦)؛ فيستعين الشاعر لإظهار دراميّة الحياة في القرية بعناصر الطبيعة، الّتي تتكيّف مع أجوائها العامّة، يمزجها بأوهامه ويعيد توظيفها في صياغات اجتماعيّة جديدة، ليست بمعزل عن سياق الوصف الطبوغرافيّ[٣] للقرية.

٣. القرية في شعر محمّد عفيفي مطر

لقد كان محمّد عفيفي مطر ابن القرية وهي تنعم بكثافة الحضور في شعره. يقدّم الشاعر أنموذجاً حيّاً عن حضور القرية في أشعاره بحيث يجعلها بؤرة السرد في عديد من قصائده أو يلقي الضوء على أبعادها الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة، الّتي قد تربطها بخوالج موطنه. تأتي القرية في شعره رهينةً بوصف المواضيع الأخرى أو تكون واضحة المعالم يتحدّد دورها وموقعها الجغرافيّ إبّان المشاركة في تصاعد الأحداث وبناء الشخصيّة ونضجها النفسيّ والاجتماعيّ؛ لذلك ينبغي أن يكون لها تصنيف خاصّ يقاس في جميع دواوين الشاعر معتمداً على إحصاء واضح لا غبار عليه، كما يأتي في الرسم التالي.

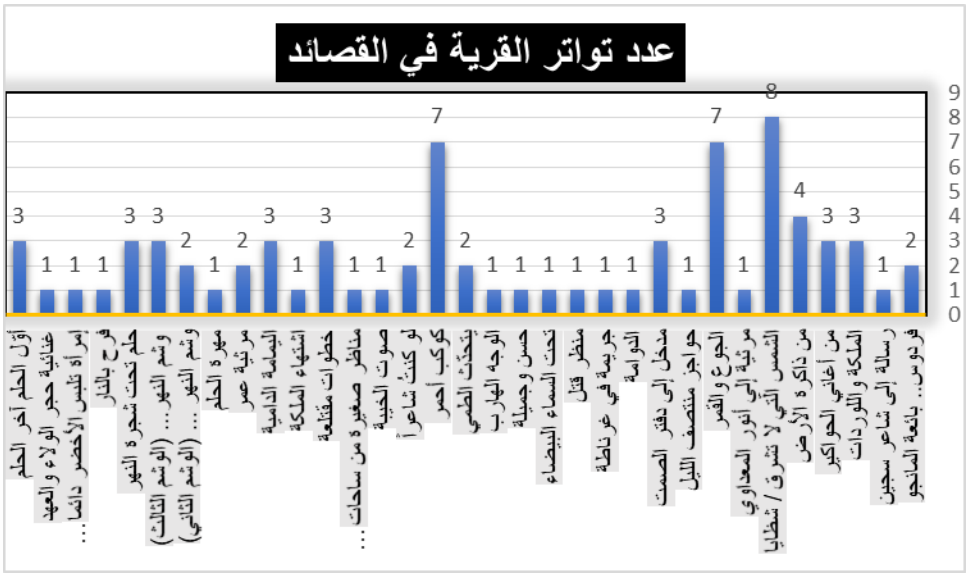

تحسّباً لما جاء في الرسم الأعلى يتبيّن أنّ الشاعر قد استخدم مفردة "الريف" أو "القرية" في جلّ دواوينه الشعريّة ٧٨ مرّةً وبينها كانت حصّة المجموعة الأولى من مجموعة أعماله الشعريّة الكاملة أي مجموعة "من مجمرة البدايات" أكثر من الأخريين في تقديم العناية بشؤون القرية؛ فهي تشمل ثلاث قصائد من دواوين مختلفة تحضن مفردة القرية، إحداها قصيدة "الشمس الّتي لا تشرق «شظايا»" الّتي أحرزت قصب السبق لأندادها في امتلاك لفظة القرية ثماني مرّات؛ فهي قصيدة طويلة ذات ملامح رومنسيّة تنبثق عن ديوان «الجوع والقمر» وتنقسم إلى عدّة وحدات، جعل الشاعر لكلّ منها رقماً خاصّاً. يعرب الشاعر في هذه القصيدة عن استيائه من إقفار الأرض الزراعيّة وحقول الريف وما فيها من قمح، وسنابل، وبراعيم، وثمرة أشجار، اهترأت وفقدت خصبها ونضارتها، ثمّ يتعاطف مع فلّاحٍ، يبذل جهوداً مضنية في الحقل وينال زاداً زهيداً بعرق جبينه.

يلحّ الشاعر في القصيدة على رمزيّة عناصر الطبيعة كالشمس بنظرة سوداويّة ليفسح مدى تجربته في شقاء الحياة القرويّة وتدهور أوضاعها، الّتي تصل إلى حالة تنقلب فيها قيم القرية وتأخذ في انهيار واضمحلال مطلق.

تلحق هذه القصيدة في عدد استخدام القرية، قصيدتا «الجوع والقمر» و«كوكب أحمر»، اللتان تتساويان في معدّل تكرار يبلغ في كليهما سبع مرّات؛ فقصيدة «الجوع والقمر» قصيدة اجتماعيّة تنبع من ديوان تقدّم ذكره ويدعى بنفس التسمية، وهي تستهدف مناخ القرية وتعتبر متابعةً طيّبةً للقصيدة المسبقة من حيث تناول قضايا الجوع والبوار فيها، ولكن تتّصف بتعبير مباشر يعرض صراع الفقر أسفر منها وأبعد عن الغموض المرهق والاختفاء وراء ستار شخصيّات تشخيصيّة يستعيرها من المظاهر الخارجيّة للقرية. أمّا القصيدة الأخرى فهي قصيدة «كوكب أحمر» من ديوان «يتحدّث الطمي» بحيث يستنفد فيها الشاعر معظم عناصر بيئته الساحرة الموحية كالطيور، والحيوانات، والنباتات، والأناس كي يصوّر تفاقم الأوضاع في القرية، طبعاً يختار بين هذه العناصر ما يرفده في تعتيم الموقف وتسويده كطيران الخفافيش المسائيّة، وتعلّق العناكب، وانتشار الجنادب، وانسراب الخنافس وما إلى ذلك. بعد هذه القصائد الثلاث الّتي قدّمناها، يتضاءل عدد تكرار القرية وينخفض إلى أربع مرّات أو ثلاث مرّات وأقلّ منها، بحيث جعل هذا التضاؤل يذهب بالقارئ إلى أنّ استخدامها يأتي عفو الخاطر في خدمة المواضيع الأخرى ويفقد وظيفته اللافته للعناية.

١.٣. وظائف القرية في شعر محمّد عفيفي مطر: نوستالجيا القرية

إنّ التعبير عن وظائف القرية بحاجة ماسّة إلى متابعة مدى نشاطها وتفرّدها في النصّ وأيضاً علاقتها مع المواضيع الأخرى ليتمّ التثبّت من حيويّة الدلالات السرديّة، الّتي يراعيها الشاعر أحياناً في غضون عنايته بهذا المكان، كما يمكن متابعتها في شعر محمّد عفيفي مطر من خلال التصنيفات التالية:

يتشكّل الإحساس بنوستالجيا[٤] القرية في شعر محمّد عفيفي مطر ويزداد أثناء نفيه عن مسقط رأسه وديارِه، الّتي غادرها زمناً طويلاً. ترتبط القرية بذكريات طفولة الشاعر وتتجلّى في شعره من خلال بعدها الدراميّ الثقيل من صور ريفيّة بديعة، لا يأتي بها لمجرّد تمثيل خياليّ بعيد عن الواقع والموضوع بل يتعامل مع القرية ومظاهرها تعاملاً شعوريّاً يطلع على أيقون ملحّ في أعماق ذاته؛ فعودة الشاعر هذه إلى الماضي أو الطفولة تربط مكانية القرية بجوهر الأدب العالميّ وجوهر العمل الفنيّ؛ إذ «المكانيّة في الأدب هي الصورة الفنيّة، الّتي تذكّرنا أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة ومكانية الأدب العظيم تدور حول هذا المحور» (باشلار، ١٩٨٤: ٦). تنعش القرية في الشاعر ذكريات الطبيعة الساحرة وتتّسع مفردتها الموحية في شعره لتكون من جانب ملاذاً للتخلّص من ضغوط مناخ جديد، خانق، أحدق به، وتتّصف من جانب آخر بالشموليّة في فضاء من الهدوء والراحة. النموذج المختار من هذين الجانبين في نوستالجيا القرية عنده، قصيدة «الملكة واللوردات وآخرون»، الّتي تدلّ على الذكريات الفرديّة[٥] الناجمة عن معلومات ذاكرته في أيّام الطفولة، ممّا كان قد يفعله السارد في مكانه الأليف ويمضي ريعان عمره مرحاً بعيداً عن الفوضى في حياته النقيّة والبسيطة:

أنا طِفْل طريُّ العُودِ.. سِرْتُ سِنينَ فَوقَ الجِسْرِ عُرْياناً/ تَفُوحُ خُطايَ نارنجاً وَلَيْموناً/ وَعِشْتُ بِقَرْيَتي خَمْساً وَعِشْرِينا/ أُسامِرُ كَوْكَباً فِي الغَيْمِ مَسْجُوناً/ أُطَارِدُ نَحْلَةً سَوْداءَ فِي الظُّلْمَة/ وَأَبْحَثُ فِي أعَالِي النَّخْلِ عَنْ «رامخ»/ أمُرُّ خِلالَ بَوّاباتِنا السَّوْداء (عفيفي مطر، ١٩٩٨، ج١: ٢٠)

إنّ ما يقوله السارد في هذا النموذج عودة إلى مشهد الريف وطبيعته الخلّابة، الّتي لها أن تزيل متاعبه وآلامه فهو يلتمس الراحة في أحضان القرية ويركّز على ذكرياته الجميلة فيها بكلّ ما ذاقه عن قرب من تجارب حلميّة طوال خمس وعشرين سنةً

انصرمت له. مثل هذا الاتّجاه يدلّ على رومانسيّة، تعلّق الشاعر بعالم القرية وفضائها أو ما يمكن وصفه بأيديولوجيا الهويّة، الّتي تنضوي في سياق البحث عن الشعور بالانتماء والانشغال الرومنسيّ بالريف (بتقة، ٢٠١٠: ٣١٥). يرى هنا الشاعر راحةً نفسيّةً يعرضها في العناصر الحسيّة كاستشمام روائح النارنج والليمون، ثمّ تبلغ هذه النوستاليجا مسامرة كوكب سجين بين الغيوم، هذه الصورة توصل القارئ إلى ثنائيّة الحزن والفرح في المكان، وتشعره بأنّ الشخصيّة إلى جانب انخراطها في مباهج الطفولة كان قد تعرّف منذ القدم إلى صورة معاناة السجن عبر عناصر البيئة.

يعكف هنا الشاعر عند الإشارة إلى نوستالجيا القرية على إضاءة المواقف الذاتيّة للشخصيّة الرئيسة؛ فيستعين في عرض ماضيه المسجّل خالداً في ذاكرته بالتبئير المسبق[٦] ليردّ على سؤال القارئ المحتمل عن علاقة الشخصيّة الساردة والسيرة المرويّة؛ إذ ينشط التدوير المسبق في تحديد زاوية الرؤية وينفع نوستالجيا القرية ليزرع «في المتلقي أسئلة حول إمكانيّة المطابقة بين ما تسرده الشخصيّة الراويّة وسيرة القاصّ، وبذلك يحقّق التبئير المسبق ملاذا آمناً لفريق من المتلقّين يجدون متعة خاصّة في ذلك؛ لأنّه يقرّفهم من عالم الأسرار، الّذي يعيشه الكاتب. ويبرز هذا التبئير بإحدى صيغتين: الراوي الشاهد والراوي الشخصيّة المشاركة» (الحسين، ٢٠١٢م: ٧) وهنا يستهدف الشاعر الصيغتين عندما يوجّه خطابه نحو سيرة الشخصيّة منذ كانت طفلاً طريّ العود حتّى يقارب خمساً وعشرين سنة من عمره. يحضر هنا السارد في تحقيق معالم القرية المثاليّة حضوراً أحادي جانب؛ إذ يسجّل ما يقع حوله مثل الكاميرا ثمّ يعبّر عمّا يراه في حدود رؤيته وسمعه مع إزاحة الفروق الزمنيّة المتواجدة بينه وبين الزمن المنصرم، الّذي رمى إليه، في الواقع يمتاز هنا دور السارد بوصفه شخصيّة مشاركة[٧] يغلب على سرده ازدياد ضمير المتكلّم ووحدة الصوت، وهو يمتاز «بوحدة المتكلّم أو بصوت طاغ على سائر الأصوات، وفيه أقوال الكاتب وآراؤه وأحكامه ومعلوماته المرجع الأخير للعالم المصوّر» (زيتوني، ٢٠٠٢: ١٠٧) وهنا ينحصر العالم تماماً في قرية الشاعر المحبّبة.

على الرغم من أنّ نوستالجيا القرية في شعر محمّد عفيفي مطر تفعم بالمشاهد الطبيعيّة الموحية، لكنّها لا تتّصف دوماً بمباهج الحياة ولم تجعله ينسى ألمه التليد واغترابه الجذريّ منذ الفترتين الماضية والراهنة. يبدو أنّ هذا الاغتراب غربة نوستالجيّة من نوع العجز[٨] ، لأنّ الفرد ما زال يشعر بأنّ مصيره ليس تحت سيطرته، بل تقرّر البواعث الخارجيّة كالقدر والحظّ مدى وقوعه وتأثيره (نعمتي والآخرون، ١٣٩٣: ٢٢٣). ينتج هذا اللون من الغربة عن حرمان يصوّر الشاعر مثيله إبّان المعيشة في القرية؛ إذ يتحدّث في مواصلة القصيدة عن طفولته في القرية من خلال خمس وعشرين سنة، ويكشف عن مسامرته لكوكب سجين في سوار من الغيوم، ثمّ يربط هذه الذكرى بما قد طرأ له الآن في أرض الواقع بشكل آخر ويحيى له تجاربه العريقة قائلاً:

وَعِشْتُ بِقَرْيَتِي خَمْساً وَعِشْرِينا/ أُسامِرُ كَوْكَباً فِي الغَيْمِ مَسْجُوناً/ أنَا اسْتَرْحَمْتُهُ خَمْساً وَعِشْرِيناً/ لِيَلْمِسَ قَلْبي العارِي بِخَيْطِ ضِياء/ وَعِشْتُ لِهذهِ السَّنَواتِ مَجْهُولاً/ لِأنِّي قَدْ حُرِمْتُ مَهَارَةَ الشُّعَراء/ فَلَا شِعْرِي مُعَلَّقَة عَلَى السُّلْطانِ أتْلُوها (عفيفي مطر، ١٩٩٨، ج١: ٢١)

تمتاز النوستالجيا المكانيّة في هذه الفقرة باستجارة الشاعر بالأخيلة الصبيانيّة الحزينة، الّتي يختلقها عن طريق عناصر البيئة، على غرار صورة محصورة يعرضها من الكوكب السجين والغيوم الّتي حوله؛ إذ سوف يتمّ تحقيق مثل هذا الحصار والسجن له لاحقاً؛ فهذه العودة أو الرحلة إلى الماضي على الرغم من أنّه لا يكون دورها تعويضاً عن الاغترابات الراهنة، بل تتكرّر تجربة الماضي ويزيد الحديث المجدّد عن هذه النوستالجيا من مدى الصراع والأزمة عند الشاعر على سبيل المشابهة والتساوي في الموقف. يسرد هنا الشاعر نوستالجيا القرية على أساس العلاقة، الّتي تجري بين الزمنين الماضي والراهن، وهي تصنع لديه

ضرباً من السرد اللاحق للحدث[٩] ، أي «هو الزمن الشائع في الرواية، وفيه يشير الراوي إلى أنّه يروي أحداثاً «وقعت» من ماض بعيد أو قريب» (زيتوني، ٢٠٠٢: ١٠٥). كما من البيّن أنّ شعور السارد بالفراق والبعد عن القرية وأبنائها، يسوقه إلى البحث عن التعاطف مع ماضٍ، انعقد بالتعامل مع مظاهر القرية، ويرى الشاعر هذا التعاطف في كوكب سجين عايشه وآنسه خمساً وعشرين سنةً. إنّ مشابهة اغتراب يتحدّث عنه الشاعر تنعش فيه زمناً ذاتيّاً يلمح إليه متعمّداً بحيث يمكن أن يمرّ بالماضي إلى الحال أو المستقبل أو على العكس، طبعاً يخضع للحالات والأحاسيس الباطنيّة والذاتيّة ويختلف في كلّ شاعر عن آخر (كمالجو والآخرون، ١٣٩٥: ١١٦). ينطلق الزمن الذاتيّ من نوستالجيا الطبيعة الريفيّة منذ تعامله مع الكوكب السجين، ثمّ ينتهي إلى نوستالجيا السياسة، الّتي ترافق رفض الفرصة السياسيّة الّتي أضيعت له.

قد تبدو نوستالجيا القرية في ذكريات يتذكّرها الشاعر بأسف وحسرة على أيّامه القديمة، تعني الأيّام، الّتي أمضاها في القرية وتزخر بالألعاب الصبيانيّة والحياة البسيطة والنقيّة كما تقدّم، ويتمنّى الشاعر مراراً أن يعود إلى هذه الأيّام ثانياً، في الحقيقة ما برح الشاعر لَهَف على ما فات في رسم أسطوريّ يرمي إلى الزمن والمكان (القرية) كليهما؛ لأنّ الأسطورة تكوّن قسطاً كبيراً من حياة الأيّام الصبيانيّة، الّتي قد مضت الآن ولها أن تضمّ متزامناً على أماني الأيّام الرائعة، الّتي تملك الامتياز وتغلب على حقائق الزمان والمكان المعيش (دومزيل والآخرون، ١٣٧٩: ٧٢-٦٦). تتكوّن صورة أيّام القرية خارج نطاق الزمن الحالي كما تبرز في شعر محمّد عفيفي مطر في ذكريات أسطوريّة ينظر إليها الشاعر بنظرة تأسفيّة، منها قصيدة «فردوس.. بائعة المانجو» الّتي ينادي فيها مقتبل حياته في القرية، ويقول:

يا زَمَناً قَدْ مَرَّ عَلَيْنا.. لَو كنْتَ تَعُودْ/ وَتُذِيبُ ثُلُوجاً، وَتُعِيدُ حِكايَةَ أهْداب سُوْد/ كُنَّا نَهْواها، نَنْظُرُ فِيهَا سِحْرَ الإنْسَان،/ وَحَلاوَةَ عِشْق سَكرانْ،/ وَنَداوَةَ غِيطانِ[١٠] القَرْيَة/ لَكِنَّكَ - يا زَمَناً قَدْ مَرَّ - زُجَاج مَكْسُور،/ ثَلْج وَشِراع أعْمَتْهُ الرِّيحُ الصَّفْراءْ (عفيفي مطر، ١٩٩٨، ج١: ٦)

يرسم هنا الشاعر عن طريق صور حيّة من بساطة القرية كـــ«حكاية الأهداب السود، حلاوة العشق الريفيّ ونداوة حقول القرية» أسطوريةَ حياته الماضية، الّتي يفتقدها في الزمن الراهن. لقد استطاع هنا السارد أن يربط بين الأحداث التأريخيّة للقرية وحاضرها؛ لأنّ السرد في القرية يمسك ببنية زمنيّة ترتبط بطبيعة المكان؛ إذ تمتاز القرية بمهن الزراعة في الحقل وروعة أوصاف من يعمل فيها، وأنّ الزمن فيها يقاس بمعايير زمنيّة طبيعيّة[١١]. إنّ «نظرة الشاعر إلى طبيعة الريف لا تعني استهلاك صور الطبيعة، فهو لا يأخذ منها فحسب، وإنّما يضيف إليها مباهج جديدةً، لم تكن فيها من قبل» (حسن، ٢٠١٦: ٢٧). بناءً على هذا الزمن الطبيعيّ في وصف القرية تظهر هنا ثنائيّة الزمنين الماضي والحاضر، الّتي يتطرّق إليها الشاعر بشكل مباشر حين ينادي الماضي بمباهج طبيعيّة يهواها كخضرة القرية بذوبان الثلوج، الّذي كان مشهده رائعاً جدّاً ويوحي له بانطلاق الزراعة والحصاد ونداوة براعيم الحقل الجميلة، ثمّ يسير زمن السرد على وتيرة متصاعدة حتّى ينتهي إلى الزمن القفر للقرويين، يشبّهه بعدّة مواضيع، منها زجاج مكسور وثلج واسع وشراع تهبّ عليه الرياح الصفراء الشهيرة بالبرودة؛ فتذكار الثلج في الزمن الراهن يقابل تذكار ذوبانه الماضي في مكان واحد يعني القرية. ترتبط فصول السنة أكثر ارتباطاً بمشاهد القرية وتؤثّر على جمالها وقبحها كما يؤثّر فصل الشتاء بثلوجه المكوّمة على حقول القرية في كنه صور الشاعر ثمّ يقاس بالزمن الماضي في موقف حبّ ونفور.

٢.٣. يوتوبيا القرية

تعدّ قرية "رملة الأنجب" قريةً مثاليّةً تعيد الشاعر إلى مبادئه التقليديّة وتلعب له دور المدينة الفاضلة عندما يشعر بالتضايق والانزعاج؛ فالقرية في السرد هو «الفضاء الطبيعيّ الرحب الواسع، الّذي يستأنس به الشاعر ويجعله بديلاً للمكان المكتظّ المدنّس - المدينة - الّذي غابت فيه ذاته وامّحت، فصار يسترجع الحلم فيها» (خرفي، ٢٠٠٦: ١٨٦). تكون القرية هي يوتوبيا المكان للشاعر القرويّ المعاصر بحيث يرى فيها جنّته الضائعة؛ فيعتبرها مظهر القيم والأصالة، الّتي فقدها في ازدحامات الحياة المدنيّة (صادقى والآخرون، ١٣٩٣: ٢٠١و٢٠٠). إنّ القيم المكانيّة عند محمّد عفيفي مطر تختلف عن غيره وتتعلّق بأمور بسيطة تحيط بفضاء القرية؛ فهو يعرف مبلغ الأصالة في طبيعة القرية وعناصرها الفاتنة، الّتي تهمّه أكثر من أيّ شيء آخر.

يتجاوز محمّد عفيفي مطر في الإعراب عن حنينه إلى القرية وأوصافها الوحيدة نحو الحديث عن تفاصيل ومكوّنات موجودة فيها، كالطمي والغلال والجبال ونهر النيل والرجال القرويين الصامدين. عندئذ يعتمد الشاعر على السرد الذاتيّ بحيث تكون هنا الرؤية من الخلف أو التبئير الداخليّ[١٢] ؛ فيهيمن في هذه الرؤية منظور السارد العليم على الأحداث والأفعال، ويشبه إلى حدّ بعيد السرد الكلاسيكيّ أو ما يقترب من المونولوج الداخليّ، الّذي يصبح فيه السارد بؤرة الاهتمام (زيتوني، ٢٠٠٢: ٤٢و٤١؛ الباجلاني، ٢٠١٨: ٢١٩). إنّ الشاعر لتحقيق يوتوبيا القرية يعتمد في قصيدة «رسالة إلى شاعر سجين "إلى الشاعر السجين بدر شاكر السيّاب"» على صيغة السرد بضمير المتكلّم ليطلع صديقه على موقفه الحالي في قريته الحلميّة بعد فترة عسيرة أمضى نظيرها في سجون المنفى:

أنَا هُنَا.. وَجْهِي بِلَونِ الطَمْيِ وَالغِلالْ/ أَعِيشُ فِي الرِّيفِ وَأعْشَقُ الحَدِيثَ عَنْ مَفاتِنِ الجِبَال/ وَأعْشَقُ الشِّعْرَ وَأعْشَقُ الحَدِيثَ عَنْ صَلابَةِ الرِّجَال/ وَالنِّيلُ صَبَّ فِي دَمِي تَمَرُّدَ الخَيَال (عفيفي مطر، ١٩٩٨، ج١: ١٧و١٦)

يستخدم هنا الشاعر القرية المثاليّة بوصفها مكاناً هندسيّاً أو مكاناً جغرافيّاً سطحيّاً ينزع إلى التصوير التمهيديّ للعلاقات المدركة المحسوسة بينه وبين القرية وأيضاً بين القرية وأجزائها المرئيّة المعروفة وهي عندئذ مكان حسّيّ أو مادّيّ يرهن بالإدراك البصريّ، ليصبح كياناً واقعيّاً يظهر أبعاده الموضوعيّة المميّزة (توام، ٢٠١٦: ٥٣و٥٢)، كما يُرى أنّ صورة القرية الجميلة في هذا المقطع قد تشكّلت أيضاً على واقعها المحسوس محتضنةً لعناصر ريفيّة كالطمي، والغلال، والجبال، والنهر، الّتي تحمل دلالات إيجابيّةً متقاربةً، تعني الحبّ والودّ والصفاء. إنّ هذه الخطوة تشبه خطى «الرومانسيين الأوائل الّذين تتشكّل عوالمهم من العناصر الطبيعيّة، ومحاولة أنسنتها، وجعلها بدائل عن عالم البشر المليء بالمتناقضات والحقد والشرّ» (خرفي، ٢٠٠٢: ٢٩٥و٢٩٤). لا يبادر الشاعر هذه المرّة إعادة تشكيل هذه العناصر تشكيلاً خياليّاً أو يقيم علاقته معها بطريقة رمزيّة غير مباشرة، فيعلن موقفه في القرية منذ بداية السطر (أنا هنا) فحسب، ويحاول أن يعرب عن حنينه إليها عدّة مرّات.

قد تكون هذه العلاقة الوطيدة، الّتي ظلّت توصل الشاعر بقريته هي الّتي جعلته يجد فيها علاقةً مع الفتاة الّتي تعطيه الهدوء والطمأنينة. هذه العلاقة هي الرغبة أو ما يسمّيه تودوروف[١٣] بالحبّ بوصفه علاقة، تنقسم لدى الشاعر الريفيّ بين المرأة والقرية، وتكون عنده ذات درجة واحدة، ولكن قد تطغى إحداهما (القرية - المرأة) على الأخرى (الضبع، ١٩٩٨: ٦٩و٦٨). إنّ هيام الشاعر بالقرية يفتح أمام عينيه رحاب السرور والسعادة، ويذكّره بصوت الحبيبة وعينيها، وما له تأثير مباشر في تحويل قريته إلى بيئة مثاليّة كما يقول:

كَأَنْ لَمْ أتْرُكِ القَرْيَةَ/ كَأَنْ لَمْ أغْتَرِبْ عَشْراً مِنَ السَّنَوات../ وَمِنْ يَومَيْنِ.. أطْرِقَ وَجْهُكِ المنْقُوشُ فِي قَلْبي/ وَصَوتُكِ صَارَ حَشْرَجَةً، وَغَامَتْ عَيْنُكِ السَّوْداء/ تَعَرَّى كُلُّ شَيء هَهُنا.. أحْسَسْتُ بِالغُرْبَة/ وَجِئْتُ إلَيْكِ مِنْ مَنْفَايَ../ أسْأَلُ دَرْبَنا عَنْ صَوْتِ شادِيهِ/ أُسَائِلُ أرْضَنَا عَنْ لَفْظَة مِنْ قَلْبِهَا كَانَتْ تُغَنِّيهَا (عفيفي مطر، ١٩٩٨، ج١: ١٣١و١٣٠)

من المبيّن هنا أنّ يوتوبيا القرية تنتمي إلى تعلّق السارد بشخصيّة الحبيبة الموصوفة، في الواقع يحاول هنا الشاعر أن يحدث بهذه الطريقة الغزليّة ضرباً من المعايشة، الّتي تدنو تجربتها من المتلقّي حتّى لا يكون له موضوع القرية غريباً مغلقاً. يقدّم الشاعر في البداية وصفاً إجماليّاً عن القرية ثمّ يحدّد شوقه لها بطريقة يألفها المتلقّي وصولاً من الحياة الداخليّة للسارد إلى حياته الخارجيّة وهي القرية. يعتمد الشاعر أثناء بثّ الشوق والحنين إلى القرية على المعادل الموضوعيّ ليصوّر جانبين؛ أحدهما نفسه المغتربة المرهقة من مشاقّ الحياة ومصاعبها، وثانيهما جانب المكان المثاليّ الّذي يضمن معاني ساميةً ويستجير إليه الشاعر طلباً لراحة وهدوء، لا يمكن العثور على مثيله إلّا هناك.

يهدف الشاعر في يوتوبيا القرية إلى سرد تجربة شعوريّة كان قد حملها منذ حضوره في القرية إلى زمن اغترابه في مدن المنفى. من الأكيد أنّ الشعور بالاغتراب والأسر في جدران المدينة المغلقة جعل الشاعر يصطدم بالحضارة المنافية لبساطة القرية أو حياتها المفعمة بالطلاقة والهدوء الحلميّ بحيث إنّ الشاعر لا يستطيع أن يلائم ظروف المدينة ويأنس ببيئتها، بل لا يزال يرجع إلى بيئة القرية ويخلّدها في شعره (معروف وكياني، ١٤٣٤: ١١٣و١١٢). ما برح الشاعر في سطور عديدة يلقي كلامه على نمط يبدي فيها فضل القرية على المدينة؛ فهو ينعم فيها بالحيويّة والنشاط، ويعيش دوماً مع حلمها وآمالها، وفي المقابل لا يستطيع أن يعيش في المدينة عيشاً مرتاحاً؛ لأنّه قرويّ مولد يعتاد مؤانسة أمطار القرية وفصولها وطيورها وثمرة أشجارها كما يضع النقاط على هذه الجماليّات في قصيدة «دلتا النهر الأسود» ويقول:

يُبْقِينِي حُلْم بِالأمْطَار/ وَفُصُولُ الرَّعْدِ الطائرِ بِالأثْمَار/ أنْتَظِرُ ثِمارَ السَّنْطِ وَأزْهَارَ الصَّفْصَاف../ يَنْحَدِرُ الفَارِسُ ذُو الأجْرَاس/ مِنْ قَلْبِ المُدُنِ الوَحْشِيّة/ يَتّكِئُ عَلَى أسْوارِ الرِّيف/ (مَلْعُون - إنْ لَمْ يُثْمِرْ - شَجَرُ التِّين) (عفيفي مطر، ١٩٩٨، ج١: ٢٢٩و٢٢٨).

تحضر يوتوبيا القرية في هذا النموذج الشعريّ خلافاً للنماذج الأخرى، الّتي تدنو من الواقعيّة السرديّة غالباً في جدليّة الحلم، والواقع، والأسطورة، وتلازم تجربة حلميّة يدمجها الشاعر في واقعيّة قريته المحبّبة. هنا تشكّلت صورة القرية من خلال الحلم لتكون رغبةً ملحّةً على تأدية التجربة اليوميّة للسارد؛ فلا يأتي الحلم في السرد المعاصر إلّا أن يؤدّي وظيفة «التجربة اليوميّة، الّتي تدلّ على تفكير النّاس وانفعالاتهم، وهي تستمرّ في الأحلام وما الأحلام إلّا اختلاجات معبّرة عن الحالة النفسيّة للشخصيّات وقد استعملها الروائيّون العرب على شكل خلية رمزيّة، يصوّرون من خلالها تجارب حياتيّة للشخصيّات البطلة» (توام، ٢٠١٦: ١١٤). لقد ظهرت هنا ألفاظ القرية (الأثمار، ثمار السنط، أزهار الصفصاف) أو حالاتها من خلال مضيّ الزمن (فصول الرعد الطائر بالأثمار) متناسقة مع بنية حلميّة أو فانتاستيكيّة[١٤] في حدث السرد، أي يصنع الشاعر من عناصر القرية الواقعيّة توقّعاً واقعيّاً وحلميّاً ليحدث بينهما ضربين من الجدليّة التعبيريّة، أحدهما واقعيّ يظهر في انتظار نزول المطر وينوع ثمار السنط ونبوت أزهار الصفصاف في الريف، ثمّ الآخر حديث الشاعر عن حلميّة هذا الجريان المنطقيّ من خلال الفصول وإحالته إلى الرعد الّذي يطير بالأثمار، وهو غيرُ واقعيّ لا يتكوّن إلّا في عالم السارد الفانتازيّ القائم على علاقات حلميّة بين الألفاظ ووظائفها. يبادر الشاعر دعم العالم الفانتازيّ حين يرد في عالم الأسطورة ويبوح بفارس (السارد بنفسه) أعرض عن المدينة الوحشيّة الفارغة من الألفة ويقبل على الريف ليتّكئ على أسواره، ولكن يواجه جفاف شجرة التين وانقطاع الخير والثمر فيها، وهو يدعوه إلى أحاديث شعبيّة كاللعن والنحس.

٣. ٣. مأساويّة القرية

إنّ القرية لما فيها من توفّر إنتاجات زراعيّة متنوعّة، من المحتّم أن تحفل بأخصب المحاصيل والإمكانات اللازمة لعيش رغيد، لكنّ أحداثها السياسيّة والاجتماعيّة تؤثّر على أحوالها وتبعاً لها تؤثّر على صورتها في سرديّة شعر محمّد عفيفي مطر؛ لأنّ «القرية ليست الطبيعة الساحرة فقط، بل والإنسان أيضاً بهمومه ومشاكله وأفراحه وأحزانه وآلامه وآماله» (معروف وكياني، ١٤٣٤: ١١٩). لقد أصبحت قضيّة الجوع والفقر الاجتماعيّ في قرية شاعرنا هي الموضوع الرئيسيّ في السرد والرواية المصريّة بحيث إنّ معظم النظرة إلى الريفيّ ظلّت ترافق البراءة والفقر؛ فالريفي المصري يقضي الكثير من أوقاته في الحقل ليحصل على ثمرة جهده ومساعيه، غير أنّه لا يجني من كدّ جبينه إلّا حسرة أليمة وشقاء مرهقاً؛ لذلك تسجّلت معظم صوره في السرد المصريّ بوصفها صورة خاسرة معوزة جدّاً (ناظميان، ٢٠١٥: ٩٠و٨٩) كما تؤدّي أصداء هذه النظرة دوراً بارزاً في تصوير القرية في شعر محمّد عفيفي مطر.

يعدّ الجوع من أهمّ المواضيع المأساويّة، الّتي يعزو إليها محمّد عفيفي مطر من خلال التعبير عن القرية وذلك لا غرابة فيه؛ لأنّ «قيمة الشعر تنطلق من طريقة تعاطيه مع الموضوعات الاجتماعيّة للحياة ولاسيّما الموضوعات المصيريّة في حياة الإنسان» (عبدى وعسگرى، ٢٠١٣: ١٧٢). على الرغم من أنّ الشاعر يتناول موضوع الجوع في القرية بوصفه موضوعاً اجتماعيّاً، ولكن يحفظ أواصره مع عناصر الطبيعة، الّتي تشكّل بنية القرية ونسقها الحياتيّ. إنّ النوائب الّتي حلّت بالقرية، تصيب الشاعر بحالة من التعتيم والسوداويّة في تعبيره بحيث تدلّ إشاراته المتتابعة إليه من جهة على أنّ السارد عالم بكلّ تحوّلات فاعلة تقع في قريته، ومن جهة أخرى تفيد بأنّ مجتمع القرية منكشف واضح ومواضيعه بسيطة يمكن الحديث عنها مستعيناً بالتقنية المشهديّة، الّتي يعرض بها الشاعر أدقّ التفاصيل عن تأثير الجوع في المكوّنات الخارجيّة للقرية دون أن ينمّ عن بواعث دخيلة في الدمار والجدب الشامل كما يعتمد في قصيدة «صوت الخيبة» على استخدام تقنية الوصف الحسّيّ في نقل مشاهد القرية ومعطياتها أي يربطها بالدلالة اللونيّة الّتي ليجعل الجوع في القرية كظاهرة مرئيّة يمكن رؤيتها وإدراكها ويقول:

الجُوعُ فِي القُرَى مُعْشَوشِب[١٥] يَخْضَرُّ فِي حَشَائشِ الحُقُول/ يَصْفَرُّ فِي السَّنابِل/ يَسْوَدُّ فِي لَفائِفِ[١٦] الأطْفالِ وَالوُجُوه/ يَبْيَضُّ فِي حَوائِطِ القُبُور/ يَطِيرُ حِينَما تَغْتَسِلُ السَّمَاء/ مُلَوّناً فِي قُزَحِ الأصَائِلِ المـطِيرَةِ ... (عفيفي مطر، ١٩٩٨، ج٢: ٢١)

يشتمل هذا المقطع من القصيدة على سرد تجربة شعوريّة كان قد عاشها الشاعر في قريته ويفصح عن هذه التجربة في غضون بثّ شكواه وهواجسه عن القرية بكلّ ما فيها من حشائش الحقول والسنابل حتّى ظروف الأطفال الأبرياء، الّذين «يُعتبرون من مظاهر الصبر والصمود، وتجسيد الألم والضغط في أي حدث مؤسف» (پورحشمتى وروشنفكر، ١٣٩٩: ١٣٤). يقدّم الشاعر صورة تشبيهيّة شديدة صلة بحياته المؤلمة، غير أنّ هذا التشبيه يتمثّل في انزياح غير معهود؛ إذ يشبّه الشاعر تفاقم الجوع في قريته بغريسة ذات صبغة إيجابيّة تأخذ بألوان وحالات مختلفة حتّى تنبت وتنضر بأمطار السماء وتلوّن بقوس قزح الأصائل المطيرة، وهو خلاف لما يشعر به القارئ من كره واستنكار في مفردة الجوع بنفسه. ألوان مختلفة ذات وظائف إعلاميّة وسيميائيّة تساهم في ازدواجيّة السرد المكانيّ وتشكيل صورة شعريّة مركّبة تثري دلالة اللفظة؛ إذ يواجه القارئ في المقطع الأعلى نوعاً من التمازج الّذي يحدثه الشاعر في دلالة الألوان ليحوّل حالاته المأساويّة في القرية إلى رؤية جماليّة تخفّف من بؤس المشهد وقسوته كما يؤتي في التالي بدلالتها الوضعيّة ثمّ تقديمها الانزياحيّ عن طريق الرؤية الشعريّة الّتي يعكسها النصّ:

الجُوعُ فِي القُرَى مُعْشَوشب يَخْضَرُّ ← اللون الأخضر يخصّ الحياة والنضارة ← ≠ الجوع والاخضرار ≠ ← اخضرار الجوع واعشيشابه يعني مرحلة التكوّن والتبلور.

(الجوع) يَصْفَرُّ فِي السَّنابِل ← اللون الأصفر يدلّ على الخريف والحزن والذبول ≠ الجوع والاصفرار ≠ ← اصفرار الجوع بين السنابل يدلّ على تنامي الجوع وعيانه في الطبيعة الصامتة.

(الجوع) يَسْوَدُّ فِي لَفائِفِ الأَطْفالِ وَالوُجُوه ← اللون الأسود لون واقع الحياة بما فيه من غاية فقر وجوع وعناء ≠ الجوع والاسوداد ≠ ← اسوداد الجوع بين الأطفال والوجوه أي بلغ الجوع ذروته في الأزمة حتّى يظهر على وجوه الناس.

(الجوع) يَبْيَضُّ فِي حَوائِطِ القُبُور ← يكون اللون الأبيض مثيراً للصفاء والتفاؤل ≠ الجوع والابيضاض ≠ ← ابيضاض الجوع بين القبور أي انتهت الحاجة إليه بين الموتى.

يتجلّى هنا الإشعاع اللونيّ ليصبغ الشاعر الموضوع المنبوذ (الجوع) بألوان ذات دلالات سلبيّة وإيجابيّة تصدر من وصفها المباشر كما يُرى بوضوح أطوار هذا الانزياح من خلال التراسل البصريّ (التراسل اللونيّ) بين الألوان الّتي صار إيحاؤها يفوق دلالتها الوضعيّة ويصبح عضواً حيّاً في خدمة النصّ.

قد ينطلق الشاعر في تناول الواقع الاجتماعيّ المفجع (الجوع) في القرية إلى وصف العناصر المكانيّة ومظاهرها كما هي في عالمها الخارجيّ بحيث إنّ «هذا الانطلاق بين أحضان الطبيعة، والشغف بوصفها، والتعزّي بمظاهرها الّتي تعاني التغيّر، كلّ هذا لن يجد مدده المتاح بسهولة إلّا في اختيار الريف بيئةً أساسيّةً» (عبد الله، ١٩٨٩: ١٨و١٧). تؤدّي هذه العناصر في سرديّة القرية وظيفةً توضيحيّةً لتجسيد عالم يسوده الضنك وقساوة العيش كما يعرف هذا الصراع الاجتماعيّ بجلاء في قصيدة "كوكب أحمر" حين يصف السارد قريته:

خِلَالَ حَوائِطِ القَرْيَة/ يَطِيرُ القُبّرُ المـذْبُوح/ وَتَنْهَمِرُ الخَفافِيشُ المـسائِيّة/ وَتَنْفَطِئ الفَوانِيسُ/ خِلالَ هَوائِها تَهْوِي العَناكب/ وَالجَنادِبُ[١٧] فِي مَراثِيهَا الخُرافِيَّة/ تَصِرُّ صَرِيرَهَا الوَحْشِيَّ.. تَنْهَشُ أنْجُمَ الظَّلْمَاءِ/ فَتَمْتَلِئُ القَوادِيسُ[١٨]/ رَمَاداً مِنْ زَفِيرِ الجُوعِ (عفيفي مطر، ١٩٩٨، ج١: ٤٢٢)

من الملاحظ أنّ الجوع ألقى ظلاله على لغة السرد المكانيّ حين يصبغها الشاعر بصبغة الظلمة والكآبة. يغرق هنا سرد القرية في الموضوعيّة؛ ولكن أكثر من تمظهر هذا الجوع في أبناء القرية يتحقّق في طبيعتها؛ إذ يصف هنا الشاعر تدهور الأوضاع الاجتماعيّة في القرية ويرافقها بمعايشة العناصر الطبيعيّة، الّتي يألفها القارئ حتّى لا يكون الموضوع غريباً عنه. تجسّدت صورة هذا المقطع في طبيعة قاسية تخبر القارئ بضنك الأحوال في القرية بجمل قصيرة متلاحقة؛ لأنّ الجمل القصيرة في توظيف القرية تقدر على استحضار السرد ورصد حركات العالم الخارجيّ أكثر حيويّة وتأثيراً من الجمل الطويلة، الّتي تلائم الوصف (حمدان، ٢٠١٤: ١٨). تنتشر ملامح القرية في جميع أرجاء السطر الشعريّ لتوصل القارئ إلى جملة من التشاكلات الرحبة تشمل موجودات مثل «القبّر، الخفافيش، العناكب، الجنادب» كما تأتي رموزها في التالي:

القبّر جمع القبّرة وهو طائر صغير يشتهر بأنّه يُصطاد في صباه كما يقول طَرَفَة بن العبد عنه «يا لكِ من قُبَّرة بمَعْمَرِ/ خَلا لكِ الجَوُّ فبيضِي واصْفِرِي» (طرفة بن العبد، ٢٠٠٢: ٤٩)، واستخدمه الشاعر بوصفه رمزاً للبراءة والغربة أمام العناصر القاسية.

الخفافيش من الخفّاش وهو طائر ليليّ مخيف يدلّ على الأمر السرّيّ أو الشرّ والاختناق (فتحى‌دهكردى وجعفرى، ٢٠٠٦: ٧١)، وهنا تدلّ على سعة الظلمة والاختناق.

العناكب جمع العنكبوت وهو يحمل رموزاً سلبيّةً عدّةً كرمز الموت والوهم، ورمز الخيانة، ورمز الخراب والهجران، ورمز الوسيط للسلطة، ورمز الوحشيّة، ورمز الموت، وأخيراً رمز الشيطان (الدوسري، ٢٠٠٤: ٢١٥و٢١٤)، وهنا تفيد العناكب برمز الدمار والهجران.

الجنادب جمع الجُنْدُب وهو كالجراد رمز من رموز الهدم والفساد وما جاء في أمثال العرب يدلّ على هذا المعتقد: «صرّ الجندب: اشتدّ الأمر حتّى يقلق صاحبه وأمّ جندب: الداهية والغدر والظلم» (مصطفى والآخرون، ١٩٨٩: ١٤٠). وهنا ينتشل الشاعر من مدلول الجنادب رمز الهدم والداهية.

بما أنّ المكان يحمل وظيفةً مهمّةً في الحدث أو يزاول صراعاً ناجماً عن مشاعر السارد بالنسبة لهذا المكان، من الجدير أن يكون مشهده رمزيّاً (برنس، ٢٠٠٣: ٢١٠)، فجاءت هذه العناصر الحيّة لهذا السبب كي يصوّر الشاعر عن طريق وظائفها الرمزيّة دلالات الجدب والدمار في القرية ويحقّق غاية مأساويّة من منظرها؛ فيقوم هنا بإظهار سوداويّة واقع الحياة في قريته مستعيناً ببعض رموز طبيعيّة تمتزج فيها وظيفة الحيوانات بحالة الإنسان في تجربة الانهيار المكانيّ.

ما زال الشاعر يسعى في وحداته الشعريّة أن يبثّ الحياة في القرية، الّتي أصبحت جدباء بلا خصوبة وبريق، بحيث خيّم عليها طابع الحزن والظلمة وفقدت استقرارها؛ فبالنسبة لمدى استقرار القرية في النصّ السرديّ قد يسعى السارد أن يجد فيها مدى تمظهرات التغيير، خاصّةً ما يقع فيها طارئاً ويكون خارجيّاً (أحمد، ٢٠٠٥: ١٩٥). علاوةً على أنّ الشاعر يجعل طبيعة القرية تشاركه في الشعور بالتغيير الداخليّ، يركن إلى التفاعل معها بأسلوب التشبيه والتجسيم في رسم الصورة الحسّيّة البصريّة فيها كما يلاحظ أنّه يشبّهها في النموذج التالي الّذي هو مواصلة هذه القصيدة بعجوز ويقول:

وَقَرْيَتُنا عَجُوز خَلّعَتْ أسْنَانَها اللُّقْمَة/ عَلَى الثَدْيَيْنِ تَنْسَرِبُ الخَنافِسُ، يَسْرحُ السُّوس/ وَفِي العَيْنَيْنِ قَنْدِيل مِنَ الظُّلْمَة/ تُؤَرْجِحُهُ فُصُولُ الطِيْنَةِ الجَدْبَاء/ وَفِي الجَنْبَيْنِ نَصْل مُرْهَفُ الحَدَّيْنِ مَغْرُوس (عفيفي مطر، ١٩٩٨، ج١: ٤٢٣)

من الواضح أنّ السارد يريد هنا منذ بداية السطر أن يضفي على القرية جانباً من المسؤوليّة الإنسانيّة ويقيم بين القرية والشخصيّة (عجوز) ضرباً من الترابط الدالّ على الحضور المكانيّ في الشخصيّة. إنّ هذا الترابط يقلّل من مدى انفتاح القرية ويسحبها إلى ثنائيّة بين سعة حدودها وضيقها؛ فباتت القرية بتشبيهها بالعجوز وتوسيع وصفها جزءاً من الصراع ومصدراً مباشراً للقلق، وينسحب من الانفتاح المكانيّ إلى انفتاح نفسيّ ينعكس على المكان، كما يقول باشلار عن قيمة هذا الاتّساع الداخليّ: إنّه «كثيراً ما يكون الاتّساع الداخليّ هو الّذي يمنح معنىً حقيقيّاً لبعض التعبيرات المتعلّقة بالعالم المرئيّ» (باشلار، ١٩٨٤: ١٧١). إنّ تشبيه القرية بالعجوز الّتي خلعت اللقمة أسنانها، يتّصف بترابط مفهوماتيّ عميق بين الشخصيّة وسوداويّة المكان (القرية) من جانبين: أحدهما يعود إلى شخصيّتها الطاعنة في السنّ، والّتي تدلّ على العجز الوجوديّ والتواني الهيكليّ في القرية المعنية، وعلى أساس الجانب الثاني تبرز أهميّة العجوز من زواية المكان بوصفها أنثى وامرأةً؛ لأنّ «جسد المرأة مكان يرمز في كثير من الأحيان إلى الأرض ذاتها» (العمامي، ٢٠١٣: ٦٦ نقلاً عن أسعد، ١٩٨٢: ١٨٥)، وهذه الخطوة تزيد من تصوير معالم انهيار القرية واضمحلالها في الوهلة الأولى.

في المواصلة يدع الشاعر وصف القرية ويبالي بتكثيف صورة المشبّه بها (المرأة العجوز)، تعني التصوير الفوتوغرافيّ المركّز على الناحية الجسديّة الفيزيولوجيّة للمرأة بحيث يمحو الوصف الاجتماعيّ للقرية في وصف الشؤون الحسّيّة للمرأة دون تحريف وزيادة ليمسك تعبير الشاعر بمظهر رمزيّ يساعد على تحقيق موضوعيّة القرية وإنارة واقعيّتها الطبيعيّة؛ إذ إنّ المرأة «لو كانت مكتملة الموضوعيّة لكانت أقرب الواقعيّة الطبيعيّة، الّتي تحاول رسم الأمور كما هي دون تحريف، أو كانت أشبه بالتصوير الفوتوغرافيّ» (عبّاس، ١٩٧٨: ١٢٦و١٢٥). إنّ المرأة العجوز الّتي شبّهت القرية بها، يستهدفها الشاعر من الجهة

الحسّيّة محتفياً بأعضاء جسدها كالثدي والعين والجنب بوصفها جثمان ميّت تنسرب الخنافس والسوس عليها. ينتشل الشاعر انزياحاً دلاليّاً من عينيها حين يصفهما بقنديل من الظلمة، في الواقع، إنّ جسد العجوز في سرد القرية مع كلّ ما يصدرها الشاعر عنه من صور سافرة عابرة للحدود الممنوعة وخارقة لحدود التعبير، يستميل ذهن القارئ ويلفت عنايته إلى التواصل مع الفضاء الخارجيّ (القرية)، أي هو امتداد من الجسد إلى المرأة، ثمّ من المرأة إلى العالم الخارجيّ بأكمله.

النتيجة

لقد تمّت دراستنا عن تمظهر عنصر هامّ من عناصر السرد وتوصّلت معتمدةً على سرديّة القرية في شعر محمّد عفيفي مطر إلى عدّة ملاحظات ونتائج ممنهجة يمكن تلخيصها فيما يلي:

- تشغل القرية مكانةً باسقةً في شعر محمّد عفيفي مطر؛ لأنّها جاءت من حيث الإحصاء في أعماله الشعريّة الكاملة ٧٨ مرّةً بحيث كان فيها النصيب الأبرز لقصيدة "الشمس الّتي لا تشرق «شظايا»" من ديوان «الجوع والقمر» في تناول أوصاف القرية وصفاتها اللافتة على نحو مباشر.
- تظهر القرية من حيث الدلالة في شعر محمّد عفيفي مطر بمعالمها التقليديّة المطروقة في المذاهب الواقعيّة والرومنسيّة بحيث يمكن متابعتها في ثلاث محاور تشمل الذكريات الحسنة والسيئة، الّتي يرجع إليها الشاعر غير قليل، وصور مثاليّة يكسبها لقريته، وحالة مأساويّة يمكن إدراكها من مظاهر الجدب والجوع والفقر في بطون القرية.
- إنّ الشاعر في وصف القرية سارد أحاديّ صوت وعالم كلّ معرفة يشارك في ما يقع في مسيرة أحداث القرية؛ لذلك هنالك علاقة متشابكة بين سيرته الذاتيّة ونوستالجيا قريته بحيث إنّ هذه السيرة الذاتيّة تشكّل دعماً أساسيّاً لعمليّة سردها وإنّ تفاصيله الصغيرة والحميمة فيها ترفع قيمة عمله السرديّ وتدنيه من صعيد الإدراك البشريّ للقارئ.
- ترتبط نوستالجيا القرية في شعره باسترجاع طفولة الشاعر الّتي أمضاها بين طبيعة القرية الساحرة تغافلاً عن هموم المناخ الخانق وملاذاً زمنيّاً قليلاً إلى هدوء وراحة يأخذها خياليّاً من القرية.
- قد تتبلور نوستالجيا القرية في أحداث ذات تمايز وأرجحيّة على حقائق الزمان والمكان المعيش؛ فيتذكّرها السارد بأسف وحسرة على فقدانها في الزمن الحالي، وهذا الزمن أسطوريّ ومثاليّ يفتقده السارد في الزمن الراهن ولو يقاس الزمن هذا بمعايير زمنيّة طبيعيّة لا يتدخّل السارد في وقوعها.
- يطبّق السارد في شعره علاقةً ثنائيّةً ملتبسةً بين إظهار حبّه للقرية وتحديد معالمها المأساويّة، الّتي تدلّ على طغيان الجوع والفقر فيها، في الواقع يحاول الشاعر توظيف القرية من جانبين على أساس انتهاج نزعة دراميّة، تنمّ من جهة عن لوعته على ابتعاده عن القرية المثاليّة، ومن جهة أخرى تعميق فكرة الاغتراب المكانيّ وإيصالها إلى مواقف الأزمة والصراع في هذه القرية الّتي أصيبت بألوان من الدمار والاضمحلال.
- تجسيداً لفكرة يوتوبيا القرية ومعالمها، يقوم السارد بوصف مشاهد بصريّة فيها من عدسة مخرج سينمائيّ يرصد أدقّ التفاصيل والجزئيّات الإيجابيّة ليزيد من واقعيّة التشكيل الجماليّ في القرية ويبعث على التفاعل الحسّيّ المدرك مع مكان يسرد فيه حالته النفسيّة.

- تتجسّد صورة المرأة في إجلاء مضمون مثاليّ من القرية ليتوصّل الوعي السرديّ من المكان إلى انفعال عاطفيّ يجعل موضوع القرية عند القارئ قريباً من التعاطف والمعايشة، ويشعره بحياته الداخليّة، الّتي تؤثّر في مدى اشتياقه إلى الحياة الخارجيّة، أي القرية.
- تتمظهر يوتوبيا القرية في شعر عفيفي مطر بطرق مباشرة أو غير مباشرة في علامات وإشارات يفضّل بها الشاعر القرية على المدينة وينهض في هذا الميدان بتصوير واقع القرية كما هو، أو بجدال تعبيريّ متناقض يقع بين واقع القرية وبنيتها الحلميّة الفانتاستيكيّة، ثمّ يصل إلى تجربة أسطوريّة شعبيّة توطّد لديه دعائم الحلم والرؤيا الشعرية.
- يحاول السارد إظهار مأساويّة القرية وتعتيمها من خلال البعدين الاجتماعيّ والطبيعيّ؛ فيمثّل بعدها الاجتماعيّ في التعبير عن المشاكل الاجتماعيّة، الّتي كانت من أبرزها صراع الفقر والجوع السائد في القرية، ثمّ يظهر بعدها الطبيعيّ في عناصر هدم وفساد يقتطفها من طبيعة القرية لتساهم التشبيهات المتتالية أو رموزها البشعة مساهمةً كبيرةً في توسيع الطابع المأساويّ للقرية.

الهوامش

١. ولد محمّد عفيفي مطر سنة ١٩٣٥م في قرية "رملة الأنجب" بمحافظة المنوفية التابعة لجمهوريّة مصر العربيّة وتلقّى تعليماته الأولى في ريفه وأظهر هناك المشاعر والمواهب الصالحة لقرض الشعر والكتابة إلى أن تخرّج في كلّية الآداب بجامعة عين شمس في القاهرة ثمّ تولّى رئاسة تحرير عدّة مجلّات عربيّة كمجلّة الأقلام العراقيّة ومجلّة سنابل في محافظة كفر الشيخ (عصفور، ٢٠٠٩: ١٩٨).

٢. (Nostalgia)

٣. الطبوغرافيا (Topography) تمثيل دقيق لسطح الأرض بعناصره الطبيعيّة والبشريّة.

٤. (Nostalgia)

٥. الذكريات الفرديّة هي الذكريات الّتي تصدر من اشتياق الشاعر إلى تكبير الماضي بحيث يقلّل تذكرها من تدهور الوضع الراهن؛ فيشيع فيها على وجه الخصوص اهتمامه البالغ بالعلاقات العائليّة وأيّام الطفولة والأحلام والألعاب الصبيانيّة الّتي أثّرت على حياته (شريفيان، ١٣٨٥: ٣٨).

٦. (Prefocalization)

٧. (Narrateur heterodiegetique)

٨. (Powerlessness)

٩. (Ulterieure)

١٠. الغيطان جمع الغَيْط: الحقل والمزرعة.

١١. الزمن الطبيعيّ هو الزمن الّذي يتحدّث فيه السارد عن اختلاف الليل والنهار وأيّام وشهور وسنين، مضت دون أن يتدخّل في تغيّره تدخّلاً مباشراً (أيّوب، ٢٠٠١: ١٠٢).

١٢. (Internal focalization / Focalisation interne)

١٣. (Tzvetan Todorov)

١٤. الفانتاستيك أو الفانتازيّة (Fantastic) زاوية من الرؤية في السرد الواقعي أو غير الواقعي أو «يطلق على شكل أدبيّ يميل إلى القطيعة مع العالم والتقاليد المألوفة والخرق المستمرّ للمنطق والنواميس الطبيعيّة، تشكل معلماً بارزا في الرواية العربيّة ويتجلّى من خلالها اهتمام الروائيّ العربيّ بتجاوزه لحدود التقليد الروائيّ القديم» (يوسفآبادي وأحمدي چناري، ٢٠١٧: ٩١).

١٥. مُعْشَوْشِب: اسم فاعِلُ مِنْ اعْشَوشَبَ المكانُ: كَثُرَ نَبْتُ العُشْبِ فيه.

١٦. اللَفائف جمع اللِفافة: الْخِرْقَةُ الَّتِي يُلَفُّ بِهَا حِزَامُ الطِّفْلِ.

١٧. الجنادب جمع الجُنْدَبُ: نَوْع من الجراد يَصِرُّ ويقفز ويطير.

١٨. القواديس جمع القادوس: وعاء تكسب فيه الحبوب بعد طحنها.

المصادر والمراجع

١. أحمد، مرشد. (٢٠٠٥). **البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله**. بيروت: المؤسّسة العربيّة للدرسات والنشر.

٢. أيّوب. محمّد. (٢٠٠١). **الزمن والسرد القصصيّ في الرواية الفلسطينيّة المعاصرة**. القاهرة: دار سندباد للنشر والتوزيع.

٣. باشلار، غاستون. (١٩٨٤). **جماليات المكان**. ترجمة غالب هلسا. ط٢. بيروت: المؤسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

٤. برنس، جيرالد. (٢٠٠٣). **المصطلح السرديّ (معجم مصطلحات)**. ترجمة عابد خزندار. ط١. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

٥. دوسري، أحمد. (٢٠٠٤). **أمل دنقل شاعر على خطوط النار**. ج١. ط١. بيروت: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر.

٦. دومزيل، ژرژ؛ روژه كايوا؛ ژرژ گودورف؛ ماسائو ياماگوشى وجيمز دارمستتر. (١٣٧٩). **جهان اسطورهشناسى**. ترجمه جلال ستارى. چ١. تهران: نشر مركز.

٧. زيتوني، لطيف. (٢٠٠٢). **معجم مصطلحات نقد الرواية**. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

٨. شحاتة، محمّد سعد. (٢٠٠٣). **العلاقات النحويّة وتشكيل الصورة الشعريّة عند محمّد عفيفي مطر**. القاهرة: الهيئة العامّة لقصور الثقافة.

٩. الضبع، مصطفى. (١٩٩٨). **رواية الفلّاح فلّاح الرواية**. ط١. القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتّاب.

١٠. طرفة بن العبد. (٢٠٠٢). **ديوان طرفة بن العبد**. شرح وتقديم مهدي محمّد ناصر الدين. ط٢. بيروت: دار الكتب العلميّة.

١١. عبّاس، إحسان. (١٩٧٨). **اتّجاهات الشعر العربيّ المعاصر**. الكويت: المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب.

١٢. عبد الله، محمّد حسن. (١٩٨٩). **الريف في الرواية العربيّة**. الكويت: المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب.

١٣. عصفور، جابر. (٢٠٠٩). **في محبّة الشعر**. ط١. القاهرة: الدار المصريّة اللبنانيّة.
١٤. عفيفي مطر، محمّد. (١٩٩٨). **الأعمال الشعريّة**. ج١و٢و٣. ط١. القاهرة: دار الشروق.
١٥. ـــــــ (٢٠٠٥). **أوائل الزيارات الدهشة؛ هوامش التكوين؛ سيرة ذاتيّة**، ط١، مصر: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.
١٦. عمامي، محمّد نجيب. (٢٠١٣). **البنية والدلالة في الرواية دراسة تطبيقيّة**. ط١. السعوديّة: مطبوعات نادي القصيم الأدبيّ.
١٧. مصطفى، إبراهيم؛ أحمد حسن الزيّات؛ حامد عبد القادر ومحمّد علي النجار. (١٩٨٩). **المعجم الوسيط**. تركية: دار الدعوة.

١٨. أسعد، سامية. (١٩٨٢). «القصّة القصيرة وقضيّة المكان»، مجلّة فصول. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ج٢. ع٤. صص ١٨٦-١٧٩.
١٩. الباجلاني، ازاد محمّد كريم. (٢٠١٨). «الرؤية السرديّة والإيديولوجيّة في رواية (حكايتي مع رأس مقطوع) لتحسين كرمياني». مجلّة جامعة كرميان. ع٤. صص ٢٣٣-٢١٨.
٢٠. پورحشمتی، حامد وکبری روشنفکر (١٣٩٩): «جلوه‌های پایداری افغانستان در شعر جابر قمیحه، بررسی موردی دیوان «لِجهادِ الأفغانِ أُغَنِّی»، مجلّه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه فردوسی، مشهد، س١٢، ش١، صص ١٤٦-١٢٧. Doi: 10.22067/JALL.V12.I1.75704
٢١. الحسين، أحمد جاسم. (٢٠١٢). «التبئير في القصّة القصيرة السوريّة قراءة في قصص اعتدال رافع». مجلّة دراسات في اللغة العربيّة وآدابها. جامعة سمنان الإيرانيّة بالتعاون مع جامعة تشرين السوريّة. ع٨. صص ٢٦-١. Doi: 10.22075/LASEM.2017.1324
٢٢. حمدان، عبد الرحيم. (٢٠١٤). «جماليّات القرية في الرواية الفلسطينيّة قرية (بيت حانون) أنموذجاً». مجلّة كليّة فلسطين التقنيّة للأبحاث والدراسات. ع١. صص ٢٩-١.
٢٣. حیدریان شهری، أحمدرضا (١٣٩١). «بررسی تطبیقی «شهرگریزی» و «بدوی‌گرایی» در شعر سهراب سپهری و عبد المعطی حجازی»، مجلّه زبان و ادبیات عربی. دانشگاه فردوسی. مشهد. س٤. ش٦. صص ٦٢-٣٩. Doi: 10.22067/JALL.V4I6.16281
٢٤. خرفي، محمّد الصالح. (٢٠٠٢). «سيمياء المكان في شعر عثمان لوصيف». مجلّة جامعة محمّد خيضر بسكرة. ع٢. الجزائر. صص ٣٠٦-٢٨١.
٢٥. راهب، غزال. (١٣٨٦). «درنگی در مفهوم روستا». مجلّة محيطشناسی. دانشگاه تهران. س٣٣. ش٤١، صص ١١٦-١٠٥.
٢٦. صادقی، اسماعیل؛ سید کاظم موسوی ومحمود آقاخانی بیژنی. (١٣٩٣). «بررسی نوستالژی آرمان‌شهر در اشعار شاعران معاصر». پژوهشنامه ادبیات غنایی. دانشگاه سیستان و بلوچستان. س١٢. ش٢٢. صص ٢٠٨-١٨٩.

٢٧. قربانی، جواد؛ رسول عباسی. (١٣٨٦). «تقابل شهر و روستا در شعر معاصر عرب و فارسی به ویژه در آثار بدر شاکر السیّاب (شاعر عرب) و قیصر امین‌پور (شاعر پارسی‌گوی)». فصل‌نامه تخصّصی ادبیات فارسی دانشگاه آزاد اسلامی. مشهد. س٤. ش٣. صص ٣١٧-٣٠٦.

٢٨. عبدی، صلاح الدین؛ لیلا عسگری. (٢٠١٣). «الالتزام في أشعار عبد الوهاب البياتي». مجلّة إضاءات نقديّة. كرج. س٣. ع١٢. صص ١٨٠-١٥٣. Doi: 20.1001.1.22516573.1435.3.12.7.8

٢٩. فتحی‌دهکردی، صادق وروشنك جعفری (٢٠٠٦). «رمز الطيور والحيوانات في الشعر الفلسطينيّ المقاوم». مجلّة اللغة العربيّة وآدابها. قم. ج٢. ع٤. صص ٧٨-٦٧.

٣٠. کمالجو، مصطفی؛ حمیده فقیه عبد اللهی ومهر علی یزدان‌پناه. (١٣٩٥). «بررسی مفهوم زمان در شعر محمود درویش و قیصر امین‌پور». فصل‌نامه پژوهش‌های ادبیات تطبیقی. تهران. د٤. ش٢. صص١٣٢-١٠٩. Doi: 20.1001.1.23452366.1395.4.2.2.1

٣١. معروف، یحیی ورضا کیاني. (١٤٣٤). «صورة المكان في أشعار محمّد حسين شهريار وبدر شاكر السيّاب». مجلّة اللغة العربيّة وآدابها. س٩. ع٢. صص ١٣٢-١٠٥. Doi: 10.22059/JAL-LQ.2013.35823

٣٢. ناظمیان، رضا وپیام کریمی. (٢٠١٥). «أدب الريف في رواية "الأرض" للشرقاوي و"كليدر" لدولت-آبادي». مجلّة إضاءات نقديّة. س٥. ع١٩. صص ١٠٩-٨٥. Doi: 20.1001.1.22516573.1436.5.19.4.9

٣٣. نعمتي، فاروق؛ جهانگیر أميري؛ علي سليمي وعبد السلام كريمي. (١٣٩٣). «الاغتراب ومظاهره في شعر سيّد قطب (دراسة وتحليل)». مجلّة الأدب العربيّ. طهران. س٦. ع١. صص ٢٣٨-٢١٧. Doi: 10.22059/JALIT.2014.52031

٣٤. همّتي، شهریار وحامد پورحشمتي. (٢٠١٨). «سرديّة الأمكنة المغلقة في شعر محمّد عفيفي مطر؛ "المقبرة" و"المقهى" نموذجاً». مجلّة إضاءات نقديّة. كرج، س٨. ع٣٠. صص ١١٤-٨٥. Doi: 20.1001.1.22516573.2018.8.30.4.8

٣٥. يوسف‌آبادي، عبد الباسط عرب وعلي أكبر أحمدي چناري. (٢٠١٧). «عوالم السرد الفانتازيّ في رواية «امرأة القارورة» لسليم مطر». مجلّة دراسات في اللغة العربيّة. جامعة سمنان الإيرانيّة بالتعاون مع جامعة تشرين السوريّة. س٧. ع٢٤. صص ١١٤-٩١. Doi: 10.22075/LASEM.2017.6408

٣٦. بتقة، سليم. (٢٠١٠). **الريف في الرواية الجزائريّة دراسة تحليليّة مقارنة**. أطروحة دكتوراه. إشراف الطيب بودربالة. جامعة الحاج لخضر باتنة. الجزائر.

٣٧. توام، عبد الله. (٢٠١٦). **دلالات الفضاء الروائيّ في ظلّ معالم السيميائيّة؛ رواية "الآن... هنا أو شرق المتوسّط مرّة أخرى" لعبد الرحمن منيف أنموذجاً**. أطروحة دكتوراه. إشراف هواري بلقاسم. جامعة أحمد بن بلة - وهران. الجزائر.

٣٨. حسن، مرتضى حسين علي. (٢٠١٦). **جماليّات المكان في الشعر العراقيّ الحديث "سعدي يوسف أنموذجاً"**. رسالة ماجستير. إشراف محمّد عز الدين المناصرة. جامعة فيلادلفيا. الأردن.

٣٩. خرفي، محمّد الصالح. (٢٠٠٦). **جماليّات المكان في الشعر الجزائريّ المعاصر**. أطروحة دكتوراه. إشراف يحيى الشيخ صالح. جامعة منتوري قسنطينة. الجزائر.

٤٠. محمود، وجدان يعكوب. (٢٠١١). **الزمان والمكان في روايات نجيب الكيلاني**. رسالة ماجستير. إشراف جبير صالح حمادي. الجامعة العراقيّة. العراق.

٤١. الرحيمي، أسامة (٢٠١٠). «رحل صاحب الجوع والقمر. جريدة مصرس». قسم الأهرام اليوميّ. https://www.masress.com/ahram/27833.

References

Abbas, I. (1978). *Trends in Contemporary Arabic Poetry*, Kuwait: The National Council for Culture, Arts and Letters. [In Arabic].

Abdi, S & L. Asgari. (2013). "Commitment in Abdol Vahab Bayati's Poems", *Rays of criticism in Arabic and Persian, Karaj*, 3(12),153-180.
Doi: 20.1001.1.22516573.1435.3.12.7.8. [In Arabic].

Abdullah, M. H. (1989). *The countryside in the Arabic novel*, Kuwait: The National Council for Culture, Arts and Letters. [In Arabic].

Afifi Matar, M. (1998). *Poetic Works*, vol. 1, 2 and 3, 1st Edition, Cairo: Dar Al-Shorouk. [In Arabic].

……..... (2005). *Surprising early visits; formation margins; Autobiography*, 1st Edition, Egypt: The General Egyptian Book Organization. [In Arabic].

Ahmad, M. (2005). *Structure and significance in the novels of Ibrahim Nasrallah*, Beirut: The Arab Institute for Studies and Publishing. [In Arabic].

Al-Bajelani, A. M. K. (2018). "The Narrative and Ideological Vision in the Novel (My Story with a Severed Head) by Tahsin Garmyani", Karmian University Journal, Issue 4. 218-233. [In Arabic].

Pourhashmati, H & K. Roshanfekr. (2019). "Manifestation of Afghanistan resistance in the works of Jabber Qumaiha: A Case study of "I sing about Afghan's jihad" divan", *Journal of Arabic Language and Literature*, 12(1), 146-127.
Doi: 10.22067/JALL.V12.I1.75704. [In Persian].

Al-Hussein, A. J. (2012). "The Point Of View in the short stories of Etedal Rafeih", *Journal of Studies in Arabic Language and Literature*, Semnan University in cooperation with the Syrian Tishreen University, Issue 8, 1–26.
Doi: 10.22075/LASEM.2017.1324. [In Arabic].

Al-Rahimi, O. (2010). "The Owner of Hunger and the Moon is gone", Masress Newspaper,Al-AhramDailySection. https://www.masress.com/ahram/27833. [In Arabic].

Al-Zabaa, M. (1998). *The Novel of the Farmer, Falah Al-Roayah*, 1st Edition, Cairo: The Egyptian General Authority for Writers. [In Arabic].

Amami, M. N. (2013). *Structure and Significance in the Novel, Applied Study*, 1st Edition, Saudi Arabia: Qassim Literary Club Publications. [In Arabic].

Asaad, S. (1982). "The short story and the issue of place", *Fosoul magazine, Egyptian General Book Organization*, 2(4), 179-186. [In Arabic].

Asfour, J. (2009). *On the Love of Poetry*, 1st Edition, Cairo: The Egyptian Lebanese House. [In Arabic].

Ayoub, M. (2001). *Time and Storytelling in the Contemporary Palestinian Novel*, Cairo: Sinbad Publishing and Distribution House. [In Arabic].

Bachelard, G. (1984). *Aesthetics of the place, translated by Ghaleb Halsa,* 2nd Edition, Beirut: University Institution for Studies, Publishing and Distribution. [In Arabic].
Batgha, S. (2010). *The countryside in the Algerian novel, a comparative analytical study,* PhD thesis, supervised by Tayeb Bouderbala, Hadj Lakhdar University Batna, Algeria. [In Arabic].
Domzil, Georges & R. Kaiva & G. Godorf & M. Yamagoshi & J. Darmstetter. (2000). *The World of Mythology,* translated by Jalal Sattari, 1st Edition, Tehran: Center Publishing. [In Persian].
Dosari, A. (2004). *Amal Dunqol, Poet on the Lines of Fire*, Volume 1, 1st Edition, Beirut: The Arab Institute for Studies and Publishing. [In Arabic].
Fathi Dehkerdi, S & R. Jafari. (2006). "The Symbol of Birds and Animals in the Resistant Palestinian Poetry", *Journal of Arabic Language and Literature,* 2(4), 67-78. [In Arabic].
Ghorbani, J & R. Abbasi. (2007). "The Contrast between the City and the Village in Contemporary Arab and Persian Poetry", *Persian Liturature Quarterly, Islamic Azad University, Mashhad,* 4(3), 306-317. [In Persian].
Hamdan, A. R. (2014). "The Aesthetics of the Village in the Palestinian Novel The Village (Beit Hanoun) as a Model", *Journal of Palestine Technical College for Research and Studies,* Issue 1, 1-29. [In Arabic].
Hasan, M. H. A. (2016). *The Aesthetics of Place in Modern Iraqi Poetry "Saadi Youssef as a Model*", Master's Thesis, supervised by Muhammad Izz Al-Din Al-Manasrah, Philadelphia University, Jordan. [In Arabic].
Hemmati, S & H. Pourheshmati. (2018). "Narrative of closed places in the poem of Mohammad Afifi Matar (the cemetery and cafe for example)", *Rays of criticism in Arabic and persian, Karaj* 8(30), 85-114.
Doi: 20.1001.1.22516573.2018.8.30.4.8. [In Arabic].
Heydarian Shahri, A. R (2013). "A Comparative Study of Primitivism & City Estrangement in Sepehri and Hijazi's Poetry", *Journal of Arabic Language and Literature Magazine*. 4(6), 39-62.
Doi: 10.22067/JALL.V4I6.16281. [In Persian].
Kamaljo, M & H. Faqih Abdullahi & M. A. Yazdanpanah. (2015). "Review of the Concept of Time in the Poems of Mahmoud Darwish and GheisarAminpour", *Comparative Literature Research*, Tehran, 4(2), 109-132.
Doi: 20.1001.1.23452366.1395.4.2.2.1. [In Arabic].
Kharfi, M. S. (2002). "The Semiotics of Place in the Poetry of Othman Lousif", *Journal of the University of Muhammad Khider,* Issue 8, Biskra, Algeria. 281-306. [In Arabic].
Kharfi, M. S. (2006). *The Aesthetics of Place in Contemporary Algerian Poetry*, PhD thesis, supervised by Yahya Sheikh Saleh, Mentouri University of Constantine, Algeria. [In Arabic].
Mahmoud, V. Y. (2011). *Time and place in Najib Al-Kilani's novels,* Master's thesis, supervised by Jubeir Saleh Hammadi, Iraqi University, Iraq. [In Arabic].
Marouf, Y & R. Kiyani. (2013). "The Place in the Poetry of Badr Shakir al-Sayyab and Mohammad Hossein Shahriar (HeydarBaba and Jeekor for example)", Journal of Arabic Language and Literature, 9(2), 105-132.
Doi: 10.22059/JAL-LQ.2013.35823. [In Arabic].

Mustafa, I & A. H. Al-Zayat & H. Abdel Qader & M. A. Al-Najjar. (1989) *The intermediate dictionary*, Turkish: Dar al-Da`wah. [In Arabic].
Nazimian, R & P. Karimi. (2015). “Pastoral Literature in Al-Sharqawi's Novel the Earth (AL-Arz) and Dowlatabadi's Kaleidar”, *Rays of criticism in Arabic* and Persian, Karaj, 5(19), 85-114. Doi: 20.1001.1.22516573.1436.5.19.4.9. [In Arabic].
Nemati, F & J. Amiri & A. Salimi & A. S. Karimi. (2014). “The Manifestation of Loneliness in Sayyid Qutb's Verses”, Journal of Arabic Literatur, Tehran, Vol. 6, Issue 1, pp. 217-238. Doi: 10.22059/JALIT.2014.52031. [In Arabic].
Prince, G. (2003). *The Narrative Term (Dictionary of Terms*), translated by Abed Khaznadar, 1st Edition, Cairo: The Supreme Council of Culture. [In Arabic].
Rahab, Gh. (2006). "Pondering over the Concept of "Village"", *Journal of Environmental Studies*, University of Tehran, 33(41). 105-116. [In Persian].
Sadeghi, I & S. K. Mousavi & M. Aghakhani Bijani. (2013). "Love toward wife in Iran contemporary poem", *Journal of Lyrical Literature Researches*, University of Sistan and Baluchistan, 12(22), pp. 189-208. [In Persian].
Shahata, M. S. (2003). *Syntactic Relations and the Formation of the Poetic Image of Muhammad Afifi Matar*, Cairo: The General Authority for Cultural Palaces. [In Arabic].
Tarafah ibn Al-Abd .(2002). *Diwan Tarfa bin Al-Abd*, explanation and introduction by Mahdi Muhammad Nasir al-Din, ٢nd Edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya. [In Arabic].
Tawam, A. (2016). *The implications of the narrative space in light of semiotic features; The novel "Now...Here or the East of the Mediterranean Again" by Abdel Rahman Munif as an example*, PhD thesis, supervised by Havari Belghasem, Ahmed Ben Bella University - Oran, Algeria. [In Arabic].
Yousef Abadi, A. B. A & A. A. Ahmadi Chanari. (2017). “The Narratology of Fantasy Novel Imrat Al-Gharoorah by Salim Matar”, *Journal of Studies in the Arabic Language*, Semnan University in cooperation with the Syrian Tishreen University, 7(24), 91-114. Doi: 10.22075/LASEM.2017.6408. [In Arabic].
Zitouni, L. (2002). *A Dictionary of Terms Criticizing the Novel*, Beirut: Library of Lebanon Publishers. [In Arabic].

اللّغة العربية وآدابها (الفصلية العلمية المحكمة)
www.jall.um.ac.ir
الترقيم الدولي الموحد للطباعة: 7217 – 2008
الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: 2681 – 2383

اللّغة العربية وآدابها، السنة السادسة عشرة، العدد ١ (الرقم المسلسل ٣٦)، ربيع ١٤٤٥، صص:٧٤-٥٩

المرأة العاملة في روايات خولة حمدي (رواية أحلام الشباب... يوميّات فتاة مسلمة، أن تبقى، ياسمين العودة أنموذجا)

(المقالة المحكمة)

محمود آبدانان مهديزاده (أستاذ قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران، الكاتب المسؤول)[1]
حسن دادخواه تهراني (أستاذ قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران)
نرجس هاشمي (طالبة الدكتوراه قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران)

Doi: 10.22067/jallv16.i1.2401-1369

الملخّص

إنّ المرأة كيان كلّ أمّة وكلّ حضارة ولها قدسيّة مثل الرجل من حيث المكانة والصورة، وإنّها منبت البشريّة ومنشئة أجيالها وللمرأة دور مهم تؤدّيه في المجتمع، خصوصا إذا تعلّقت قضيّتها بالرواية. فهي بمثابة أيقونة، لا يمكن الاستغناء عنها لاسيّما في الرواية العربيّة، لأنّ الكاتب يعالج المرأة ظاهريّاً وباطنيّا؛ يصفها من الخارج ويحلّل نوازع شخصيتها من الداخل. للمرأة حضور بارز وحيويّ ومهم في الرواية العربيّة، وهي محور من المحاور، التي استخدمها الكتّاب والكاتبات في رسم صورتها للتعبير عن مختلف أفكارهم وتصوّراتهم، كما أنها تمثل منطلقاً فكريّاً للبوح عن مختلف همومهم وأفكارهم ومعتقداتهم وواقعهم الاجتماعي والاقتصادي، وكذلك القضايا الإنسانيّة المختلفة. لذا كانت قضيّة المرأة من أهمّ القضايا، التي شغلت بال الكاتبة الروائيّة التونسيّة، خولة حمدي، وإنّ الكاتبة قد حاولت ألّا تتجاهلها أيّا كانت الظروف والأجواء المحيطة بأحداث الرواية. فقرّر البحث أن يسلّط الضوء على دراسة الجوانب المختلفة لحياة المرأة العاملة، وظروف عيشها في روايات خولة حمدي، التي تمّ اختيارها ميداناً للبحث. الهدف من هذا البحث هو استجلاء رؤية الكاتبة حمدي فيما يخصّ المرأة العاملة بحالاتها المتعدّدة في رواياتها وعرض صورة واضحة عن مستوى براعة الكاتبة في ذلك، عبر وصف الشخصيات، وتحليل الأحداث المتخيّلة، والتعريف عن الوضع الذي تمرّ به المرأة العربيّة العاملة في المجتمع العربيّ وغيره، وفق المنهج الوصفيّ-التحليليّ. وقد توصّلنا، عبر هذه الدراسة، إلى أنّ المرأة الأديبة ألا وهي الكاتبة الروائيّة حمدي تمكّنت من تحقيق ذاتيّتها الإبداعيّة المؤثّرة في الفكر والأدب التونسيَّين. فجاءت المرأة العاملة في رواياتها امرأة واثقة بذاتها وعارفة بحقها وبمكانتها، كما تجلّت لنا معاناتها في الجمع بين مهامها الأسريّة والمهنيّة، وتبيَّن لنا اهتمامها الكبير بنشاطها المهني وتفانيها في عملها، وبهذا تمّ الكشف عن عوالم المرأة العاملة في روايات خولة حمدي.

الكلمات الدليلية: الرواية العربيّة، الصورة، المرأة، خولة حمدي.

تاريخ الوصول: ١٤٠٢/١٠/٢٤ تاريخ المراجعة: ١٤٠٢/١٢/١٧ تاريخ القبول: ١٤٠٣/٢/١٩

[1]. الكاتب المسؤول: abdanan@scu.ac.ir

١. المقدّمة

تعتبر الرواية نتاج تفكير المجتمعات، «ولها قدرة كافية على الوصف والتحليل، وتعبّر عن المجتمع وصراعاته وكذا قضاياه الاجتماعية، وهي تحاول الكشف عن الحالة النفسيّة للأشخاص من خلال المواقف الاجتماعيّة المختلفة، وتعدّ عنصراً أساسيّاً في هذا النظام الاجتماعيّ، وقد سجّلت حضوراً في صناعة التاريخ» (عليوات، وبسايح، ٢٠١٨: ٢). وممّا لا شكّ فيه، أنّ للمرأة قدسيّة مثل الرجل، لكن صورة المرأة قديماً كانت سلبيّة، «إذ نظر إليها على أنّها كائن جنسي فحسب، إذ كانت تعاني الاضطهاد، فانحطّت مكانتها وارتفعت مكانة الرجل، فما كانت إلّا تابعة له.» (أبو العز، ٢٠١٢: ٢٣٤). فوضع المرأة في المجتمع كان ومازال من أهمّ القضايا التي شغلت بال الأدباء، حيث يرون أنّ ظروفها هذه من أكبر أسباب التخلّف في العالم الإسلامي.

انطلاقاً من ذلك، حدثت تحوّلات أصابت الكيان العربي وجعلت المرأة عنصراً مساهماً وفعّالاً «فلم يعد الرجل محور الوجود الاجتماعيّ، وإنّما نشطت المرأة لتشارك في تحقيق الوجود بعد أن كفل لها العامل الاقتصادي حرّيّة الحركة والتفاعل الاجتماعيّ» (وادي، ١٩٧٣: ١٦)، لتخرج إلى مجال العمل وتثبت جدارتها فيه. وهو ما يستوجب من الأديب تالياً أن يكون وفيّاً للنمط الاجتماعيّ المستجدّ، فيستجيب لهذا المتغيّر، ويقبل المرأة كشخصيّة نامية لا هامشيّة أو مستلبة على أقلّ تقدير، تلعب فيما بعد دوراً رئيسيّاً ومهمّاً في ديناميّة الحدث الروائي وتطوّره، فقد صار لها رؤيتها ووجهة نظرها الخاصّة.

ويسعى هذا البحث وفق المنهج الوصفيّ- التحليليّ لإبراز حضور المرأة العاملة في الروايات المختارة ودراسة حالاتها في ظروفها المختلفة من خلال الإتيان بالنماذج الروائية وتحليلها لإظهار نظرة الكاتبة خولة حمدي للمرأة العاملة.

حيث يبدو أنّ الكاتبة خولة حمدي فطنت إلى حال المرأة العاملة في المجتمع، واهتمّت بقضاياها اهتماماً خاصّاً. لذا وقع اختيارنا على دراسة المرأة العاملة في رواياتها لقوّة حضور المرأة العاملة في رواياتها، حيث تحتلّ مساحة كبيرة فيها، وغالباً ما تمثّل الفكر الثابت في حياة الكاتبة، وتدلّ على أهمّية المرأة العاملة في الحياة الاجتماعيّة.

فنظراً لكون المرأة محور اهتمام الأعمال الأدبيّة منذ عصور، يسعى البحث للردّ على سؤال جوهريّ، ألا وهو كيفية تجلّي المرأة العاملة في روايات الكاتبة التونسية خولة حمدي من خلال الإشارة إلى حالتها وظروفها المختلفة.

جدير بالذكر أنّ الباحثين لهذا المقال بصدد أن يعالجوا المحاور الأساسيّة مثل الأثر الإيجابي والسلبي لعمل المرأة العاملة في المجتمع، وذكر تعدّد أدوار المرأة العاملة في المجتمع والأسرة، وتبيين قدرات المرأة في حل المشاكل والأزمات.

١. ١. أهميّة البحث

يبدو أنّ الكاتبة الروائيّة خولة حمدي فطنت إلى الحال الجديدة للمرأة في المجتمع العربي المعاصر، وأولت قضاياها اهتماماً خاصّاً، ووظّفت شخصيّات نسويّة قادرة على حلّ مشكلاتها. وبناء على ذلك، وقع اختيارنا على دراسة المرأة العاملة في روايات الكاتبة التونسيّة خولة حمدي.

١. ٢. هدف البحث

الهدف من هذا البحث هو استجلاء رؤية الكاتبة خولة حمدي فيما يخصّ المرأة العاملة بحالاتها المتعدّدة في رواياتها، وعرض صورة واضحة عن مستوى براعة الكاتبة في ذلك، عبر وصف الشخصيات وتحليل الأحداث المتخيّلة والتعريف عن الوضع الذي تمرّ به المرأة العربيّة العاملة في المجتمع العربيّ وغيره.

١. ٣. أسئلة البحث

- لماذا ركّزت الكاتبة خولة حمدي على المرأة العاملة في رواياتها؟
-كيف تجلّت المرأة العاملة في روايات الكاتبة خولة حمدي؟

١. ٤. فرضيّات البحث

- ركّزت الكاتبة على المرأة العاملة في رواياتها لتبيين مدى طاقة المرأة وأهمّية حضورها في مجال العمل.
- تجلّت المرأة العاملة في روايات الكاتبة خولة حمدي بحالاتها المختلفة حيث تنوّعت شخصيّة النساء العاملات في رواياتها.

١. ٥. سابقة البحث

إنّ كثيرا من الدراسات تناولت موضوع المرأة ولاسيّما المرأة العاملة، وقد أثْرتْ المكتبة الأدبيّة بالمؤلّفات القيّمة، التي يمكن لأيّ باحث الرجوع إليها والاعتماد عليها. ومن هذه البحوث التي تناولت موضوع المرأة العاملة في الأدب تجدر الإشارة إلى ما يلي:

- «تعدّد أدوار المرأة وعلاقته بالمشكلات الأسريّة». للباحثة زينب بن جغمومة لعام ٢٠١٧م. دراسة ميدانيّة على عيّنة من الأستاذات بكلية العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة بجامعة الجلفة. قسم علم الاجتماع والديمغرافيا. كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة. جامعة زيان عاشور الجلفة. وقد قامت الباحثة بدراسة أدوار المرأة بدءاً من التطوّر التاريخي لعمل المرأة ودوافع خروجها للعمل وآثاره وصولا إلى المجهودات التي تبذلها المرأة والتي تساعد على أداء مختلف الوظائف، كما قامت بدراسة المشكلات الأسريّة كالتفكّك الأسريّ وأساليب معالجة المشكلات.

- «مشكلات المرأة العاملة». للباحثة ابتسام زدادرة. لعامي ٢٠١٩-٢٠٢٠م. دراسة ميدانيّة ببلديّة النشماية-قالمة-مذكّرة مكمّلة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع. قسم علم الاجتماع. كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة. جامعة ٨ ماي ١٩٤٥. وقد قامت الباحثة بدراسة المشكلات الأسريّة للمرأة العاملة كانعكاسات خروجها للعمل على الأطفال وعلاقتها الزوجيّة والتناقض بين الواجبات المنزليّة وعدم التوفيق بين العمل والأسرة.

- «المرأة العاملة وتحقيق الذات في رواية "الكوبرا تصنع العسل" للروائي أحمد زياد محبك». للباحث محمد الأحمد. عام ٢٠٢٠م. مجلة البحث العلمي الشرقي. المجلة ١٢. العدد ٢(٢٧). وقد قام الباحث بتبيين أساليب بناء شخصيّة المرأة، وأظهر العلامة اللغويّة للشخصيّات وقام بدراسة مشاكل المرأة ووسائلها في مواجهة المشاكل ،كما بيّن أثر المدير الصالح في تحسين أداء المرأة العاملة.

– «تأثير عمل المرأة على استقرار الأسرة من وجهة نظر الزوجين بمدينة جدة». للباحث إبراهيم جلالين إبراهيم وآخرين. جمعيّة المودّة للتنمية الأسريّة. بحوث الأسرة. العدد ٧. وقد قام الباحثون بدراسة مشاركة المرأة في القوى العاملة حيث أتَوا بنماذج محلّيّة وإقليميّة وعالميّة، وقاموا أيضا بدراسة التأثير الإيجابي والسلبي لعمل المرأة على الاستقرار الأسري، وبيّنوا العلاقة بين خروج المرأة للعمل وبين توافقها الزواجي، كما ذكروا المعوّقات الاقتصاديّة والثقافيّة والأسريّة والذاتيّة، التي تواجه المرأة العاملة وأظهروا تأثير عمل المرأة على أوضاعها الأسريّة ليبيّنوا التوازن بين الأسرة والعمل.

٢. نبذة عن حياة الكاتبة خولة حمدي

الكاتبة التونسية خولة حمدي «من مواليد ١٩٨٤م بتونس العاصمة، وهي أستاذة جامعيّة في تقنيّة المعلومات بجامعة الملك سعود بالرياض، متحصّلة على الشهادة في الهندسة الصناعيّة والماجستير من مدرسة المناجم في مدينة سانت اتيان الفرنسيّة عام ٢٠٠٨م ومتحصّلة على الدكتوراه في بحوث العمليّات من جامعة التكنولوجيا بمدينة تروا بفرنسا عام ٢٠١١م» (حطحاط، ٢٠١٨: ٨٩). «تعدّ خولة حمدي من الروائيّات المعاصرات اللائي ذاع صيتهنّ في مجال الإبداع الروائيّ، حيث قدّمت مجموعة من الإصدارات الروائيّة، التي نالت إقبالاً كبيراً في الوطن العربي» (بغدادي، وزيان، ٢٠١٩– ٢٠٢٠: ١).

٣. المفاهيم

٣. ١. المرأة في الرواية العربيّة

يستعين الأدباء بالصور في خلق الأعمال الأدبيّة. «فلا شكّ أنّ هناك علاقة بين الأدب والإنسان، وهي لا تنال حظّها من هذه العلاقة المتقابلة. إنّ النفس البشريّة تخلق الأدب وهو يهذّبها. تنظر إدراكات البشر النفسيّة في جوانب من حياته الطبيعيّة وتوفّر جذور الإبداعات الأدبيّة. من جهة أخرى، يبحث الأدب عن أحداث الحياة أيضاً لتكون توعية على جوانب من النفس البشريّة» (گودرزي لمراسكي وآخرون، ١٤٤٣: ٣٨) ولموضوع المرأة أهميّة كبيرة في مختلف ميادين الحياة، طالما تحدّث عنها الإسلام سواء في القرآن الكريم أم السنّة النبويّة الشريفة، بحيث ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز وأوصى بها الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم). «فالمرأة محور اهتمام الأعمال الأدبيّة منذ عصور، فأشارت الكاتبة السعداوي أنّه بالرغم من الكمّ الهائل من القصص والشعر والروايات، التي تناولت صورة المرأة إلّا أنّها لم تقدّم صورة إيجابيّة عن المرأة، حيث أكّدت الكاتبة نوال السعداوي أنّ الكتابات العربيّة القديمة والحديثة صوّرت المرأة تصويراً خاطئاً أو متناقضاً» (الحيمر، ١٤٤٣: ٢١). «كان موضوع المرأة في ميدان الأدب من أهم المواضيع التي شغلت بال الكثير من المفكّرين والأدباء، فهناك من أيّد فكرة أنّ المرأة شريكة للرجل وسوّى بينهما، وهناك من عارض هذا الرأي وقصر مهامها في الإنجاب والالتزام بالبيت، كما عبّر عنه صالح مفقودة بأنّ المرأة تحتلّ مساحة كبيرة في ميدان الأدب، فقصائد الشعر العربيّ تنوء بوصف النساء، ولوحات الرسّامين تعتمد على هذا الموضوع وكذلك الأفلام» (مفقودة، ٢٠٠٩: ١٠)، فالمرأة عنصر بارز في جميع ميادين الحياة سواء أكان شعراً أو نثراً.

«للمرأة حضور في الرواية العربيّة وهي محور استخدمه الأدباء في رسم صورتها للتعبير عن أفكارهم، كما تمثّل منطلقا فكريّا للبوح عن واقعهم الاجتماعيّ والاقتصادي ومختلف القضايا الإنسانيّة، لذا اهتمّ بها الكتّاب في أعمالهم وعبّروا عنها في صور عديدة، لأنّ حركتها ترتبط بحركة المجتمع من جهة، وتمثّل دلالة من جهة أخرى» (بوشعير، ١٩٩٦: ٥٤).

كما كانت محاولة المرأة في الرواية العربيّة تغيّر صورتها السلبيّة، التي كانت عليها في العصور السابقة أو رغبتها في الاستقلال والتحرّر من قيود المجتمع، الذي حصر لها دورها محدّدا إيّاه في الحياة، حيث تتقلّد بعض المهام البسيطة البعيدة عن الثقافة والفكر. رؤية المجتمع إلى المرأة رؤية متدنّية، فحصر دورها فقط في حدود جسدها ومهامها البيولوجيّة، «بتعبير سيمون دي بوفوار أي أدنى قيمة وحصرت بمهامها الجسديّة، وبفعل هذه السيطرة ذات الجذور الاقتصاديّة لم تحظ المرأة بالفرصة لتجرّب وتفكّر انطلاقا من ذاتها، لاسّيما أنّ الثقافة المهيمنة قد سعت طوال الوقت لإضفاء صفة الإطلاقيّة والقداسة على مقاولاتها» (دي بوفوار، د.ت: ٦)، ولكن من خلال ما قدّمته المرأة من إبداعات فكريّة كمّيّة ونوعيّة وجهود من أجل إثبات ذاتها، «يتبيّن أنّ دور المرأة يتجاوز ويتعدّى الجانب الجسدي والبيولوجي» (عليوات، وبسايح، ٢٠١٨: ٢١).

٣. ٢. الشخصيّات النسويّة العاملة في الروايات المختارة

الشخصيّة الروائيّة تمثّل مكوّناً مركزيّاً في السرد الروائي، «وتأتي أهمّيتها من كونها العنصر الرئيسي في فن الرواية؛ فالشخصيّة هي مدار المعاني الإنسانيّة، ومحور الأفكار والآراء في الرواية» (الأحمد، ٢٠٠٩: ١٢). والشخصية في الرواية هي المحرّك الرئيسي، الذي يطوّر الأحداث داخل الرواية. «إنّ الروائيّة تسعى من خلال شخصيّاتها إلى طرح عالمها الخاص، وتعرض من خلالها أفكارها بترتيب معين. ولكي تنقل هذه الأفكار وذلك العالم إلى المتلقّي تكلّف نماذج مناسبة وفق رؤيتها تحقّق لها هذه الغاية. وقد تكون هذه النماذج شبيهة بالنماذج الواقعية في البيئة الاجتماعية التي تعيش فيها الروائية، وقد تحتاج إلى توظيف نماذج بعيدة عن الواقع، نماذج خياليّة أو أسطوريّة» (الأحمد، ٢٠٢٠: ٣٠٧). فهدف الروائيّة هو الذي يدفعها إلى توظيف هذا النموذج أو ذاك في روايتها.

والدارس للشخصيّات النسويّة في روايات الكاتبة الروائيّة خولة حمدي يجد أنّ الكاتبة شديدة الاهتمام بالمرأة العاملة وقضاياها، حيث تجعل المرأة في رواياتها متّكئة لرسالتها، التي تريد إيصالها للمتلقّي وأنّ نماذجها لم تخرج عن الإطار الواقعي، وظهرت في رواياتها بشتّى حالاتها المتمثّلة بنموذج المرأة العاملة والاعتداد بذاتها، وأيضا المرأة العاملة وتفانيها في العمل، وأيضا المرأة العاملة ومعاناتها التي شكّلت قسما كبيرا من هذه الشخصيّات، وهذه النماذج كلها شبيهة بما نعايشه في الواقع.

– مرام من رواية "أحلام الشباب، يوميّات فتاة مسلمة": وقد استأثرت شخصيّة مرام بالمساحة الأكبر من حركة السرد بوصفها شخصيّة رئيسيّة في الرواية «تتحرّك من بداية الأحداث لتحقيق هدف معين» (بحراوي، ١٩٩٠: ٢١٥). وهي طالبة جامعيّة تدرس الطب في إحدى الجامعات وتمتلك قدرات كبيرة في مجالها بالإضافة إلى أسلوب حياتيّ مميّز وطريقة ناجحة في تعاملها مع الآخرين.

– رنيم وهي شخصيّة مشتركة في روايتي "أن تبقى" و "ياسمين العودة وهي فتاة متعلّمة ومحامية ناجحة ذات دقّة عالية في إنجاز مهامها ولها مكانة مرموقة في المجتمع الفرنسي الذي تقيم فيه، كما أنّها شخصية واثقة بذاتها عارفة بحقوقها وحدودها.

– ياسمين وهي بطلة رواية "ياسمين العودة" وهي فتاة أكاديميّة ومثقّفة وهي ذات شخصية هادئة وتتحلّى بالصبر والتروّي في اتّخاذ قراراتها، كما لها مكانة ملحوظة في المجتمع الفرنسي الذي تقيم فيه.

– سكينة وهي من الشخصيّات الثانوية في رواية "ياسمين العودة" وهي امرأة مطلّقة ولا تمتلك شهادات جامعيّة فتضطرّ إلى القيام ببعض الأعمال اليدويّة وغيرها من أجل لقمة العيش والحفاظ على كرامتها.

٤. المرأة ونشاطها المهني

يعتبر العمل الذروة التي يتمنّاها الكثير من الشباب خاصّة مع ما يناسب مستوياتهم العلميّة، «لأنّ العمل هو استقلاليّة الجميع، حيث نجني منه المحصول بعد الجهد الذي سار عليه الإنسان، والعمل وسيلة من وسائل التعبير عن الذات والذي يحاول الفرد من خلاله تحقيق أهدافه وإشباع رغباته. وإذا كان من حقّ المرأة أن تتعلّم فإنّ من حقّها أن تعمل» (بودوخة، وآخرون، ٢٠٢١-٢٠٢٢: ٢٩).

كما أضاف عملها قوّة اقتصاديّة لكثير من الأسر، مكّنها من تحقيق حياة أفضل. إنّ المرأة تتفاعل مع البيئة التي تعيش فيها، مثلها مثل الرجل وتسعى لتحسين أوضاعها، فهي لا تكتفي بالإيمان بالغد، بل تدعم إيمانها العملي بإرادتها لخلق واقع إيجابي. فيرى الباحثون من خلال ما تقدّم أنّ سعى المرأة ما هو إلّا محاولة لفرض نفسها في المجتمع عبر التواجد في مجال العمل الذي يتناسب مع إمكانيّاتها وبهذا تتساوى مع الرجل في حصولها على العمل والخروج من المنزل لكسب المال، كما أنّها بمحاولتها هذه تتحرّر من القيود التي كانت تربطها.

٤ .١. المرأة العاملة والاعتداد بذاتها

إنّ خروج المرأة للعمل فرض ظروفاً جديدة على الأسرة ككلّ وتسبّب بمشكلات للزواج والأولاد وللزوجة نفسها، «فقد كانت المرأة تشارك في العمل، وفي الزراعة طالما كان المجتمع ريفيّا إلّا أنّ التطوّر التجاري والصناعي أعطى فرصا متزايدة للمرأة كي تشارك بالعمل في نطاق واسع وبصورة مستقلّة عن زوجها وأفراد أسرتها» (بن جغمومة، ٢٠١٧: ٤٩). وقد خلق ذلك تغييراً اجتماعيّاً جديداً، حيث أصبح الارتفاع بمستوى معيشة الأسرة وإرضاء رغبة المرأة في إثبات وجودها وتدعيم مركزها، الهدف الرئيسي من السعي للعمل. كما أنّ تبدّل مكانة المرأة العاملة وشعورها بالاستقلاليّة وامتلاكها لحرّيّة القرار وتحرّرها من القيود الأسريّة والاجتماعيّة، هيّأ للمرأة الأرضيّة المناسبة والمجال الرحب لتزدهر وتثبت قدراتها وتعزّز شعورها بالثقة والاعتداد بالذات. فتتحدّث الكاتبة عن اعتداد المرأة العاملة بذاتها في رواية "ياسمين العودة" وتقول:

«رنيم، أنت في موقعك الحقيقي. أنت تستحقين الصدارة"!...

حين قصدتها ماتيلد منذ شهور، وعدتها بأن تجعل منها نجمة تلفزية....

ظهور صورها على أغلفة مجلات المشاهير، انتشار مقاطعها على مواقع التواصل، وإعجاب النّاس بمواقفها ورفعهم لكلماتها شعارات.. كلّ ذلك أصبح جزءا من كيانها!» (حمدي، ٢٠٢١: ٢٧١-٢٧٢).

إحدى بطلات الرواية وهي "رنيم" تخاطب نفسها في هذا المقطع بـ"رنيم، أنت في موقعك الحقيقي. أنت تستحقّين الصدارة" وهذا يدلّ على ثقتها واعتدادها بذاتها، لأنّ «لتقدير الذات تأثير كبير في فهم الفرد لذاته وفق تقويمه لنفسه، ورؤية المجتمع المحيط به. ويرتبط بشخصيّة الفرد وتكاملها، بل ويعدّ من أهم الأبعاد في تشكيل الشخصيّة؛ حيث يؤثّر في تحديد سلوكه وتكوين سمات شخصيّته، كما هو الدافع لتأكيد الذات، وتحقيق النجاحات، لأنّه يسهم في استنهاض قدرات الأفراد واستعداداتهم بصورة إيجابيّة» (قاسم، ٢٠٢١: ٥٦). أدّى التركيز المتزايد على التنوّع والشمول في مكان العمل إلى خلق المزيد من الفرص للنساء للازدهار والنجاح في حياتهنّ المهنيّة. يمكن أن يكون لهذا التطوّر نحو الشموليّة والمساواة تأثير على احترام الذات والنظرة الذاتيّة للنساء العاملات، وتمكينهنّ من تحقيق إمكانيّاتهنّ الكاملة في القوى العاملة. إنّ قضيّة المرأة العاملة واحترامها لذاتها تتطلّب فهماً شاملاً للعوامل المجتمعيّة والثقافيّة المؤثّرة. في حين أنّ النساء العاملات قد يواجهن العديد من التحدّيات والعقبات في سعيهنّ لتحقيق أهدافهنّ المهنيّة، إلّا أنّ هناك أيضا فرصاً كبيرة لهنّ لبناء الثقة

واحترام الذات في مكان العمل. فالمحامية رنيم تجد نفسها تستحقّ الصدارة في مجالها وأن تكون محطّ الأنظار، فهذا جزء من كيانها لا يقبل الفكاك، حيث ازدياد المشاعر الإيجابيّة التي تملكها المحامية رنيم تجاه نفسها، يودّي إلى ازدياد ثقتها بنفسها، فيمكن القول إنّ الكاتبة ترى أنّ معرفة المشاعر الإيجابية والقدرات ومنها الثقة بالذات من دوافع النجاح وينبغي أن تكون جزءا لا يتجزّأ من كيان المرأة وشخصيّتها. لذلك برزت لنا الكاتبة هذا الجانب المهم من شخصيّة المرأة العاملة ليكون حافزاً للمرأة وتتعلّم النساء الثقة بذواتهنّ، لأنّها تمهّد لهنّ طريق النجاح. وتقول في مقطع آخر من الرواية:

«لقد أمضت ثلاثتهن ساعات يجبن بين محلّات ثياب الزفاف، وعدن بخفي حنين،...

قالت سكينة مقترحة:

– ما رأيك في التفصيل؟

– تفصيل؟

– نعم،... إن استقرّ رأيك على تصميم ما، فيمكنني تفصيله من أجلك.

– هل أنت بارعة في ذلك؟...

قالت في ثقة:

– سأفرّجك على بعض تصميماتي، ثم يمكنك أن تقرّري.

اختفت سكينة داخل الغرفة لبرهة، ثم عادت وبين كفّيها ألبوم كامل. هتفت ياسمين وهي تشاهد الصور في انبهار:

– أنت مذهلة.. هل يوجد شيء لا تجيدينه؟ سكينة، أنت صندوق مفاجآت!» (حمدي، ٢٠٢١: ١٠٤-١٠٥).

تنقل لنا الكاتبة في هذا المقطع من الرواية صورة مختلفة عن المرأة العاملة، حيث نجدها تتجسّد في المرأة التي تجيد التصميم والخياطة. فالكاتبة هنا لم ترسمها على أنّها دارسة أو تحمل شهادات جامعيّة، بل إنّها امرأة بسيطة أثبتت وجودها في مجال مختلف تماماً لا يمتّ بصلة بعالم العلم والشهادات، فأرادت الكاتبة من خلال ذكر هذا النموذج، تشجيع النساء على اكتشاف مواهبهنّ وإثبات وجودهنّ في مجالات مختلفة، منها: الخياطة والتصميم والأزياء، وألّا يتّكأن على الآخر لإعالة أنفسهنّ، بل بإمكانهنّ أن يتألّقن في مجالات كثيرة ويبدعن فيها. فالدوافع النفسيّة المتمثّلة في الحاجة إلى إثبات الذات والشعور بالمسؤوليّة من الدوافع المهمّة لخروج المرأة إلى العمل خارج المنزل إلى جانب الدوافع الاقتصاديّة. إنّ أحد العوامل الرئيسيّة في تعزيز احترام الذات بين النساء العاملات هو الاعتراف بإنجازاتهنّ ومساهماتهنّ والتحقّق من صحّتها. عندما يتم الاعتراف بالنساء لعملهنّ الجاد وإنجازهنّ، يمكن أن يكون لذلك تأثير كبير على احترامهنّ لذاتهنّ وشعورهنّ بقيمتهنّ في مكان العمل، كما يمكن أن يلعب دعم وتشجيع الزملاء والمشرفين أيضا دوراً حاسماً في تعزيز احترام الذات لدى المرأة العاملة. عندما تشعر المرأة بالاحترام والتقدير من قبل أقرانها ورؤسائها، فإنّ ذلك يمكن أن يساعد في مواجهة التأثير السلبي للقوالب النمطيّة والتحيّزات المجتمعيّة، وتمكينها من تولّي أدوار قياديّة وتحقيق أهدافها المهنيّة بثقة. علاوة على ذلك، تهدف الكاتبة إلى حثّ المرأة وإخراجها من عالمها التقليدي لتعتدّ بذاتها وتنطلق في الحياة وتكتشف قدراتها ومواهبها وتصنع الإبداع حيث نجدها تصف "سكينة" على لسان "ياسمين" بطلة الرواية بأنّها "صندوق مفاجآت" لكثرة مواهبها، حيث أنّ امتلاك المواهب وإظهارها في مجال العمل من الأمور التي تدعم ثقة المرأة بذاتها. فعلى المرأة أن تتعلّم الكثير وتقدّم الجانب الفعّال لها في المجتمع وتظهر أجمل ما لديها سواء كان مجالها علميّا أم لم يكن لتكون امرأة مؤثّرة ومخلصة لعملها، وتمنع نفسها عن الاتّكال على الآخرين.

٤. ٢. المرأة العاملة وتفانيها في العمل

إنّ المرأة العاملة هي التي تقوم بممارسة عمل تؤجر عليه أي تتقاضى أجرا على جهد تقوم به في مؤسّسة ما. «ويمكن القول بأنّها المرأة التي تعمل خارج المنزل وتحصل على أجر مادّي مقابل عملها وتقوم في نفس الوقت بأدوارها الأخرى كزوجة وأمّ إلى جانب دورها كعاملة أو موظّفة» (بن جغمومة، ٢٠١٧: ٧).

كما تسهم المرأة في دفع عجلة العمل والإنتاج، لاسيّما في عصرنا الحالي، حيث أصبحت عنصراً فاعلاً في سوق العمل ولم يعد العمل خارج المنزل حكراً على الرجل فقط. فقد أسهمت المرأة في التعليم والطبّ والصناعة والتجارة والعمل الإداري والمحاماة وغيرها. فتتحدّث الكاتبة عن تفاني المرأة العاملة واهتمامها بعملها في رواية "أحلام الشباب، يوميّات فتاة مسلمة" وتقول:

«سار اليوم بصفة عادية، دون مشاكل تذكر، فقد كنت بالفعل قد بدأت التعود على الجروح والإصابات، لكنني أفعل ما بوسعي حتى لا أؤلم المصابين، وأخفف عنهم بكلمات رقيقة تدخل إلى قلوبهم الطمأنينة...» (حمدي، ٢٠١٣: ٣٨).

تجسّد الكاتبة المرأة العاملة في هذا المقطع من الرواية في "مرام" بطلة الرواية والتي تمتهن الطب فتصوّرها لنا متفانية في عملها وفي أداء واجبها. إنّ تفاني المرأة العاملة في عملها هو موضوع حظي باهتمام كبير في السنوات الأخيرة. في الماضي كان المجتمع ينظر إلى النساء في كثير من الأحيان على أنّهنّ أقلّ التزاماً بحياتهنّ المهنيّة مقارنة بالرجال. ومع ذلك، مع ازدياد اندماج المرأة في القوى العاملة، أصبح من الواضح أنّ الأمر ليس كذلك. غالباً ما تكون النساء العاملات متفانيات وملتزمات بوظائفهنّ مثل نظرائهنّ من الرجال، إن لم يكن أكثر من ذلك. وأحد أسباب المستوى العالي من التفاني بين النساء العاملات هو الحاجة إلى إثبات أنفسهنّ في مكان العمل الذي يهيمن عليه الذكور. لقد واجهت النساء تقليديّا التمييز والعقبات في العالم المهني، ويشعر الكثير منهنّ بالحاجة إلى العمل بجهد أكبر لكسب الاحترام والتقدير. غالباً ما يؤدّي هذا الدافع لتحقيق النجاح إلى مستوى عالٍ من التفاني في عملهنّ. بالإضافة إلى تفانيهنّ في عملهنّ، غالباً ما تتولّى النساء أيضا مسؤوليّات أخرى مثل رعاية أسرهنّ وإدارة الواجبات المنزليّة، ومتابعة المصالح الشخصيّة. وعلى الرغم من هذه المطالب المتنافسة، فإنّ العديد من النساء العاملات قادرات على الحفاظ على مستوى عالٍ من الالتزام بوظائفهنّ وأداء واجباتهنّ. فتقول على لسان البطلة بأنّها تعوّدت بعد معاناة على الجروح والإصابات وهذا أخذ منها طاقة لا بأس بها حتّى اعتادت على رؤيتها، كما أنّها تحاول بدورها أن تتمرّن على الطب وأن تفعل في الوقت ذاته ما بوسعها لتحافظ على مشاعرها الإنسانيّة لكي لا تؤلم المصابين عند علاجهم أو تضميد جراحهم، كما أنّها تحاول بأن تخفّف عنهم بكلماتها وأسلوب تعاملها معهم وهذا جزء من مهنتها، كونها طبيبة فلا بدّ لها من أن تؤدّي دورها على أحسن وجه وتساعد بتفانيها هذا وجهودها على إدخال الطمأنينة إلى قلوب المرضى، لأنّ العلاج لا يكون جسديّاً فحسب، بل للجانب الروحي والذي تحاول البطلة ألّا تغفل عنه، دور كبير في استعادة المرضى لصحّتهم وسلامتهم. وفي الختام، فإنّ تفاني النساء العاملات في وظائفهنّ هو شهادة على عملهنّ الجاد وإصرارهنّ وصمودهنّ. على الرغم من مواجهة العقبات والتحدّيات، تواصل العديد من النساء التفوّق في حياتهنّ المهنيّة. وبفضل سعيهنّ لتحقيق النجاح والشعور بالواجب والوفاء الشخصيّ والرغبة في تحقيق أهدافهنّ المهنيّة، تقدّم النساء العاملات مساهمات لا تقدّر بثمن في العالم المهنيّ. ومن الضروري أن يعترف المجتمع ويقدّر العمل الجاد والتفاني الذي تقوم به المرأة العاملة من أجل خلق قوّة عاملة أكثر إنصافاً وشمولاً، كما تتحدّث عن اهتمام المرأة بعملها في رواية "أن تبقى" وتقول:

«قهوتك أستاذة رنيم...

قدمتني وهي تشد على ذراعي تبثني ثقتها:

– نادر صديق للعائلة... وأمره يهمني...

– ... هل يمكننا استخراج أوراق هوية لنادر؟

– الأمر ليس بهذه البساطة.. أولا نقصد مركز الشرطة ونرفع شكوى بضياع أوراقك، ثم نتوجه إلى سفارة بلادك للحصول على جواز سفر جديد وأوراق هوية كاملة. كل هذا في غاية البساطة ويمكن الانتهاء منه في وقت قصير.. لكن لا يمكنك الحصول على بطاقة إقامة بنفس الطريقة. الداخلية يمكنها التثبت بسهولة من سجلات البطاقات المصدرة وسيتبين لديها أن اسمك لم يرد فيها. بل لم يتم إصدار تأشيرة لك مطلقا، ما سيسبب متاعب أنت في غنى عنها. إذن لا مفر من سلسلة العرائض والمناشدات والمرابطة أمام مفوضيات الهجرة ومكاتب شؤون المهاجرين» (حمدي، ٢٠١٦: ٢٣٥).

لا شكّ أنّ من أهمّ الأمور التي باتت محل انتباه المختصّين في شؤون العائلة والمتابعين لأمور النساء، خاصّة ما يتعلّق بحقوقها كإنسانة مستقلّة هي أن ترعى حياتها بنفسها. فالمرأة العاملة لها دور كبير في المجتمع، ولها حقوق، وعليها واجبات، فهنا تتحدّث الكاتبة عن هذا الأمر بحيث تقول إنّ الأمر ليس بهذه البساطة، أي إنّ بعض الأعمال تحتاج جهداً كبيراً من المرأة ودقّة فلا بدّ لها أن تبذل قصارى جهدها لتكون على أهبة الاستعداد لإتمام مهامها وواجباتها والوظائف والمسؤوليّات، التي تقع على عاتقها. وكما أظهرت الدراسات أنّ الشركات التي لديها قوى عاملة متنوعة تضمّ نساء في مناصب قياديّة تميل إلى تحقيق أداء مالي أفضل. وهذا دليل على التفاني الذي تظهره النساء العاملات في مِهنهنّ. يمكن لوجهات نظرهنّ وخبراتهنّ الفريدة أن تعزّز عمليّة صنع القرار وحل المشكلات داخل المنظّمات. بالإضافة إلى ذلك، تشعر العديد من النساء العاملات بإحساس قوي بالمسؤولية تجاه وظيفتهنّ والمهام الموكّلة إليهنّ. وهذا الشعور بالواجب يدفعهنّ إلى بذل قصارى جهدهنّ والسعي لتحقيق التميز في عملهنّ. غالبا ما تشعر النساء بإحساس قوي بالفخر بإنجازاتهنّ ويشعرن بارتياح كبير عند القيام بعملهنّ بشكل جيّد. ومن العوامل الأخرى التي تساهم في تفاني المرأة العاملة هو الرغبة في تحقيق أهدافها المهنيّة. لقد عملت العديد من النساء بجد للتقدّم في حياتهنّ المهنيّة ووضعن أهدافاً طموحة لأنفسهنّ. وهذا الدافع للنجاح يحفّزهنّ على العمل الجاد والبحث المستمر عن فرص للنمو والتقدّم. واخترن العديد من النساء ممارسة الوظائف التي يتحمّسن لها والتي تتوافق مع قيمهنّ واهتماماتهنّ. فيدفعهنّ هذا الإنجاز الشخصيّ إلى العمل الجاد وبذل قصارى جهدهنّ لتحقيق النجاح في المجال الذي يقمن باختياره. وقد تغلّبت العديد من النساء على العقبات وتفوّقن في حياتهنّ المهنيّة من خلال العمل الجاد والتصميم والمرونة. فالمرأة العاملة تتفانى في أداء عملها وربّما تبذل جهداً مضاعفاً بالنسبة للنساء اللواتي يمكثن في البيوت ويقمن بالأعمال المنزليّة فحسب، فهي تضاعف من جهدها كي تؤدّي دورها على أكمل وجه، كما أنّها خبيرة في مجالها، فهذا يعلو من قيمة المرأة ومكانتها في العمل وفي المجتمع وفي نظر المختصّين والمتابعين لشؤونها وشؤون عملها. وعلى الرغم من مواجهة تحدّيات مثل الفجوة في الأجور بين الجنسين ونقص التمثيل في الأدوار القياديّة، إلّا أنّ النساء العاملات يواصلن إظهار مستوى رائع من التفاني والالتزام في عملهنّ. كما تتحدّث عن اهتمام المرأة بعملها في رواية " ياسمين العودة" وتقول:

« حادث مختبر الكيميائيات.. العملية الإرهابية المزعومة، وكبش الفداء: المتهم العربي الذي كان حاضرا على عين المكان! لقد عاش عمر الكارثة، وحيدا،.. ثم حين أخذ يتجاوز محنته، وجد نفسه في غرفة حجز انفرادي، وقد وجهت إليه تهمة التفجير الإرهابي... استمرت المحاكمة المضنية ثلاث سنوات كاملة، وقد استبسلت رنيم كمحامية دفاع، حتى أثبتت براءته..

بعد حكم أوّل بالإدانة واستئناف يائس! لقد صنعت تلك العزيزة المعجزة، وقد تورّطت في القضيّة حتى النخاع، مهنيا ووجدانيا» (حمدي، ٢٠٢١: ١٣-١٤).

تتمثّل المرأة العاملة في هذا المقطع مرة أخرى في الأستاذة "رنيم" المحامية. فقامت الكاتبة بوصف تفاصيل ظروف المدّعى عليه وهو "عمر" وأظهرت من خلال ذلك كيف تتفانى المرأة في مجال المحاماة على الرغم من كلّ الصعاب والعوائق، وأنّ المرأة لا تستسلم للفشل ولن تتوانى عن تقديم أيّ مجهود من أجل الحصول على النتائج المرجوّة لاسيّما في مجال كهذا، حيث تتعلّق القضايا بحياة البشر وقد يلعب حضورها دورا حاسما في تحديد مصير القضايا. «فالعمل بالنسبة للمرأة ليس مجرّد نشاط اقتصادي، هدفه الكسب من أجل العيش، بل هو نشاط وجودي للإنسان يخصّ بناء شخصيّته من جوانبها المختلفة» (المري، ٢٠١٩: ١٤٢-١٤٣)، لذا تقول الكاتبة إنّ المحامية فعلت كلّ ما بوسعها من أجل إثبات براءة موكّلها وإنقاذه. فرغم الاستئناف اليائس والحكم بالإدانة لم تستسلم للفشل، بل فعلت المستحيل لتصنع المعجزة. فالخبرة التي اكتسبتها المحامية "رنيم" في دور المحاكم لكونها تدافع عن الحق وتسعى لإظهار العدالة، تعزّز مكانتها في المجتمع وأنّ اهتمامها بعملها وبذلها الجهد الكبير في سبيل القيام بمهامها، ما هو إلّا عهد اتّخذته على نفسها لتكون في خدمة الحق ونصرة المظلوم، بما تمتلك من قدرة وخبرة دون أن تتوانى عن تقديم أيّ مساعدة قانونيّة لمنح موكّليها حقوقهم بأكملها. وتقول في مقطع آخر من الرواية:

«تنهدت رنيم في ضيق وهي تقول: ...

- أشعر بأنني إن لم أقف في قاعة المحكمة هذه المرة، لأنهي ما بدأته.. فسأندم بقية حياتي!...

سافرت إلى باريس مرّة أخرى... عكفت مع جورج على إعداد المرافعة طيلة الأسبوع، وسمح لها هذه المرة أيضا بأخذ الكلمة.

كانت تبدي من الاستمانة قدرا لا يدع للشك في جديتها مجالا...

وصلت من أجل المرافعة النهائية.. دخلت مثل ريح عاصف، صدحت بخطبتها العصماء، بصوت واثق، مزلزل، ثمّ دارت على عقبيها لتغادر بنفس الكبرياء والأنفة» (حمدي، ٢٠٢١: ٣٤-٣٥).

نرى هنا أهمّية العمل لدى المرأة العاملة واهتمامها وتفانيها في العمل، حيث ترى لا بدّ لها من أن تنهي بنفسها ما بدأته، ولن ينوب عنها غيرها. فهي جادّة في عملها ومخلصة لمهنتها، مستميتة في إنجاز المهمّة التي ألقيت على كاهلها ولم تمتنع عن تقديم التضحيات في سبيل الاستمرار بالعمل وتأدية دورها الحياتي واتّخاذ موقف جاد وصارم في مجالها المهني. وهذا «يؤكّد أهمّية نضال المرأة بالعمل فهي امرأة فاعلة في عملها ونضالها وهذا يكمن في مقدرتها في العمل ووعيها... كما يؤكّد لنا أهمّية عملها، فالمجتمع يحتاج إليها في كلّ مكان وزمان» (عليوات، وبسايح، ٢٠١٨: ٢٦)، فالكاتبة تحوّل عمل المرأة إلى نضال يعزّز مكانتها. نرى المرأة العاملة بقدر من الجدّيّة والتركيز والثقة التي تساعدها على أن تؤدّي دوراً بعينه وتتّخذ موقفاً محدّداً. امرأة تعرف حدود عملها ومساحتها التي تتحرّك فيها. كما أنّ الكاتبة خولة حمدي باختيارها لهذه الشخصية ورسمها في هذا المشهد ووصفها بالكبرياء والأنفة تأمل بجيل من النساء العاملات اللاتي يتحلّين بالصفات ذاتها، والتي لا تدع مجالا للشكّ في قدراتهنّ على إدارة الأمور واتّخاذ القرارات الصائبة، وأن يكون لهنّ حضور طاغ ينبّئ عن قدرتهنّ على القيام بالمهام،كما قامت به إحدى بطلات الرواية الموصوفة أعلاه. عطفاً على ما سبق، من الممكن أن نقول إنّه يتأثّر مستوى اهتمام المرأة العاملة بوظيفتها بمجموعة من العوامل بما في ذلك؛ الاستقلاليّة، والتحدّي، والدعم الاجتماعي، ومواءمة القيم،

والتوازن بين العمل والحياة. كما تميل النساء اللاتي لديهنّ مستوى عالٍ من الاهتمام بعملهنّ إلى أن يكنّ أكثر تفاعلاً وتحفيزاً ورضًى في عملهنّ. ومع ذلك تواجه النساء أيضا عددا من التحدّيات التي يمكن أن تؤثّر على مستوى مشاركتهنّ في عملهنّ.

٤. ٣. المرأة العاملة ومعاناتها

لعمل المرأة صلة بالتحدّيات التي تواجهها هي وأسرتها (الزوج والأبناء)، حيث أصبح نزول المرأة لمجال العمل حقيقة ماثلة عصرنا، «ومن الطبيعي أن تعترضها بعض المشكلات، لأنّها وفقا لبعض أدوارها في الحياة كامرأة أو أم وزوجة، عليها واجبات ينبغي عليها أن تؤدّيها، وبلا شكّ أنّ عملها خارج المنزل يزيد من أعبائها الأساسيّة، وهي الإسهام في إدارة المنزل ورعاية وتربية الأبناء، وفي نفس الوقت إنّ المرأة قد تحتاج للعمل خارج المنزل لعدّة أسباب، قد تكون مادّية أو اجتماعية أو غير ذلك» (المصدر نفسه: ١١).

فتتحدّث الكاتبة عن معاناة المرأة العاملة في رواية "ياسمين العودة" وتقول:

«ابتسمت في امتنان، بينما وقف دافيد يهم بالمغادرة. استدار حين وصل عند الباب وقال:

– نسيت إخبارك، المؤسّسة تقع في مدينة "ليل".

"ليل"، انتابها الفتور فجأة "ليل تبعد عن باريس أكثر من مئتي كيلومتر"

– سأفكر بالأمر.

قالت ذلك دون حماس. مئتا كيلومتر؟ كيف تجرؤ على مفاتحة هيثم في الموضوع؟...

لكن تلك الفرصة تعدّ نادرة ولا تفوّت بالنّسبة إليها، هل تقطع المسافة كلّ يوم ذهابا وإيابا بالقطار؟

أيّ نوع من العذاب ستعيشه لتوفّق بين واجباتها الزوجيّة والمهنيّة؟ إن تحمّلتها المهنة، فهل يُرضي ذلك هيثم؟» (حمدي، ٢٠٢١: ١٤٨-١٤٩).

تبيّن الكاتبة في هذا المقطع من الرواية جانبا من جوانب معاناة المرأة العاملة، وهو الجمع بين حياتها الشخصيّة أي واجباتها الزوجيّة وحياتها المهنيّة وكيفيّة أدائهما دون أن ترجّح كفّة إحداهما على الكفّة الأخرى. «فالمهام الأسريّة على عاتق الزوجة تتطلّب منها بذل المزيد من الجهود المهنيّة وتخصيص الأوقات الطويلة، لكن واجباتها لا تقف عند حدّ تحمل المسؤوليات الأسريّة فقط، فهي مسؤولة كذلك عن الواجبات الوظيفيّة والمهنيّة التي تؤدّيها المرأة خارج البيت والواجبات الأسريّة غالباً ما تتناقض مع الواجبات المهنيّة، فعمل المرأة لساعات طويلة خارج البيت لا بدّ من أن يتعارض مع مسؤوليّتها المنزليّة والتعارض هذا يوقع المرأة العاملة في مشاكل التوفيق بين متطلّبات عملها المنزلي ومتطلّبات عملها الوظيفي» (زدادرة، ٢٠١٩-٢٠٢٠: ٣٣-٣٤)، لذا بُعد المسافة بين عش الزوجية ومحل العمل يعدّ إحدى المشاكل التي قد تخلق مشاكل مضاعفة فيما يصعب الجمع بين الواجبات المنزليّة والمهنيّة. فالمرأة العاملة تواجه العديد من التحدّيات في حياتها الشخصيّة لا سيّما عندما يتعلّق الأمر بالموازنة بين مسؤوليّاتها المهنيّة ودورها كزوجة. فمن الواجب على المرأة أن توفّق بين جداول العمل الصعبة وإدارة الأعمال المنزليّة، ولكن غالبا ما تواجه هؤلاء النساء صعوبة في علاقتهنّ مع أزواجهنّ. كما نرى الكاتبة لم تغفل عن موافقة الزوج وموقفه من الأمر في أخذ قرار مصيري كهذا، يمسّ الحياة الزوجيّة لا بدّ أن يكون له دور هام في اتّخاذه أو استبداله بقرار آخر أكثر ملائمة مع الظروف السائدة. وإحدى المشاكل الأخرى التي تواجهها المرأة العاملة في حياتها هي قلّة الوقت والطاقة للاستثمار في علاقاتها ومع ساعات العمل الطويلة وضغوط الحياة المهنيّة، غالبا ما تجد هؤلاء

النساء أنفسهنّ منهكات، بحيث لا يتمكّنّ من المشاركة في تواصل هادف. ويمكن أن يؤدّي ذلك إلى مشاعر الإهمال. وتقول في مقطع آخر من الرواية:

«– المشكلة أن الوظيفة في مدينة "ليل"!

– هذا طبيعي يا عزيزتي.. هذا مستقبلك وسيستلزم منك بعض التضحيات في البداية. كل الدكاترة الجدد يضطرون إلى قبول وظائف بعيدة عن عائلاتهم لسنة أو سنتين حتى يكتسبوا تجربة كافية ويتسنّى لهم المنافسة على الوظائف الأفضل.. لا تكوني قصيرة النظر فتفقدي وظيفة مميّزة» (حمدي، ٢٠٢١: ١٥٨).

تتحدّث الكاتبة في هذا المقطع من الرواية عن معاناة المرأة العاملة، نظراً لأهمّية مستقبلها المهني بالنسبة إليها، حيث تضع الحياة أمامها خيارات عدّة قد تناسبها من جانب، ولا تناسبها من جانب آخر، لاسيّما حينما تكون الوظيفة المرجوّة التي هي نقطة انطلاقة نحو مستقبلها المهني، تقع في مكان آخر ممّا يتطلّب التنقّل بين مدينة وأخرى، وهذا يشكّل عبئا بالنسبة لها. فالمرأة العاملة لا بدّ لها أن تدرس جميع الخيارات المتاحة ولا تتوقّف عند ما يحول بينها وبين نجاحها وتألقها في مجالها المهني. إنّ التحدّيات التي تواجهها النساء العاملات بسبب بُعد أماكن عملهنّ متعدّدة وغالبا ما يتم تجاهلها، حيث يتطلّب منهنّ التوازن الدقيق بين مسؤولياتهن المهنيّة والتزاماتهنّ الشخصية. كما أنّ عبء التنقّل لمسافات طويلة إلى العمل يؤثّر سلباً على صحّتهنّ الجسديّة والعقليّة، ممّا يؤدّي إلى التعب والإرهاق والإجهاد ويزيد من تعقيد روتينهنّ اليومي. ويمكن للتنقّل الطويل أن يستهلك وقتا ثمينا يمكن قضاؤه مع العائلة وممارسة الهوايات أو الاهتمامات الشخصيّة. وتقول في مقطع آخر من الرواية:

«خرجت رنيم من المبنى على عجل وهي تقود طفليها أمامها في اتجاه السيارة. لقد استغرق منها تغيير ثيابهما وتسريح شعريهما ثم تجهيز الإفطار وحزم وجبات خفيفة من أجل النهار الطويل، وقتا ثمينا لا تمتلكه. أجلست كليهما في المقاعد الخاصة في القسم الخلفي، وربطت حزامي الأمان، ثم سارعت إلى عجلة القيادة. الساعة تقترب من العاشرة، وهي متأخرة عن دوامها في مكتب المحاماة» (المصدر نفسه: ٤٨٥).

ومن معاناة المرأة العاملة هو الجمع بين واجباتها تجاه أطفالها وبين واجبها في مجالها المهني، حيث تكافح العديد من النساء للتوفيق بين متطلّبات وظائفهنّ واحتياجات أطفالهنّ، ممّا يؤدّي إلى التوتّر والشعور بالذنب والنقص. فترسم لنا من خلال هذا المشهد صعوبة الجمع بينهما. فعلى الرغم من نجاح المرأة في عملها، تظهر مشكلات أسريّة مختلفة، تنجم عن خروج الزوجة الأم من المنزل للعمل، وهذه المشكلات تنعكس على الأبناء والزوج، ممّا يؤثّر على الاستقرار الأسري. فالأم هي المحرّك الأساسي للأسرة وخروجها للعمل يفرض عليها تحمّل مسؤوليّتين، المسؤوليّة الأولى تربية أولادها وإدارة شؤون المنزل، والمسؤوليّة الثانية القيام بواجباتها المهنيّة حسب الوظيفة التي تمتهنها. وعليه فإنّ المطلوب من المرأة (الزوجة الأم) العاملة أن تكون قادرة على التوازن بين واجباتها الأسريّة وعملها خارج البيت؛ حتى لا يهتزّ استقرار الأسرة. لذا نرى أنّ المرأة تبذل جهداً كبيراً لتأدية واجباتها على اختلافها، فهي الأم التي تعتني بأطفالها من جهة، ومحامية موظّفة في مكتب المحاماة من جانب آخر، فلا بد لها أن تؤدي دورها كأم وكمحامية على أحسن وجه، إن أرادت الاستمرار في تأدية تلك الأدوار وهذان الدوران المختلفان يتطلّبان منها طاقة هائلة ودقّة عالية، كما أنّ اهتمامها بدور منهما يسبّب في القصور في تأدية الدور الآخر أحيانا، حيث وصفت الكاتبة بأنّ انشغال بطلة الرواية بتحضير أطفالها تسبّب بتأخّرها عن دوامها في مكتب المحاماة. فيمكن لهذه التوقّعات المتضاربة أن تخلق شعورا بالصراع الداخلي والتوتّر لدى العديد من النساء. فمشاكل المرأة العاملة معقّدة ومتعدّدة الأوجه، وتتطلّب تغييرات منهجيّة في السياسات والمواقف والسلوكيّات لمعالجتها بفعاليّة.

النتيجة

للمرأة حضور بارز في روايات خولة حمدي المختارة للبحث، وهي من المحاور التي استخدمتها الكاتبة في رسم صورة المرأة للتعبير عن مختلف أفكارها ونظرتها تجاهها، حيث تقوم الكاتبة بمعالجة المرأة العاملة في ظلّ ظروفها الأسرية وحضورها في المجتمع.

وعلى هذا فإنّ المرأة قد أصبحت بمثابة رمز فنّي، تحمل العديد من المعاني والدلالات، لهذا اهتمّت بها الروائيّة في رواياتها وقد عبّرت عنها في صور عديدة في أعمالها، لأنّ حركة المرأة ترتبط بحركة المجتمع فنجد الكاتبة الروائيّة خولة حمدي، وهي تلقي الضوء على المرأة في رواياتها. ومن أبرز صور المرأة في رواياتها هي صورة المرأة العاملة بحالاتها المختلفة.

فتناولنا في هذه الدراسة الجوانب المختلفة لحياة المرأة العاملة وظروف عيشها في الروايات المختارة، بدءا من نظرتها الذاتيّة النابعة عن نشاطها المهني وصولا إلى ظروفها في الأسرة أو في العمل للكشف عن عالم المرأة العاملة في روايات خولة حمدي. فيمكننا أن نجمل القول بما يلي:

إنّ للمرأة حضوراً واضحاً وحيويّاً في رواياتها، وإنّها قد حاولت قدر المستطاع ألّا تتجاهلها أيّاً كانت الظروف والأجواء المحيطة بأحداث الرواية. وإنّ وجود المرأة بدا طبيعيّا في رواياتها بعيداً عن التكلّف والإقحام.

فتعرض لنا الكاتبة صوراً متعدّدة عن المرأة العاملة منها: المرأة العاملة التي تتحلّى بالاعتداد بالذات والدعم، فالمشاعر والأحاسيس التي تملكها المرأة العاملة تجاه نفسها هي التي تكسبها الشخصيّة القويّة المتميّزة، فالكاتبة ترى أنّ الثقة بالذات لدى المرأة العاملة هي أحد دوافع النجاح ومستلزماته وينبغي أن تكون جزءاً لا يتجزّأ من كيان المرأة وشخصيّتها. لذلك تبرز لنا الكاتبة هذا الجانب المهم من شخصيّة المرأة العاملة، ليكون حافزاً لها، ولكي تتعلّم المرأة الثقة بذاتها، لأنّها تمهّد لها طريق النجاح.

كما ترسم لنا الجانب الآخر للمرأة العاملة، ألا وهو تفانيها في العمل وشدّة اهتمامها بإنجاز مهامها وواجباتها في مجالها المهني، فنجد المرأة العاملة التي تمتهن الطب وهي تركّز على أسلوب تعاملها مع المرضى حيث تعدّه جزءاً لا يتجزّأ من مهنتها، لأنّ العلاج من وجهة نظر الطبيبة المهتمّة بعملها لا يكون جسديّاً فحسب، بل للجانب الروحي دور كبير في استعادة صحة المرضى.

تتطلّب بعض الأعمال جهداً كبيراً من المرأة ودقّة عالية، فلا بدّ للمرأة أن تبذل قصارى جهدها لتكون على أهبة الاستعداد لإتمام مهامها وواجباتها والوظائف والمسؤوليّات التي تقع على عاتقها، فتصوّر الكاتبة المرأة العاملة، وهي تبذل جهداً مضاعفاً بالنسبة للنساء اللواتي يمكثن في البيوت ويقمن بالأعمال المنزليّة فحسب. فجهد المرأة العاملة يعلو من قيمتها ومكانتها في المجتمع وفي نظر المختصّين والمتابعين لشؤونها وشؤون عملها.

نتعرّف على المرأة العاملة من خلال جدّيّتها في عملها وإخلاصها لمهنتها، حيث أنّها مستميتة في إنجاز المهام التي ألقيت على كاهلها ولم تمتنع عن تقديم التضحيات في سبيل الاستمرار بالعمل، وهذا يؤكّد أهمية نضال المرأة بالعمل، وهذا يكمن في مقدرتها في العمل ووعيها بوظائفها.

ولا تغفل الكاتبة عن عرض واقع عيش المرأة العاملة ورسم معاناتها سواء في العمل أو في الأسرة، من حيث الجمع بين واجباتها المهنيّة وواجباتها الأسريّة، حيث صوّرت لنا صعوبة تنسيق المرأة بين حياتها الأسريّة والمهنيّة، لتنقل لنا جزءاً بسيطاً ممّا تمرّ به المرأة العاملة في حياتها اليوميّة.

فنجد أنّ الكاتبة ترجو الوصول إلى حلّ محايد، وهي تشجّع المرأة العاملة على أن تدرس جميع جوانب حياتها الأسريّة والمهنيّة. لذا عليها أن تبذل جهداً كبيراً لتأدية واجباتها على اختلافها؛ فهي الأم التي تعتني بأطفالها من جهة، والمرأة العاملة من جانب آخر، فلا بدّ لها أن تؤدّي دورها كأمّ وكعاملة على أحسن وجه.

لذا يمكن القول إنّ المرأة العاملة في عالم خولة حمدي هي المرأة العاملة في الحياة؛ أي كما هو الواقع في المجتمعات التي جرت فيها أحداث الرواية، وقد نجحت الكاتبة في نقل هذه الصورة الصادقة عن المرأة العاملة التي كثيراً ما نراها على أرض الواقع.

المصادر والمراجع

١. أبو العز، عزمي زكريا. (٢٠١٢). **الفكر العربي الحديث والمعاصر**. الطبعة ١. (د.م): دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

٢. الأحمد، محمد. (٢٠٠٩). **مكوّنات السرد وتقنياته في روايات خيري الذهبي**. رسالة الماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة حلب.

٣. بحراوي، حسن. (١٩٩٠). **بنية الشكل الروائي**، الطبعة ١. بيروت: المركز الثقافي العربي.

٤. بن جغمومة، زينب. (٢٠١٧). **تعدّد أدوار المرأة وعلاقته بالمشكلات الأسريّة**. دراسة ميدانية على عينة من الأستاذات بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة الجلفة. قسم علم الاجتماع والديمغرافيا. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة زيان عاشور الجلفة.

٥. بودوخة، جمعة، نغموش نصر، ابتسام، بكوش، حنان. (٢٠٢٢). **صورة المرأة في رواية غربة الياسمين لخولة حمدي**. قسم اللغة العربية وآدابها. كلية الآداب واللغات. جامعة الشهيد حمه لخضر.

٦. بوشعير، رشيد. (١٩٩٦). **المرأة في أدب توفيق الحكيم**. الطبعة ١. دمشق: الأهالي للنشر والتوزيع.

٧. حطحاط، حيزية. (٢٠١٨). **الزمن في رواية "في قلبي أنثى عبريّة" لخولة حمدي**. قسم اللغة والأدب العربي. كلية الآداب واللغات. جامعة أكلي محند أولحاج – البويرة.

٨. حمدي، خولة. (٢٠١٣). **رواية أحلام الشباب... يوميات فتاة مسلمة**. مصر: كيان للنشر والتوزيع.

٩. ـــــ (٢٠١٣). **رواية أن تبقى**. الطبعة ٤. مراجعة حمدي محمد. مصر: كيان للنشر والتوزيع.

١٠. ـــــ (٢٠٢١). **رواية ياسمين العودة**. الطبعة ١. مصر: دار كيان للنشر والتوزيع.

١١. دي بوفوار، سيمون. (د.ت). **الجنس الآخر**. الطبعة ١. بيروت: المكتبة الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع.

١٢. زدادرة، ابتسام. (٢٠١٩). **مشكلات المرأة العاملة**. دراسة ميدانية ببلدية النشماية –قالمة– . قسم علم الاجتماع. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

١٣. عليوات، سارة، بسايح، كريمة. (٢٠١٨). **صورة المرأة في رواية "ليتني امرأة عادية" لـ –هنوف جاسر–** . قسم اللغة والأدب العربي. كلية الآداب واللغات. جامعة أكلي محند أولحاج – البويرة.

١٤. المري، لطيفة أشقام. (٢٠١٩). **صورة المرأة في الرواية القطريّة**. قسم اللغة العربية وآدابها. كلية الآداب والعلوم. جامعة قطر.
١٥. مفقودة، صالح. (٢٠٠٩). **المرأة في الرواية الجزائريّة**. الطبعة ٢. الجزائر: دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع.
١٦. وادي، طه. (١٩٧٣). **صورة المرأة في الرواية المعاصرة**. الطبعة ١. القاهرة: مركز كتب الشرق الأوسط.
١٧. احمد، محمدـــــ (٢٠٢٠). المرأة العاملة وتحقيق الذات في رواية "الكوبرا تصنع العسل" للروائي أحمد زياد محبّك، مجلة Şarkiyat- العدد٢ السنة ١٢ صص٣٢٠-٣٠٤. Doi: 10.26791/sarkiat.686397
١٨. بغدادي، سارة، زيان، هاجر. (٢٠١٩). **ثيمة الغربة في رواية "أن تبقى" لخولة حمدي**، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.
١٩. الحيمر، آمال. (١٤٤٣). «صورة المرأة في أغاني الفيديو كليب العربية». اللغة العربية وآدابها (الفصلية العلمية المحكمة). السنة الثالثة عشر. العدد ١. صص ١٩-٣٦. Doi:10.22067/jallv13.i1.2108-1072
٢٠. قاسم، محمد سرحان علي.(٢٠٢١).«تقدير الذات لدى طلبة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلاميّة وعلاقته بالتحصيل الأكاديمي».مجلّة العلوم التربويّة، دار نشر جامعة قطر، العدد ١٨.صص ٥٤-٨٣.
Doi: 10.29117/jes.2021.0061
٢١. گودرزي لمراسكي، حسن،بهروز قربان زاده و شهرام احمدى. (١٤٤٣). «الدور الرئيسي للجانب الأنثوي (الأنيما) في أشعار نزار قباني ونادر نادربور». اللغة العربية وآدابها. السنة الثالثة عشر. العدد ١. صص ٣٧-٥٠. Doi:10.22067/jallv13.i1.86883

References

Abul Ezz. A Z. (2012). *Modern and Contemporary Arab Thought*. Edition 1. (n.p): Dar Al-Masirah for publishing, distribution and printing. [In Arabic].
Bahrawi. H. (1990). *The Structure of the Novel Form*. Edition 1. Beirut: Arab Cultural Center. [In Arabic].
Bushayr. R. (1996). *Women in the Literature of Tawfiq al-Hakim*. Edition 1. Damascus: Al-Ahly publication and distribution. [In Arabic].
De Beauvoir. S. (n.d). *The Opposite Sex*. Edition 1. Beirut: modern library for printing, publishing and distribution. [In Arabic].
Hamdy. Kh. (2013). *The Novel of Youth Dreams... Diary of a Muslim Girl*. Egypt: entity for publishing and distribution. [In Arabic].
_____. (2016). *The Novel of to Stay*. Edition 4. Review of Hamdy Mohammad. Egypt: entity for publishing and distribution. [In Arabic].
_____. (2021).*The Novel of Jasmine's is back*. Edition 1. Egypt: Kian house of publishing and distribution. [In Arabic].
- Mafghoudah. S. (2009). *Women in the Algerian Novel*. Edition 2. Algeria: Dar El Shorouk for printing, publishing and distribution. [In Arabic].
Wadi. T. (1973). *The Image of a Woman in the Contemporary Novel*. Edition 1. Cairo: Middle East Book Center. [In Arabic].

Al-Ahmad. M. (2009). *The Components of the Narrative and Its Techniques in Khairi Al-Dhahabi's Novels*. Department of Arabic Language and Literature. Faculty of Arts and Languages. Halab University. [In Arabic].

_____ (2020). The Working Woman and Self-Actualization in the Novel "The Cobra Makes Honey" by the Novelist Ahmed Ziad Muhibbak, *Şarkiyat Magazine*, 12(2), pp. 304-320. Doi:10.26791/sarkiat.686397.

Al-Marri. L A. (2019). *The Image of a Woman in the Qatari Novel*. Department of Arabic language and literature. Faculty of Arts and Sciences. Qatar University. [In Arabic].

Aliwat. S. & basayeh. K. (2018). *The Image of a Woman in the Novel "I wish I Were an Ordinary Woman" by Hanuf Gasser*. Department of Arabic language and Literature. Faculty of Arts and Languages. Akli Mohand ulhaj University-Al-Buwayrah. [In Arabic]

Baghdadi. S. & Zayan. H. (2019-2020). *The Theme of Alienation in the Novel "to stay" by Khawla Hamdy*. Department of Arabic Language and Literature. Faculty of Arts and Languages. Mohammed Boudiaf University in Mesilla. [In Arabic].

Ben-jaghmoumah. Z. (2017). *The Multiplicity of Women's Roles and Its Relationship to Family Problems*. A field Study on a Sample of Female Professors at the Faculty of Social Sciences and Humanities at the University of Guelph. Department of Sociology and Demography. Faculty of Humanities and Social Sciences. Xian Ashur University of Guelph. [In Arabic].

Boudokha. J. & Naghmoush Nasr. E. & bakush. H. (2021-2022). *The Image of a Woman in the Novel The Strangeness of Jasmine by Khawla Hamdy*. Department of Arabic Language and Literature. Faculty of Arts and Languages. Shahid hameh Lakhdar University. [In Arabic].

Hathat. H. (2018). *Time Is in the Novel "In My Heart Is a Hebrew Female" by Khawla Hamdy*. Department of Arabic language and literature. Faculty of Arts and languages. Akli Mohand ulhaj University-Al-buwayrah. [In Arabic].

Zadadera. E. (2019-2020). *Problems of Working Women*. A field Study in the Municipality of Nashmiya - Qalmeh . Department of Sociology. Faculty of Humanities and Social Sciences. University. [In Arabic].

Alhemar. A. (2021). The Image of a Woman in the Arabic Music Video Clip Songs. *Arabic Language and Literature)*.13(1).19-36. Doi:10.22067/jallv13.i1.2108-1072. [In Arabic].

Gudarzi lamraski. H. & Ghorbanzadeh.B & Shahram,A (2021). The Main Role of the Female Side (Anima) in the Poems of Nizar Kabbani and Nader Naderpour. *Arabic Language and Literature (Academic Quarterly)*. 13(1) 37-50.
Doi:10.22067/jallv13.i1.86883. [In Arabic].

Qasem. M S A. (2021). Self-Esteem and Its Relationship to Academic Achievement Among Undergraduate Students in Holy Qur'an and Islamic Sciences University. *Journal of Educational Sciences*. Issue 18. 54-83. Doi: 10.29117/jes.2021.0061. [In Arabic].

اللّغة العربية وآدابها (الفصلية العلمية المحكمة)
www.jall.um.ac.ir
الترقيم الدولي الموحد للطباعة: 7217 – 2008
الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: 2681 – 2383

اللّغة العربية وآدابها، السنة السادسة عشرة، العدد ١ (الرقم المسلسل ٣٦)، ربيع ١٤٤٥، صص:٨٩-٧٥

ظاهرة القرآنيَّة في الشعر العراقي الحديث
شعر مهدي النَهيريّ أُنموذجاً

(المقالة المحكمة)

عبدالامير دلي مجباس(طالب مرحلة الدكتوراة في قسم اللغةالعربية وآدابها، كليةالآداب والعلوم الإنسانية، جامعة فردوسي مشهد، مشهد، إيران)
احمد رضا حيدريان شهري (أستاذ مشارك في قسم اللغة العربيّة وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة فردوسي مشهد، مشهد، إيران، الكاتب المسؤول)[1]
يحيى حسن خضير (أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، العراق)

Doi: 10.22067/jallv16.i1.2212-1221

الملخّص

تمثلت أهميّة "القرآنيَّة" في أنها تقنية من التقنيات التي يتوصل بها الشاعر إلى زخرفة نصوصه الإبداعية وجعلها زاخرة بالتصوير الجمالي والواقعي ونظراً للمكانة الهامّة والمقدّسة التي احتلّها القرآن الكريم في حياة البشر عامة والمسلمين خاصة، واندفاع المبدعين عامة والشعراء خاصة للتروي من هذا النص المقدس ولرفد أشعارهم منه، وبسبب الأهمية الكبيرة لهذا الموضوع والتي تبين التفاعل الكبير بين النصّ القرآنيّ والنصّ الشعريّ؛ فقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع.كما أنّ هذا البحث يهدف إلى إبراز القيمة الجمالية والفنية للقرآنية "التناص القرآنيّ" في الشعر العراقي المعاصر من خلال شعر مهدي النَهيريّ أنموذجاً، وكشف أبعادها لدى الشاعر، وقد اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم بتحليل الظواهر ومقارنتها بشكل أكثر تفصيلاً، من خلال عرض النصوص الشعرية التي تحمل ظاهرا أو باطناً ظاهرة "القرآنيَّة" أو دلالاتها، وبيان فاعلية "القرآنيَّة" في تلك النصوص.وقد توصل البحث إلى عدة نتائج أهمها: إنّ "القرآنيَّة" باتت تمثل ظاهرةً من ظواهر توليد النصّ الإبداعيّ لدى شاعرنا، وجعلت نصّه الشعريّ منفتحاً وذا دلالات وإيحاءات يستطيع المتلقي القارئ وغير القارئ الإمساك بها، فضلاً عن أنها نمّت الذاكرة الشعرية للشاعر ومخيلته وتقوّيها من خلال التناص مع معاني ومفردات وصور النصّ المقدّس وجعلت نصّه ملتصقاً بالماضي، فهي حبل متين بين الماضي والحاضر، وقد شكّلت "القرآنيَّة" قيمًا بمحاور تتراوح بين إبقاء بنية النصّ القرآنيّ والمحافظة على علاقته الداخلية لفظاً ومعنىً، أو محاولة انتزاعها والتعديل عليها في إطارها الأول، والمصاحبات الدلالية المعنوية في إقامة أنساق جديدة من العلاقات ضمن المنجز الشعريّ.

الكلمات الدليلية: القرآنيَّة، مهدي النَهيريّ، التوافقية، الإشاريّة، الإيحائيّة.

تاريخ الوصول: ١٤٠٢/١٠/٢٨ تاريخ المراجعة: ١٤٠٢/١٢/١٩ تاريخ القبول:١٤٠٣/٢/٢٧
[1].الكاتب المسؤول: heidaryan@um.ac.ir

١. المقدمة

تفرّدَ القرآن الكريم، وهو النصّ المقدس المهيمن المتبوع، بدقة اللفظ والمعنى والأسلوب والسياق والتراكيب، وتناسب اللفظ مع المعنى والمقام، وفوقيّة القرآن على كل النصوص الأخرى، وهو المنهج الحق والصراط القويم الذي تستقيم به الحياة وتحيى به الأمم؛ ذلك أنّه نزل تبياناً وتفصيلاً لكل شيء.

مع ظهور ونشر مواضيع العلوم المعرفية التي أدت إلى ظهور اللسانيات المعرفية والدلالات المعرفية، أصبحنا أمام منهج جديد في قراءة النص، منهج يعتمد على الفهم وطرق الإدراك البشري كأساس لدراسته ويتناول أدوات المعرفة كالعقل واللغة والمعنى وعلاقتها بعضها البعض (ريكي كوته وصديقي،١٤٠٢: ٢٤) ومصطلح "القرآنيَّة" يعد من المصطلحات والنظريات الحداثوية التي ظهرت مؤخراً والتي باتت بديلاً عن "التناص القرآنيَّ" عند بعض الباحثين والدارسين بحسب ما يرونه من أسباب وتداعيات تجعل هذا المصطلح عاماً شاملاً ودقيقاً لهذا الموضوع، وقد وضع اللمسات الأولى لهذا المصطلح الدكتور "مشتاق عباس معن" في كتابه "تأصيل النصّ: قراءة في إيديولوجيا التناص" مبيناً أسباب استخدامه وأسباب اختياره له ورؤيته حول عموميته وشموله للمصطلحات السابقة التي تدور في هذا الفلك كـ"الاقتباس والتضمين والتناص القرآنيّ"، إذ عرّف "القرآنيَّة"بأنّها «آلية من الآليَّات التي يتوسَّل بها المبدع في تشكيل نصوصه الإبداعية من جهتي الرؤى والأنساق، بنيةً وإيقاعاً بحسب سياق القرآن الكريم» (معن، ٢٠٠٣: ١٧٠).

ومصطلح "القرآنيَّة" بهذا الشكل يتخذ الأفضلية في الكم، وعدم اللبس الحاصل في الآخذ والمأخوذ منه، فضلاً عن دلالته الذاتية على مفهوم المصاغ من أجله (المصدر نفسه: ١٦٨-١٦٩)، ونحن نذهب مع د. مشتاق في رأيه عن مشروعية مصطلح "القرآنيَّة" حسب ما سبق، ونحن معه أيضاً في تبني هذا المصطلح آنسين بدلالته ووضوحه وتجنبه الملابسة والإيهام.

وقد سعى الباحثون في هذا البحث إلى معالجة وكشف تقنيات ظاهرة "القرآنيَّة" في الشعر العراقي المتمثل بالنَهيريّ أنموذجاً، وذلك عن طريق بيان قدرته وإبداعه في توظيف النصّ القرآنيّ وإبراز مدى فاعلية النصّ المقدّس في توضيح مقتضيات الخطاب الشعري.

وقد اشتغل البحث على مجموعات شعرية معينة للشاعر منها: "نهر يحسنُ السكوت عليهِ"، "هو في حضرة التجلي"، "مواسم إيغال في خاصرة الأرض"، "مُسوّدة للبياض".

١-١. إشكالية البحث

يعدّ التراث بشكل عام رافداً مهمّاً من روافد التجارب الإبداعية في الأدب عامة وفي الشعر خاصة، وقوة فاعلية هذا الموروث تختلف بين فن وآخر، ومبدع وآخر أيضاً، وكما هو معلوم أن هذا الأمر مرتبط ببراعة الشاعر وقدرته وموهبته في استعمال وتوظيف ذلك الميراث، "فالقرآنيَّة" بوصفها ميراثاً مقدساً يضفي على النص إبداعاً وجمالاً إذا ما أراد الشاعر استعماله بشكل يليق به؛ ولذلك فقد احتلت "القرآنيَّة" مساحة كبيرة في الشعر، وشكّلت بؤرة فنية وباعثاً ملهماً لكثير من الشعراء، والناظر في الشعر العربي قديمه وحديثه تستوقفه "القرآنيَّة" بصورها الجمالية والفنية لتشكل ظاهرة بارزة فيه.

١-٢. أسئلة البحث

١. ما مدى فاعلية النصّ القرآنيّ في شعر مهدي النَهيريّ؟
٢. ما مستوى أو مساحة القرآنيَّة في شعر "النَهيريّ"؟

٣.كيف وظف الشاعر ظاهرة "القرآنيَّة" في شعره؟

٤.ما هي الأسباب والدوافع التي دفعت الشاعر لاستخدام هذه التقنية؟

١-٣. فرضيات البحث

١.كانت للنص القرآنيّ وتراكيبه وصوره فاعلية تعبيرية وإبداعية مهمة لدى مهدي النَهيريّ، إذ إن شعره كان بمثابة سيرورة لربط المتلقي بالنص المقدس، فهو أشبه بحلقة وصل بينهما.

٢.شغلت "القرآنيَّة" مساحة كبيرة من شعر النَهيريّ، إذ نراها مجتمعةً في مجموعة شعرية واحدة تارة، وفي مجموعات وقصائد متفرقة هنا وهناك تارة أخرى، ولكن في النتيجة فإن المساحة الشعرية والفنية والإبداعية التي شغلتها "القرآنيَّة" كانت تحتل جزءا كبيراً من شعره.

٣.وظف الشاعر تقنية "القرآنيَّة" بمحاور ثلاث: "القرآنيَّة التوافقية"، و"القرآنيَّة الإشاريّة"، و"القرآنيَّة الإيحائيّة"، وذلك بمختلف الوسائل والتراكيب اللغوية والأدوات البلاغية والتصويرية وغيرها.

٤. الشاعر ابن بيئته؛ والنَهيريّ ابن مدينة النجف الأشرف المقدسة ذات الطابع الديني، فالبيئة الدينية (الطبيعة الدينية للمكان) كانت سبباً مهماً في شعره، فضلاً عن ذلك فإنَّ التراث الديني والعقائدي كان أحد أعمدة الميراث الثقافي لابن مدينة النجف الأشرف.

١-٤.منهجية البحث وأهميته

لم يجد الباحث دراسة تطرقت لمتن الشاعر النَهيريّ بهذا العنوان والوصف؛ لذلك أصبحت لدينا قناعة تامة بأهمية هذا البحث، أمّا بالنسبة للمنهج فبوصفه إطاراً علمياً يعد وسيلة مهمة ترسم الطريق للباحث بدون أن يتيه في أطر النص، فقد اتبع الباحث المنهج الوصفي – التحليلي لتسليط الضوء على شعر النَهيريّ وأهميته، واعتمد الباحث في منهجه على اختيار النصوص ذات الدلالة الاجتماعية في شعر النهيري وتحليلها تحليلا علميا موضوعيا دقيقا يبحث عن ما تضمنه من لمحات "القرآنيَّة"، وقد كان المنهج الوصفي التحليلي هو منهج البحث في استنطاق النصوص وكشفها فيما يتعلق بدراسة "القرآنيَّة" في شعر الشاعر، وذلك بتحليل أبيات الشاعر واستخراج "القرآنيَّة" منه، والحديث عن عملية التوظيف وأهميتها القرآنيّة.

١-٥.خلفية البحث

هناك دراسات عديدة في هذا المجال منها: "القرآنيَّة" في شعر الرواد"(٢٠٠٠) لإحسان محمد جواد حاجم وهي رسالة ماجستير، نوقشت في جامعة القادسية، كلية الآداب؛ وطبعت في مطابع دار الشؤون الثقافية ببغداد سنة (١٠١٣م)، تحدث فيها الباحث عن فاعلية النص المقدس في النصّ الإبداعي، وهي بمقدمة ومهاد وثلاثة فصول، بحث فيها "القرآنيَّة" واللغة الشعرية، والتوظيف القرآنيّ المباشر وغير المباشر في شعر الرواد، والتوظيف القرآنيّ وتقنيات القصيدة الحديثة، مع بيان أهمية توظيف النص القرآنيّ في الشعر.

وهناك أيضاً مقالة "القرآنيَّة في دعاء الإمام الحسين في عرفة"(٢٠٠٩) لسناء علي حسين الحمداني، مجلة أهل البيت، العدد التاسع، التي رصدت فيها مظاهر "القرآنيَّة" في منجز لغوي قديم فصيح، وهناك رسالة ماجستير أخرى "القرآنيَّة في مسرحيات محمد علي الخفاجي" لـ (صاحب كريم صاحب الخاقاني)، نوقشت في جامعة كربلاء، كلية العلوم الإسلامية،

قسم اللغة العربية، بإشراف د. بشرى حنون محسن، وأيضا مقالة "القرآنيَّة في نهج البلاغة" (٢٠١٣)، لـعلي ذياب محي، مجلة العميد، العدد السادس، تحدث عن مفهوم "القرآنيَّة" والأسباب التي دعت إلى وضعها، ثم وقف على آلية "القرآنيَّة" في نهج البلاغة.

كذلك مقالة "القرآنيَّة في شعر الإمام السّجاد (ع)" (٢٠١٧) لراسم أحمد الجريّاوي ومهدي عبد الأمير مفتن، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد العشرون: العدد ١، يتحدث فيها الباحثان عن مصطلح "القرآنيَّة" وعداها إجراءًا نقدياً يعتمده المبدع للتنوّع في أدواته، واستلهام الإمام السجّاد (ع) من نصوص القرآن الكريم عبر طرق شتّى.

وهناك كتاب "القرآنيَّة- مفهومها- موضوعها- معياريتها - أشكالها" (٢٠٢١) د. رحمن غركان، دارنيبور، الطبعة الأولى، تحدث في هذا الكتاب عن "القرآنيَّة" من حيث هي عالم المؤثِر في عالم المؤثَر، واستجابة مصطلح "القرآنيَّة" للكثير من التصورات التي تخص بهذا الموضوع، لأن هذا المصطلح مانع جامع، وتحدث فيه المؤلف أيضا عن مفهوم "القرآنيَّة" الذي هو انصراف الدال إلى مدلولات وقراءات كثيرة قد يتعذر إحصاؤها.

وبعد تتبع لتجربة النَهيريّ الشعرية الإبداعية المتميزة وجدنا أنه يحاول أن يتعمق في فلسفة الأشياء ولا يقف عند ظواهرها الفجّة، فهو يقدم المسكوت عنه من خلال رؤيته الشعرية، إذ إنه يبين كثافة فاعلية "القرآنيَّة" في نصه الشعري ما يستدعي فاعليةَ حضور المتلقي ذهنياً.

٢. المباني النظرية للبحث: القرآنيَّة

يعد مصطلح "القرآنيَّة" من المصطلحات التي ظهرت مؤخراً إذ وضع اللمسات الأولى لهذا المصطلح الدكتور "مشتاق عباس معن" في كتابه "تأصيل النصّ: قراءة في إيديولوجيا التناص" كما أسلفنا، وقد قام بعض الدارسين بالبحث والتقصي عن مصطلح "القرآنيَّة" وأفضليته على المصطلحات الأخرى، من ذلك ما بحثه إحسان الشيخ حاجم في كتابه "القرآنيَّة في شعر الرواد" – دراسة لفاعلية النصّ المقدّس في النصّ الإبداعي، إذ بين بعض القواعد لوضع المصطلح حسب ما ارتآها المجمعيون (حاجم، ٢٠١٣: ٢٢ -٢٣)، فقد وضعوا ما يقارب خمسة عشر قاعدة عامة لوضع المصطلح (مطلوب، ١٩٨٧،ج٤: ١٠٤):

١. مراعاة المماثلة أو المشاركة بين مدلولي اللفظة لغة واصطلاحا لأدنى ملابسة: وهذا الشرط يتحقق في مصطلح (القرآنيَّة) بسبب دلالته الواضحة واقتران معناه بوضعه اللغوي والاصطلاحي.

٢. تجنب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد:

ولمصطلح (القرآنيَّة) وجه القبول في هذا الشرط، ونرى أيضاً إضافة لما سبق بأن (القرآنيَّة) تذهب مباشرة إلى دلالة واحدة وواضحة سواء كانت في مجال البحث والتحليل والتقصي أو في مجال استقبال المتلقي لهذا المصطلح والمفهوم.

٣. إيثار اللفظة المفردة على المصطلح المركب: وهو ما بينه د. مشتاق سابقاً في هذا الشأن والخصوص.

٤.تفضيل مصطلحات التراث العلمي على المولَّدات والمحدَثات.

لقد توسل الشعرا نظراً لظروفهم الخاصة في البلدان العربية والإسلامية بالموروث الحضاري لاسيما الموروث الديني وفي مقدمته القرآن الكريم؛ لأنه مصدر غني من مصادرالإيحاء الشعري عند الشعراء (حيدريان شهري وآخرون،١٣٩٩: ١٠) وعلى هذا الأساس، الثقافة القرآنيَّة التي يتشبع بها الكثير من الشعراء فضلا عما يتمتع به القرآن الكريم من ميزات وخصائص ورؤى وبلاغة وخطاب متماسك جعلتهم الشعراء ـ يشبعون أشعارهم بشتى الوسائل ومختلف الآليات وأنواع التمازج مع هذا النصّ

المقدس، الأمر الذي «جعل من مصطلح "القرآنيَّة" مصطلحاً مقارباً للنصوص الأدبيَّة يلجأ إليها المبدع لكي يخلق مزيداً من الانفتاح على باقي النصوص ولاسيّما النصّ القرآنيّ الذي أصبح نصّاً خارقاً للعادة بجزالته وتماسكه وقوّته، فضلاً عن خطابه المعجز زيادة على احتوائه بلاغة لم يستطع النصّ الأدبي أنْ يصل إليها» (الجريّاوي، ٢٠١٧ : ٥٧٩)، وحصرت محاور مصطلح (القرآنيَّة) في ثلاثة محاور تراوحت بين إبقاء البنية النصّية محافظة على علاقتها الداخلية لفظاً ومعنىً "القرآنيَّة التوافقية"، أو محاولة انتزاعها والتعديل عليها في إطارها الأول، "القرآنيَّة الإشاريّة"، والمصاحبات الدلالية المعنوية في إقامة أنساق جديدة من العلاقات ضمن المنجز الشعري، وهذا الأخير من أشدها جذباً للمتلقي المتفاعل المبدع، أو إنها تحمل إشارات ورموزا تختلف قوتها وضعفها وجماليتها لدى السامع بحسب منتجها "القرآنيَّة الإيحائيّة" (الأسدي، ٢٠٠٩: ٨٧-٨٨).

٢-١. القرآنيَّة التوافقية في شعر النَهيريّ

يعد هذا النمط من "القرآنيَّة" نمطاً ميسرّاً واضحاً في تجربة النهيري الشعرية؛ حيث إنه يوظّف الألفاظ القرآنيَّة أو الآيات أو الخطاب القرآنيّ بصورةٍ مباشرةٍ وواضحة وبنقل حرفي، وهو «الدخول في علاقة مباشرة مع القرآن الكريم، باجتزاء بعض آياته وتراكيبه بصورة كلية، أو جزئية، وذلك من خلال الإبقاء على النص القرآنيّ كما هو» (العبيدي، ٢٠١٦: ٧٧)، فالشاعر يقتبس من القرآن الكريم آية أو جزءا منها ويدخلها في نصه الشعري لغرض ما، وهنا يتلاقح النص الشعري مع النص القرآنيّ لينتج نصاً جديداً متميزاً، وهذا النمط يدخل في خانة "الاقتباس"، بالتالي فإنّه يوجب نوعاً من الحذر حسب المنظور البلاغي الذي يشترط أن يراد به غير القرآن، لكنه يدخل في كلام المقتبس على أنّه منه وربما يخرج هذا النمط أحياناً من دائرة "التناص" إلى دائرة "التنصيص" (عبد المطلب، ١٩٩٥: ١٧٧؛ التميمي، ٢٠١٣: ٣٥)، وهذا النوع من "القرآنيَّة" سماه بعض الباحثين بـ"القرآنيَّة" (التوافقية أو التامة أو الكاملة أو الشكلية أو الحرفية أو الاقتباسيّة الاستشهاديّة...إلخ)، وهو نوع يسهل التقاطه واكتشافه في النص الشعري بصورة كبيرة خاصةً على «المتلقين ذوي الثقافة المحدودة فضلاً عن تهوين عملية فكِّ الشفرة النصيَّة وإجراء المقاربة الدلاليَّة بين النص الجديد (الآخذ) والنص القديم (المأخوذ) لتكون عمليّة إبلاغ النص واستقباله هيّنة ليّنة على المتلقين» (معن، ٢٠٠٣: ١٨٢).

تتجلى "القرآنيَّة" في شعر مهدي النَهيريّ بوضوحٍ؛ ويتعلق ذلك بمذهب الشاعر وبيئته، أو بطبيعة الموضوعات التي تناولها، وقد وظف الشاعر مهدي النَهيريّ هذا النوع من "القرآنيَّة" بكثرة في أعماله الشعرية.

يقول الشاعر في قصيدة «إلى علي / نهر يحسنُ السكوت عليهِ»:

ويقولُ: هذا منْ رّأى في كلِّ شيءٍ واضحاً وجهَ الإلهْ..
ويقولُ: (ألقِ عصاك)، إنَّ عصايَ قولُ الشعرِ،
بَحْري هذهِ الأوراقُ، طوايَ العظيمانِ، النهارُ بكلِّ حيراتي،
وهذا الليلُ هذا الأسودُ المشغولُ بي حدَّ انقلابِ جميعِ أعضائي شفاهْ...
أخرجتُ القصائدَ كالمصاحفِ وهي بيضاءٌ تسرُّ،
كأنَّ كلَّ الصالحينَ تعهَّدُوها بالجباهْ (النَهيريّ، ٢٠١٥: ٢٥- ٢٦).

فقد اقتطف قوله تعالى: ﴿أَلْقِ عَصَاكَ﴾، من الآية القرآنيَّة الكريمة ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (الأعراف/١١٧)، في نصه الشعري وقصيدته (إلى علي ..)، وكذلك في هذه الأبيات إشارة إلى الآية القرآنيَّة الكريمة:

(اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) (القصص/٣٢)، والآية تتحدث عن النبي موسى (ع) وسحرة آل فرعون، والشاعر هنا يتحدث عن نفسه، فقد عقد مقاربة أو مشابهة حاله مع حال النبي موسى (ع) في مواضع وقرائن ودلائل ومعاجز كانت لموسى (ع) سحبها الشاعر إلى نفسه لكن بطريقة مختلفة، ليست معجزات نبي، ولكنها قرائن شاعر وأدواته التي يتكأ عليها، وهي (العصا، البحر، الطود العظيم، اليد البيضاء)، يقابلها لدى الشاعر (العصا: قولُ الشعرِ، البحر: أوراق الشاعر، اليد: القصائد)، وهو بذلك يعيد هذه الأمور التي تعود لموسى (ع) إليه بطريقة شعرية حداثوية معاصرة، وحمّلها رموزاً ودلالاتٍ عصرية، وقد دخلت هذه المقطوعة الشعرية بعد امتزاجها باللفظ القرآنيّ مدخلاً جديداً، فهو يحارب ويحاجج أنواع الناس بمختلف أصنافهم بما أوتي له من قوة الشعر وأدواته، فضلاً عن صراعه مع الحياة والواقع من أجل إثبات فكرٍ عقائديٍّ يتمثل بولائه وحبه لعلي (ع).

لقد حاول الشاعر بتناصه "قرآنيته" مع هذه الآية القرآنيَّة الكريمة أنْ يغذي فكرته ويشحنها بلفظ دينيّ منقولٍ بشكلٍ مباشر من دون تلاعب بألفاظه، وهو ما يسهّل على المتلقي تلقيها فضلاً عن «شحنها بالدلالات من أجل التأثير في المتلقّي نظراً لما تتمتّع به اللغة الدينيَّة من حضور وتأثير خاصيين في الوعي الجماعي فضلاً عمَّا يمكن أنْ تقوم به من إثراء للنصّ الشعري» (البادي، ٢٠٠٩ : ٣٨).

إنّ اقتطافه (العصا) لم يكن اعتباطياً أبداً، فهو على درايةٍ تامةٍ بهذه العبارة وما تحويه وما تعنيه في دعم نصه الشعري، وقد بدأ الحديث بـ(العصا)، لأنها تختزل الشخصية وأحداثها وأبعادها، فضلاً عن كونها رمزاً للسلاح في اليد، واستعمالها لأغراضٍ أخرى ذكرها الكتاب المقدّس: (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ) (طه / ١٨).

وبالتأكيد فإنّ الشاعر أراد بها سلاحه الذي يتكأ عليه، ويدافع به وينتصر، كذلك فإنّ اختياره للنبي موسى ما هو إلا تأكيد لما يريده، فالنبي موسى كان مؤمناً بما يريد وبالتالي فإن انتصاره كان نتيجة حتمية وتحصيل حاصل، وفعل (الإلقاء - ألقِ) موجه إلى ذات الحالة / موسى، الذي كان في أشد حالات الاضطراب، والحيرة، فكان هذا الفعل بمثابة المثبت، والمحفز لتنفيذ برنامج الإلقاء، ومن ثم الثبات بعده، بغية الاتصال بموضوع القيمة / الانتصار) (واصل، ٢٠١١: ٨٨)، وهنا تبرز هيمنة النصّ القرآنيّ والعبارة القرآنيَّة والفكرة القرآنيَّة على فكر الشاعر وموروثه.

ويقول في موضعٍ آخرٍ في قصيدة «إلى علي / نهر يحسنُ السكوت عليه»:

ويقالُ: أودعَ في صحائفِ عمرِهِ قلقَ النهايةِ والبدايةِ والصراطَ المستقيمَ
وكلَّ مُنحدَرٍ إلى وادي الحقيقةِ فهْوَ مُنْحَدَرٌ إلى الأعلى سويّ..
يا ربُّ هلا انسابَ قلبي نحو ذاكَ الوادِ، وادٍ غيرِ ذي زرعٍ
ولكنْ كلُّ زرعِ الروحِ ينمو فيهِ من ماءٍ تقيّ..
وادي عليّ والضمائرُ فيهِ تبحرُ راضياتٍ
أنَّها دخلتْ هنالكَ خيرَ مُدخلِها
لتخرجَ خيرَ مُخرجِها مواسمَ من نجاةْ.. (النَهيريّ، ٢٠١٥: ٣٥)

اقتطع الشاعر هنا (وادٍ غيرِ ذي زرعٍ) من الآية القرآنيَّة الكريمة: (رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ) (إبراهيم :٣٧)، وهذه الآية تتحدث عن نبيّ الله إبراهيم بعد أنْ سكن هو ودعاؤه إلى الله، وأهله في مكة المكرمة بيت الله الحرام، والشاعر هنا أيضاً هو في محضر دعاء إلى الله بالدخول لكن ليس لمكان، فالتوافق تام في الدعاء، ومختلف في المقصد، أراد النبيّ الدخول إلى مكان ما (مكة

المكرمة)، وأراد الشاعر الدخول إلى (وادي عليّ)، وادٍ نفسي معنوي عقائدي، وقد استحضر الشاعر المكان في هذا المقطع الشعريّ لما له - المكان - من أهمية وتأثير، وهو جزء «من مكونات العمل الأدبيّ، وركيزة من ركائزه ... وهو بنية أدبيّة يتكئ عليها الأديب كثيراً في البوح عن هواجسه وما يختلج نفسه من حالات شعورية وعاطفية متعددة، وللمكان وظيفة فنيّة تصنع في النصّ فضاءً أدبياً شاعرياً، يضفي وجوده جماليات فنيّة بالغة التأثير بما تحمله من دلالات جديدة تحقق اللذة والمتعة وحسن العرض والتعبير» (عواودة، ٢٠١٦: ٨٥١).

٢-٢. القرآنيَّة الإشاريّة في شعر النَهيريّ

يشكل النصُّ الشعري حقلاً أدبياً خصباً تشتغل فيه أدوات وتقنيات التناص المتنوعة، وربما قد يقوم النصُّ الشعري ببعض وظائف الدين؛ لأنّ وظيفته ثابتة وذات صلة لا تنفصل عن الروح الإنسانية، وكما يقول السياب: «إنّ الشعر والدين توأمان، وكما تلاشت هذه الحدود بين الغاية والوسيلة في الدين تلاشت هذه الحدود في الشعر أيضاً» (الصباغ ،٢٠٠٢ :٧٣)، وبهذا القرب الوظيفي بين الشعر والدين، ومحاولة الشعر تغطية بعض القضايا الدينية التي يريد القرآن الكريم إيصالها إلى المتلقي شعراً، لفظاً ومضموناً «فقد نزعت مجموعة من الشعراء العرب المعاصرين إلى أنْ تقتبس من القرآن صياغات جديدة لم يعرفها الشعراء من قبل ومشكلة التعبير هي التي تحمل الشاعر على التفتيش عن عبارات جديدة ولغة غير مستهلكة تستطيع أن تنقل أكبر قدر ممكن من المعاناة والإحساس» (جيده، ١٩٨٠: ٦٦؛ كحول ،٢٠١٧: ٨٤).

ويعدُّ هذا النوع من "القرآنيَّة" أعلى مرتبةً وأكثر إبداعاً من الأُولى، من خلال جلب انتباه الآخرين نحوه بطرق مختلفة، عبر محاولات أسلوبية متنوعة يقوم الشاعر بتوظيفها من خلال خرق المألوف والانزياح والثنائيَّات المتضادَّة والمعاني المقلوبة عن الأصل وتحوير الألفاظ وغيرها (الجرياوي، مفتن، ٢٠١٧: ٥٨٧)، وهو أيضاً «الأخذ من القرآن الكريم مع تحويره لفظيًا أو دلاليًا تبعًا لحاجة الشاعر، وهو ما عُرِفَ بالاقتباس غير المباشر أو الإشاري» (المصلاوي المدني، ٢٠٠٨: ٢٩٢)، ووفقاً لعلاقاتها الداخلية غير الظاهرة يمكن تسميتها "بالقرآنيَّة المضمونيَّة أو الإشاريّة".

ينطلقُ الشاعر في هذا النوع من "القرآنيَّة" إلى التعامل مع النصّ القرآنيّ بصياغة محورة عن سياقها الأصلي، إذ «يعمد المبدع فيها إلى استدعاء البنية القرآنيَّة واستضافتها في خطابه الشعري، وجعلها ممتزجة معه عن طريق العمليَّة التحويرية للنصّ القرآنيّ لفظاً ودلالةً، حذفاً وتوليداً، أو تكثيفاً وتوسيعاً» (حاجم، ٢٠١٣: ٤٥)، "فالقرآنيَّة المباشرة المحورة" هي تقنية تتكون من أمرين: أحدهما ثبوت المعنى، والآخر سقوط اللفظ، وهي تختلف عن "القرآنيَّة المباشرة غير المحورة" بعدم ثبات ركن اللفظ فيها، فهو قد يزحزح حيناً، أو يحور حيناً آخر، وهي كذلك عملية «تكثيف النص وجعل محورية الدلالة منطلقة من "القرآنيَّة" وعائدة إليها، بحيث لا يمكن فهم إشارتها من دون العودة إلى المرجعية القرآنيَّة» (محي، ٢٠١٣: ٨٢).

وقد أمعنّا النظر في هذا النمط من "القرآنيَّة" ضمن مجاميع الشاعر مهدي النَهيريّ فوجدناه بعدد لا بأس به من المقطوعات الشعرية والأبيات والقصائد، التي وردت فيها هذه التقنية "القرآنيَّة".

يقولُ الشاعرُ: في «هو في حضرة التجلي»:

وأنتَ الذي آوى إلى كهفِ موتِهِ لتنجو بلادٌ بعدَه وهْوَ يُقبرُ
وأنت الذي أنقذتَ أنفاسَ وردةٍ رأت أمَّها الإكليلَ ورداً يُبعثَرُ
وأنتَ الذي ابتلَّ العراقُ بدمعِهِ فراحَ على خدِّ الملايينِ يُنثَرُ

(النَهيريّ، ٢٠٠٩: ٦٧)

لم يكن الشاعر مهدي النَهيريّ بعيداً عن معاني القرآن وبمعزلٍ عنها؛ فتأثيره فيه مشهودٌ بكلّ جلاءٍ ووضوح، وها هو يرفد نصّه الشعريّ بقوله: «وأنتَ الذي آوى إلى كهفِ موتِهِ» بلحاظٍ واضح المعنى والفكرة مع شيء من التحوير والتعديل استقاه من النص القرآنيّ، الهدف منه تقوية المعنى وتكثيفه وإعطاء الدلالة بعداً أدبياً، وهذا المقطع الشعري يحيل المتلقي مباشرة إلى الآية القرآنيَّة الكريمة: (إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) (الكهف / ١٠)، والقصيدة قيلتْ في الشهيد عثمان العبيدي الأعظمي الذي غرق في نهر دجلة عندما كان ينقذ زائري الإمام الكاظم (ع) في الحادثة الشهيرة وهي تدافع الزائرين من على جسر الأئمة يوم استشهاد الإمام الكاظم (ع) الذي راح ضحيتها الكثير من الشهداء، فالشاعر شبهه بالفتية أصحاب الكهف الذين قضوا نحبهم في الكهف، ولكن الفرق بينهم وبين عثمان، إنهم لم يكونوا يعلمون بأجلهم سيكون في الكهف الذي لجأوا إليه واستقروا فيه، ومخاطرتهم ومجازفتهم ربما كانت تحمل أقل احتمالات الأذى، أما عثمان كان يعلم بشدة المخاطرة التي قدم عليها، فالازدحام في النهر شديد والداخل إليه قد يجد صعوبة في الخروج، وغيرها من الاحتمالات التي لم يفكر فيها عثمان؛ اندفاعا منه لقضية إنسانية وجدانية وأخلاقية، أبى إلا أن يخوض غمارها، على الرغم من انتمائه لمذهب آخر؛ ولكن هذا الأمر لم يكن مانعا له أبدا، والشاعر قرأ الذكر الخالد والأثر الجليل لأصحاب الكهف، فوظّفه لذكر عثمان العبيدي وشهامته وغيرته، وهذه الشعرية جاءت انطلاقاً من موروثٍ ثقافيٍّ دينيٍّ بتقنيات شعرية حداثوية معاصرة أبرزت فاعلية النص القرآنيّ في الخطاب الشعري الحديث، فهي لم تكن عملية تمازج لفظيّ مع النصّ المقدس فقط «وإنما هي عملية تفجير لطاقات كامنة في هذا النص، يستكشفها شاعر بعد آخر، كلٌّ حسب موقفه الشعوري الراهن...ولعلها القراءة السليمة التي تجعل نصوص القرآن حية نابضة في الضمائر على الدوام لا مجرد أصوات وكلمات مقيدة الدلالة» (إسماعيل، ١٩٦٦: ٣٢).

ويقولُ في مجموعته «مواسمُ إيغالٍ بخاصرة الأرض: بوصلة للعاشق»:

آنستْني
مِنْ حيثُ وهجُك نارٌ
فيموتُ الظلامُ فيَّ ويَصْلى
ولأكُنْ في هواكَ مَحْضَ رمادٍ
أملي في الرَّمادِ
أن يتجلَّى بَشَراً
مشرقَ الجهاتِ سويَّاً
هزَّ شباكَكَ المقدَّسَ نخلا
إنَّ سَجَّادتي تُرابُ عَذابي
طاحَ من مُهجتي العتيقةِ أصْلا (النَهيريّ، ١٩٩٩: ١٠٧)

إنَّ استقاء الشاعر لهذه الألفاظ القرآنيَّة في مقطوعته الشعرية (أنْ يتجلَّى بَشَراً..مشرقَ الجهاتِ سويَّاً)، ما هو إلّا بيان لما للألفاظ القرآنيَّة – بعد التعديل والتحوير عليها – من معانٍ راسخةٍ ومتعددة، مستغلاً استقرارها في ذهن المتلقي، مستخدماً قدرته الفنية وإبداعه الشعري في تحويلها إلى موضوعه الشعري.

و(بَشَراً سوياً) اقتطفها من قوله تعالى: (فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) (مريم /١٧)، فهذه الكلمات لو لم تكن من ألفاظ القرآن الكريم لما أدت هذا المعنى، على الرغم من كونها كلمات العرب واستخدامها لهم منذ سالف الأزمان؛ لكن إعجاز القرآن ودقة تراكيبه وألفاظه وصوره أعطت لهذه الكلمات رونقها وأهميتها وتفردها وإعجازها واستعمالها لمعانٍ متعددةٍ داخل النصّ الواحد باختلاف السياق والكلام فـ«للقرآن أسلوبه في تفجير كل مستويات اللغة التركيبية واستغلال طاقاتها في إقامة علاقات غير متوقعة بين العناصر التي تتشكل منها الجمل، ولعل أظهر إعجاز يمكن وضع اليد عليه لهذا الأسلوب هو دقته وخلوه من أي خلل تركيبي قد يضعف بناءه» (الباقلاني، ١٩٦٣: ٣٨)، وهذا الذي دفع الشعراء والمبدعين للنهل من معين هذا الموروث النصّي المقدس.

وقد وقع الشاعر على هذا النموذج القرآنيّ بعد أنْ أسعفه به مخزونه الدينيّ والثقافيّ، «ولا شك في أنّ المخزون الثقافي غزير وواسع، يسعفه حين يرتد بعواطفه من لحظة الحدث أو التجربة إليه، فلا يلبث أنْ يقع على النموذج ويتكأ عليه، وقد يكون هذا النموذج واحدا يفي بالغرض، مع إدخال بعض التغيير البسيط» (علوان، ١٩٧٥: ٢٦٦).

٢-٣.القرآنيَّة الإيحائيّة في شعر النَهيريّ

تعدُّ هذه التقنية من التقنيات الجميلة والإبداعيّة التي يشتغل عليها المبدع في نصوصه مع النصّ القرآنيّ المقدّس، وفي النصّ الإبداعيّ الشعري تحدث عملية التماهي للنصّ الغائب (النصّ القرآنيّ المقدّس) في النصّ الحاضر (النصّ الشعري الجديد)، وهذا النمط يحتاج إلى «مجهود من طرف القارئ يمكن أنْ يوصل إلى إقامة علاقة بين النصّ الحالي النصّ الموحى إليه، بحيث لا يمكن فهم الأول فهماً دقيقاً دون إدراك العلاقة بينه وبين الثاني» (عذاوري، ٢٠٠٦: ٤٧).

وهذه "القرآنيَّة" تحمل إشارات ورموز تختلف قوتها وضعفها وجماليتها لدى السامع بحسب منتجها وبذلك «تكون السلطة المنتجة للنصوص وفقاً لهذه التقنية مناطة بالمبدع الجديد، أمَّا النصّ القديم فمغيّب عن المتلقّي غياباً قد يفقده حق الملكيّة الإبداعية التي ورثها المبدع الجديد، إذ لا تكاد تقف على صرح النصّ القديم إلّا على بعض إشارات قد يقوى ضوئها أو يخبو بحسب مقدرة المبدع (الآخذ)، ويصعب على غير القارئ الأنموذجي رصد هذا الأخذ الإبداعي» (معن،٢٠٠٣: ١٨٣)، وبغض النظر عن المفردات والتراكيب ونوعياتها والتعديل عليها تظل الإشارات القرآنيَّة متعارفا عليها بين الناس، وقد تسهل الإشارة إلى مرجعيتها في كثير من الأحيان لدى المتلقي المسلم القارئ للقرآن الكريم والمتمعن في إشاراته ورموزه وجماليته.

في معترك الصور الشعرية يشدّ النَهيريّ رحاله إلى الحديث بشوقٍ عن النبيّ محمد (ص) ومجيئه إلى مكة وقريش وسادتها وكيف كان الوضع قبله وكيف أصبح بعده، يقول في قصيدة «ذوق السماء / نَهَرٌ يحسنُ السكوتُ عليهِ»:

محمدُ يا رأيَ السـمـاءِ وذوقَـها ورغـبـتَـها في أن تراكَ لواءَها
أجلتَ بأضلاعِ المفازاتِ خيلَها وشـيَّدتَ فـي آفـاقِها خُيَلاءَها
وجئتَ إلى الدنيا رؤىً سـنبليةً على شفتيْ قمحٍ تشدُّ اشتهاءَها

(النهيريّ ،٢٠١٥: ١٠)

وهو يتحدث عن الصورة المشرقة للرسول الأكرم محمد (ص)، تأخذه الصور القرآنيَّة إلى جمالها وروعتها، ويأخذنا إلى التأمل في كتاب الله العزيز، فنرى مدى قرآنية البيت الشعري (وجئتَ إلى الدنيا رؤىً سنبليةً على شفتيْ قمحٍ تشدُّ اشتهاءَها) التي يحيل بها إلى قوله تعالى: (يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ

يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ) (يوسف/٤٦)، بدلالة (الرؤية) و(السنابل)، كما أنّه قد يشير بشكل آخر إلى قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة/ ٢٦). وتشير متعلقات هذه المقطوعة الشعرية إلى ما أورده القرآن الكريم من رؤيا حاكم مصر زمن النبيّ يوسف (ع)، والتي فسرها النبيّ يوسف (ع) من بعد، على أنها سنين الوفرة والخير وسنين القحط التي ستأتي على أهل مصر، وشاعرنا استلهم هذه الرؤيا ليسقطها على قضية مجيء الرسول الأكرم محمد (ص)، وقد تتعدد الرؤيا إلى «رؤيا الاستحالة والكشف (التنبؤ) والرؤيا البهيجة، والرؤيا توحي بالمحسوس الحي، أيضاً بالنموذج البدئي، والمثالي، والروحي، وقد تكون الرؤيا كشفاً منح القدرة عليه رجل محدِّث، شاعر، أو نبيّ، أو قديس» (صبحي، ١٩٨٨: ٢١)، معتمداً - النَهيريّ – في نصّه الإبداعي على لغة الإشارات والرموز التي تحيل إلى واقع الأشياء، موعزاً بذلك إلى دلالاتٍ قارّةٍ في الذهن، وأخرى ينتجها نصّه الشعري، أمّا الالتفات إلى هذه وتلك يناط بالمتلقي وانفتاحية ذهنه وتوقده، وقد عمد النَهيريّ بذلك إلى تجسيد الواقع المحسوس الملموس بافتراضية الرؤيا وتشكلها على مستوى القيم الفكرية والاجتماعية والأخلاقية.

فالجزء الأول من الرؤيا (سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ) متعلق بمجيئه (وهو الإنبات الحسن في أرض مكة وأرض العرب، وقد رأى كل العالم بأجمعه ما حصل من تغيرات جوهرية مسّت كل قضايا الإنسانية جمعاء، أمّا الجزء الآخر (وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ) فينطبق على ما حل بسادات مكة وكبرائها من المشركين والكافرين، إذ كانت الأيام عليهم بعد البعثة النبوية الكريمة أياماً يابسةً سوداء بكل ما تحمل الكلمة من معنى، وهذه الرؤيا اختزلت الواقع المكي والعربي ما قبل البعثة وما بعدها، وقد اتكأ النَهيريّ على وظيفة الرؤيا التي هي «تعميق لمحة، أو تقديم نظرة شاملة وموقف من الحياة يفسر الماضي ويشمل المستقبل، إنما هي تقديم نموذج مثالي، بأفضل شكل جمالي» (المصدرنفسه:٢٣).

ومما يلفت النظر استخدام الشاعر (رؤى) جمع (رؤيا)؛ تأكيداً على الكثرة وتنبيهاً على أنّ ما جاء به الحبيب المصطفى (ص) ليس لعملٍ أو لمكانٍ واحدٍ، أو لمجموعةٍ واحدةٍ، بل إنّه جاء للجميع دون استثناء، فضلاً عن الإشارة إلى الجمع الذين رأوا هذه الرؤية وهو ما يحيل بدوره إلى انتظار البشارة من قبل الكثرة وليس من شخصٍ واحد.

ومن الملاحظ أن الرؤيا التي تحدّث عنها القرآن الكريم قد صدرت من كبير القوم (حاكم مصر)، وهذا الأمر ربما قد تنبه له الشاعر عاطفيا أو تخيليا أو من دون وعي، فثمة فرق كبير بين الرؤيا الذاتية الصادرة من شخص عادي وتمثل أحلامه والرؤيا العامة المتمثلة بشخص الحاكم أو المتسلط، فالأخيرة أكبر وأكثر تطلعاً لمرحلة الجماعة المستقبلية، ويؤكد ذلك ويفسره الدوي الهائل والضجة الكبيرة والهالة العظيمة لرؤيا أمنحوتب أو أخناتون حاكم مصر آنذاك.

ويظلُّ النَهيريّ ينهلُ من المنهل العذب، إذ وجد فيه مجالاً رحباً للتحرك بحرية في رصد الفكرة والمعنى المراد، إذ استدعى بنية النصّ القرآنيّ في خطابه الشعريّ الذي يقول في «إلى علي / نَهرٌ يحسنُ السكوتُ عليهِ»:

لِمَ غابَ وجهُكَ عن حضوري فيكَ؟
لستُ أطيقُ أن أغفو بغيرِ نقائِكَ الدافي كدفءِ القبرِ
لو آمنتُ أنَّكَ سوفَ تتلوني بهِ صُحُفاً
نقيَّاتٍ عفيفاتٍ أشاحتْ كبرياءَ النفسِ عن دَنَسِ الحياةْ... (النهيري، ٢٠١٥: ٤٨).

بإمكان المتلقي القارئ أنْ يذهب إلى قرآنيّة هذه المقطوعة الشعريّة بالتوجه إلى قوله تعالى: (رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً) (البينة/٢)، فقد وظّف الشاعر هذه الآية في عمله الأدبيّ مستفيداً من صياغة الآية ورونقها وجمالها، فضلاً عن

استحضار النَهيريّ لهذه القرآنيَّة بوصفها مصدراً دينياً وأدبياً، وقد عمد الشاعر في وضع لفظ (صُحُفاً) تسهيلاً وإشارةً للقارئ الأنموذجي للولوج إلى الآفاق القرآنيَّة الرحبة.

إنَّ هذه اللوحة الشعريّة جليّةٌ بالقرآنيَّة؛ إذ أراد الشاعر تثبيت الموقف لدى السامع، وأنْ يجعل حبل الوصال معقوداً بينه وبين المتلقي بإرثهما الدينيّ ورصيدهما القرآنيّ، فشيوع المفردات القرآنيَّة بجرسها والتراكيب اللغوية بإيقاعها المتردد على هذا النحو، يبرز فاعليّة التعبير القرآنيّ في النصّ الشعريّ، حيث أتت الصورة الشعريّة متداخلة في نظمها مع النصّ القرآنيّ كي يشحذ الشاعر صوره، ويقوي حججه (العدويّ، ٢٠١٤: ٣٢٨٣).

لقد بنى الشاعر مقطوعته هذه على لعبة تشظّي المعاني، فحسْبَ الآية إنّ الرسول (ص) هو الذي يتلو الصحف المطهرة وهذه هي الحجة على القوم، أمّا النَهيريّ فقد وضع الإمام عليّ (ع) مقابل موضع الرسول الذي يتلو الصحف، فالصفات التي يمتلكها الإمام عليّ (ع) تقترب من صفات الأنبياء وتشابهها فيما عدا الوحي، وفي مقابل (الصحف) عدَّ الشاعر نفسه (صحفاً)، وحسب التفاسير فإنّ (الصحف) هي (جمع صحيفة وهي ما يكتب فيها، والمراد بها أجزاء القرآن النازلة وقد تكرر في كلامه تعالى إطلاق الصحف على أجزاء الكتب السماوية ومنها القرآن الكريم... والمراد بكون الصحف مطهرة، تقدسها من قذارة الباطل بمس الشياطين ... والظاهر أنّ المراد بالكتب التي في الصحف، الأحكام والقضايا الإلهيّة المتعلقة بالاعتقاد.. فمعنى الآيتين: الحجة البينة التي أتتهم رسول من الله يقرأ صحائف سماوية مطهرة من دنس الباطل، في تلك الصحائف أحكام وقضايا قائمة بأمر المجتمع الإنساني حافظة لمصالحه) (الطباطبائيّ، ١٩٩٧: ج٢٠، ٣٣٧-٣٣٨).

النتيجة

بعد هذا البحث في شعر النَهيريّ وتوظيفه للقرآنيَّة نجد:

١. كانت "القرآنيَّة" أداة فعالة في تجربة النَهيريّ الشعرية، فقد مثلت تصويراً جمالياً امتزج مع نصّه الإبداعي.

٢. قدم الشاعر "القرآنيَّة التوافقية" في لوحاته الشعرية بما يتناسب مع نفسيته وبما يتلائم مع موضوع القصيدة وبيئة الشاعر ومخيلته، إذ وظفها بشكل جذب انتباه المتلقي إلى منجزه الشعري.

٣. لقد حاول الشاعر تغذية ألفاظه وشحنها بلفظ دينيّ منقولٍ بشكلٍ مباشر من دون تلاعب بألفاظه، وهو ما يسهّل على المتلقي القراءة والانفتاح على النصّ الشعري.

٤. في "القرآنيَّة الإيحائيّة" اشتغل النهيري في نصوصه مع النصّ القرآنيّ المقدّس، من خلال عملية تماهي للنص الغائب في النص الحاضر، وهو يعتمد أحياناً على لغة الإشارات والرموز التي تحيل إلى واقع الأشياء، موعزاً بذلك إلى دلالاتٍ قارّةٍ وأخرى منتجة.

٥. أما في "القرآنيَّة الإشاريّة" ينطلقُ شاعرنا إلى التعامل مع النصّ القرآنيّ بصياغة تعتمد التحوير عن نصّه الأصلي، فهو يستضيف النصّ القرآنيّ في خطابه الشعري، ويجعله ممتزجاً مع نصّه الشعري عن طريق العمليَّة التحويرية التي قد تكون لفظاً ودلالةً.

٦. كان شعره أوراقاً مزيّنة "بالقرآنيَّة" تتخللها سطور تشع بألوان جذابة منها، إذ كانت قريبة جدا من إحساس الشاعر في إدراكه لتوصيل الفكرة.

٧. وظف الشاعر هذه التقنية كأداة في إنتاج النص الإبداعي الشعري بحرفية وفنية متقنتين.

الهوامش

١. مهدي النَهيريّ، نبذة عن حياته وسيرته: وُلِدَ الشاعر مهدي شاكر محمود النَهيريّ في مدينة الكوفة في محافظة النجف الأشرف في العراق عام ١٩٧٨، وهو حاصل على شهادة البكالوريوس في اللغة العربية عام ٢٠٠٥ من جامعة الكوفة، وبكالوريوس علوم القرآن عام ٢٠١٣، وهو الآن طالب الدراسات العليا / الماجستير في كلية الفقه، جامعة الكوفة / قسم علوم القرآن.

سيرته الذاتية: هو عضو الاتحاد العام للأدباء والكُتاب في العراق ورئيس نادي الشعر في اتحاد الأدباء والكتاب في النجف من سنة ٢٠١٤ إلى ٢٠١٦. فاز في مسابقات شعرية داخلية وخارجية تتجاوز (١٥) مسابقة لا يتسع المجال لذكرها الآن، وقد صدرت له عدة مجموعات شعرية، هي: في حضرة التجلي ٢٠٠٨، مواسم إيغال بخاصرة الأرض٢٠١٠، النقوش التي لا جدار لها غير قلبي ٢٠١١، مسودة للبياض ٢٠١٢، أنا ما أغني ٢٠١٥، نهر يحسن السكوت عليه ٢٠١٥، ليمر الملاك ٢٠٢٠، يتمشى وتأوي إليه ٢٠٢٠.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الأسدي، حسن عبد الغني. (٢٠٠٩). **المدونة الرقمية الشعرية / التفاعل / المجال / التعالق**، ط١، العراق: مطبعة الزوراء.

٢. إسماعيل، عز الدين. (١٩٦٦).**الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية**، ط٣، القاهرة: دار الفكر العربي.

٣. البادي، حصة. (٢٠٠٩). **التناص في الشعر العربي الحديث - البرغوثي أنموذجاً**، ط١، عمان: دار كنوز المعرفة العلمية.

٤. الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب. (١٩٦٣). **إعجاز القرآن**، تحقيق: أحمد صقر، مصر: دار المعارف.

٥. التميمي، إحسان الشيخ حاجم. (٢٠١٣). **القرآنيَّة في شعر الرواد، دراسة لفاعلية النص المقدس في النص الإبداعي**، ط١، بغداد: دارالشؤون الثقافية العامة.

٦. جيده، عبد الحميد. (١٩٨٠). **الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر**، بيروت: مؤسسة نوفل.

٧. الصباغ، رمضان. (٢٠٠٢). **في نقد الشعر العربي المعاصر (دراسة جمالية)**، ط١، الإسكندرية، دار الوفاء.

٨. صبحي، محي الدين. (١٩٨٨). **الرؤيا في شعر البياتي**، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

٩. الطباطبائيّ، العلامة السيد محمد حسين. (١٩٩٧). **الميزان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان.

١٠. عبد المطلب، محمد. (١٩٩٥). **قراءات أسلوبية في الشعر الحديث**، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١١. علوان، علي عباس. (١٩٧٥). **تطور الشعر العربي الحديث في العراق (اتجاهات الرؤيا وجماليات النسيج)**، العراق: منشورات وزارة الإعلام.

١٢. الفحام، عباس علي حسين. (٢٠١١). **الأثر القرآني في نهج البلاغة: دراسة في الشكل والمضمون**، النجف الأشرف، العراق: العتبة العلوية المقدسة.
١٣. معن، مشتاق عباس. (٢٠٠٣). **تأصيل النص قراءة في أيدلوجيا التناص**، ط١، صنعاء، اليمن: مركز عبادي للدراسات والنشر.
١٤. النَهيريّ، مهدي. (٢٠١٥). **نَهَرٌ يحسنُ السكوتُ عليهِ**، ط١، العراق: مركز تبارك للنشر.
١٥. _____. (٢٠١١). **أنا ما أغني**، ط١، العراق: دار عدنان للطباعة والنشر.
١٦. _____. (٢٠١١). **مُسوّدة للبياض (شعر ونثر)**، النجف الأشرف، العراق: مطبعة شمس الغري.
١٧. _____. (١٩٩٩). **مواسمُ إيغالٍ بخاصرة الأرض (شعر)**، ط٢،م النجف الأشرف، العراق: نشورات طائر الفينق.
١٨. _____. (٢٠٠٩). **هو في حضرة التجلّي(شعر)**، ط١، النجف الأشرف، العراق: مطبعة الضياء.
١٩. واصل، عصام حفظ الله. (٢٠١١). **التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر**، الأردن: دار غيداء.
٢٠. العدويّ، أسامة شكري الجميل. (٢٠١٤). **التناص القرآنيّ في الشعر العباسيّ ـ دراسة بلاغيّة نقديّة**، حوليّة كلية اللغة العربيّة بالزقازيق، المجلد الرابع والثلاثون، العدد الرابع، ص٣٢٨٣.
٢١. الجريّاوي، مفتن، راسم أحمد ومهدي عبد الأمير. (٢٠١٧). «القرآنيَّة في شعر الإمام السّجاد (ع)»، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد العشرون، العدد الأول، ص٥٧٩ -٦٠٣.
٢٢. حيدريان شهري، أحمدرضا، مريم بخشنده و نعيمه پوراندوجي.(١٣٩٩).« دراسة الشخصيّات الدينية المنبوذة فى شعر شاذل طاقة فى ضوء التقنيّات البيانيّة»،إضاءات نقديه فى الأدبين العربى و الفارسي، السنة ١٠، العدد٤٠، صص ٩-٢٤.
٢٣. محي، علي ذياب. (٢٠١٣). «القرآنيَّة في نهج البلاغة»، مجلة العميد، كربلاء، العراق، العدد ٦، ص ٦٩-٩١.
٢٤. ريكي كوته، عطا الله و بهار صديقي.(١٤٠٢). «استعاره مفهومى «كفر» و «ايمان» در قرآن كريم»، زبان و ادبيات عربي، دوره ١٥، شماره٢، صص ٢٣-٤٠. Doi:10.22067/jallv15.i2.2202-1112
٢٥. المصلاوي، المدني، علي كاظم، م.كريمة نوماس.(٢٠٠٨)؛ «القرآنيَّة في علويات الشيخ صالح الكواز الحلي»، مجلة أهل البيت، العدد السادس، ص ٢٧٦-٣٠٢.
٢٦. مطلوب، أحمد. (١٩٨٧).«المصطلح النقدي»، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الثامن والثلاثون، الجزء الأربعون، ص١٠١-١٢٣.
٢٧. العبيدي، جاسم محمد أحمد. (٢٠١٦). التناص الأدبي والديني في شعر وليد الصراف، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط،كلية الآداب والعلوم.
٢٨. عبد الحفيظ عبد الله مجد، نجوى. (٢٠١٦). "التناص القرآنيَّ "في شعر عبد الرحيم عمر، رسالة ماجستير، إشراف نادر قاسم، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.
٢٩. عذاوري، سلينة. (٢٠٠٦). الرواية والتاريخ - دراسة في العلاقات النصية رواية العلامة لبن سالم حميش نموذجا، رسالة ماجستير، إشراف الأستاذ واسيني الأعرج، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر.

٣٠.كحول، شعبان. (٢٠١٧). حضور الموروث في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر، رسالة ماجستير، إشراف جمال سعادنه، جامعه باتنة ١ الحاج لخضر، الجزائر.

References

The Holy Quran

Al-Nuhairi, M. (2011). *A draft of white (poetry and prose), Al-Najaf Al-Ashraf*, Iraq: Shams Al-Ghariyi Press. [In Arabic].

_____. (2015). *Nahr, it is better to be silent about* it, 1st ed., Iraq: Tabarak Publishing Center. [In Arabic].

_____. (2011). *I don't sing*, 1st Edition, Iraq: Dar Adnan for printing and publishing. [In Arabic].

_____. (2009). *He is in the presence of the Transfiguration (Poetry)*, 1st Edition, Al-Najaf Al-Ashraf, Iraq: Al-Diaa Press. [In Arabic].

_____. (1999). *Seasons of Ignorance in the Heart of the Earth (Poetry)*, 2nd Edition, Al-Najaf Al-Ashraf, Iraq: Flying Phoenix publications.

Abdel Hafeez Abdullah Majd, Najwa (2016). *Quranic Intertextuality in the Poetry of Abd al-Rahim Omar*, Master Thesis, supervised by Dr. Nader Qassem, An-Najah National University, Palestine. [In Arabic].

Abdul Muttalib, M. (1995). *Stylistic readings in modern poetry*, Egypt: The General Egyptian Book Authority. [In Arabic].

Al -Asadi, H. A.G. (2009).*The Poetic Blog / Interaction / Domain / Dising*, First Edition Iraq: Al -Zawra Press. [In Arabic].

Al-Badi, H. (2009). *Intertextuality in Modern Arabic Poetry - Al-Barghouti as a Model*, 1st Edition, Amman: House of Treasures of Scientific Knowledge.

Al-Baqlani, A.B.M.T. (1963). *The Miracle of the Qur'an*, Edited by: Ahmed Saqr, Egypt: Dar Al Maaref. [In Arabic].

Alcohol, Shaaban, (2017). *The presence of the inherited in contemporary Algerian poetic discourse*, master's thesis, supervised by Dr. Jamal Saadneh, University of Batna 1 Hajj Lakhdar, Algeria. [In Arabic].

Al-Faham, A. A. H. (2011). *The Qur'anic Impact on Nahj Al-Balaghah: A Study in Form and Content*, Al-Najaf Al-Ashraf, Iraq: The Holy Upper Shrine. [In Arabic].

Al-Jirawi, Mu., Rasim Ahmed and Mahdi Abdel-Amir (2017). "The Qur'anic in the Poetry of Imam Al-Sajjad (peace be upon him)", *Al-Qadisiyah Journal for Human Sciences*, 20(1), 579-603.[In Arabic].

Al-Maslawi, Al-Madani, A. Kazem, M. Karima Nomas. (2008) "The Qur'anic in the Alawiyat of Sheikh Saleh Al-Kawaz Al-Hilli", *Ahl al-Bayt Magazine*, Issue 6, 276-302.

Al-Obaidi, Jassim Mohammed Ahmed. (2016). *Literary and Religious Intertextuality in the Poetry of Walid Al-Sarraf*, Master Thesis, Middle East University, College of Arts and Sciences. [In Arabic].

Al-Sabbagh, R. (2002). *In Criticism of Contemporary Arabic Poetry (Aesthetic Study)*, 1st Edition, Alexandria, Dar Al-Wafaa. [In Arabic].

Al-Tamimi, I.S. H.. (2013). *The Qur'anic in the Poetry of Pioneers, A Study of the Effectiveness of the Sacred Text in the Creative Text*, 1st Edition, Baghdad: House of General Cultural Affairs. [In Arabic].

Alwan, A. A. (1975). *The Development of Modern Arabic Poetry in Iraq (Vision Trends and Textile Aesthetics)*, Iraq: Publications of the Ministry of Information. [In Arabic].
Azouri, Selina (2006). *The Novel and History - A Study in Textual Relations, the Novel of the Allamah Ben Salem Himmish as an example*, a master's thesis, supervised by Professor Wassini Al-Araj, Ben Youssef Ben Khedda University, Algeria. [In Arabic].
Heidayian Shehri, A. R & M. Bakhshandeh & N. Porandouji. (2020). "A Study of Outcast Religious Figures in the Poetry of Shazal Taqah in the Light of Graphic Techniques," *Ida'a Nadhiya fi Arab and Persian Literature*, 10(40). 9-24 . [In Arabic].
Ismail, I.D. (1966). *Contemporary Arab poetry: its artistic and moral issues and phenomena*, 3rd edition, Cairo: Dar al-Fikr al-Arabi. [In Arabic].
Jaida, A. H. (1980). *New trends in contemporary Arabic poetry*, Beirut: Nofal Foundation. [In Arabic].
Maan, M. A. (2003). *Rooting the text A reading in the ideology of intertextuality*, 1st Edition, Sana'a, Yemen: Abadi Center for Studies and Publishing. [In Arabic].
Mohi, A. D. (2013). "The Qur'anic in Nahj al-Balaghah" *Journal of the Dean, Karbala***,** Iraq, Issue 6, 69-91.[In Arabic].
Riki Kuteh, A. & B. Seddighi. (2023). "The conceptual metaphor of "Unbelief" and "Faith" in the Holy Qur´an", *Arabic language and liter*ature, 15(2). 23-40. [In Persian]. Doi:10.22067/jallv15.i2.2202-1112
Sayed Matlab, A. (1987). "The Critical Terminology", *Journal of the Iraqi Academic Council*, 38(40), 101-123.[In Arabic].
Sobhi, M. (1988). *The vision in the poetry of Albayati*, Baghdad: House of General Cultural Affairs. [In Arabic].
Wasel, I.G. (2011). *Heritage Intertextuality in Contemporary Arabic Poetry*, Jordan: Dar Ghaida. [In Arabic].

اللّغة العربية وآدابها (الفصلية العلمية المحكمة)
www.jall.um.ac.ir
الترقيم الدولي الموحد للطباعة: 7217 – 2008
الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: 2681 – 2383

اللّغة العربية وآدابها، السنة السادسة عشرة، العدد ١ (الرقم المسلسل ٣٦)، ربيع ١٤٤٥، صص:١٠٤-٩٠

قراءة صورة الآخر الفرنسي بين النمطين السلبي والإيجابي في الرواية الجزائرية (روايات معمر حجيج أنموذجا)

(المقالة المحكمة)

دانا طالب‌بور (حاصل على الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها من جامعة طهران، طهران، إيران، الكاتب المسؤول)[1]
صلاح نجم الدين أمين مجيد (أستاذ محاضر في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة كركوك، كركوك، العراق)

Doi: 10.22067/jallv16.i1.2402-1385

الملخّص

تعد ثنائية الأنا والآخر من أهم مباحث الأدب المقارن، إذ تحيل هذه الثنائية الجدلية في الأغلب على الصراع الطبقي والحضاري، لتحديد مفهوم الأنا لا بد من وجود الأنا/ الذات المركزية نقيس من خلالها ذلك الآخر ونتعرف عليه، فالآخر يعني شخصا آخر أو جماعة مغايرة، ويكون الآخر هو الكائن المختلف عن الذات وهو مفهوم نسبي ومتحرك، ذلك أن الآخر لا يتحدد إلا بالقياس إلى نقطة مركزية هي الذات، فالآخر هو انعكاس للأنا والرواية الجزائرية زخرت بصورة الآخر الفرنسي الذي بقي عالقا في أذهان الجزائريين، وهو ما تجسد في كتاباتهم بالرغم من الاستقلال، لذلك تسعى هذه المحاولة عبر المنهج الوصفي- التحليلي إلى دراسة أهم ما اعتمد معمر حجيج في تصويره للآخر الفرنسي في رواياته الأربع (الليالي حبلى بالأقمار، معزوفات العبور، ذاكرة منفى الجنون، مهاجر ينتظر الأنصار) وإبراز أنماط هذا الآخر بين السلبي والإيجابي من خلال تصويره للشخصيات الفرنسية والتعرف على خفايا ومستورات ذلك الآخر. تشير النتائج إلى أن حجيج اعتمد في تصويره للآخر الفرنسي على عدة صراعات: منها الصراع الحضاري القائم بين الغرب والشرق، والصراع القائم بين الهوية الجزائرية والفرنسية التي يحاول الاستعمار بمسحها، والصراع القائم بين الأدباء الفرنسيين المتحمسين لمصالح فرنسا، وصور الآخر الفرنسي في الروايات ذات نمطين: سلبي وإيجابي، فصورة الضابط الفرنسي ذات نظرة استعلائية وصورة تتميز بالشفقة على المساجين والاستعطاف عليهم، وكذلك بالنسبة إلى صورة الأستاذ، حيث تحاول تدمير كل ما يتعلق بالهوية الجزائرية الإسلامية والثقافة الجزائرية وإيجابية، حيث تدعم كل الحركات على مستوى الدفاع عن الحرية والاستقلال الجزائري وكذلك بالنسبة إلى صورة الأديب، حيث ينظر كامو نظرة دونية إلى الجزائر، بينما سارتر في نفس الرواية، يدافع بكل ما يملك من قوة عن القضية الجزائرية ويفضح جرائم الاستعمار الفرنسي ويندد الصمت عليها.

الكلمات الدليلية: الأدب المقارن، الرواية الجزائرية، الآخر الفرنسي، الأنا، معمر حجيج.

تاريخ الوصول: ١٤٠٢/١٢/١٦ تاريخ المراجعة: ١٤٠٣/١/٢١ تاريخ القبول:١٤٠٣/٤/٤

[1]. الكاتب المسؤول: d.talebpour@ut.ac.ir

١. المقدمة

اهتم الباحثون في مجال الدراسات الأدبية المقارنة بتقصي صورة الآخر من خلال الغوص في خبايا النصوص الأدبية بغية الوصول إلى الصورة التي يرسمها أدب شعب ما حول شعب آخر وثقافته وعاداته وتقاليده، فالآخر في نظر الشعوب هو من يختلف في لغته أو عرقه أو انتمائه الديني والجغرافي، مع العلم بأن صورة الآخر تضمر في ثناياها صورة الأنا وثقافته، لذلك فقراءة ثنائية الأنا والآخر لا يمكن أن تنعزل عن قراءة الأنساق الثقافية التي اختفت في اللاوعي الفردي والجماعي.

وتعد ثنائية الأنا والآخر من أهم مباحث الأدب المقارن، إذ تحيل هذه الثنائية الجدلية في الأغلب على الصراع الطبقي والحضاري والثقافي، وهذا الصراع ألهب خيال المبدعين وحرّك أقلامهم، ما جعل الخطابات الأدبية أرضا خصبة تغذيه، فكانت الرواية في صدارة الأجناس الأدبية التي تنبت هذه العلاقة بين الأنا والآخر فلا نجد نصا روائيا إلا وفيه بعض من شظايا هذه الثنائية الجدلية أو ثنائياتٍ، ارتبطت بها من حيث المفهوم كثنائية الشرق والغرب، المركز والهامش، الفوقية والدونية، الذكورة والأنوثة، فمقدرة الرواية على احتواء المجتمع والتعبير عنه استطاعت الكشف عن الصراع والصدام القائم بين الأنا والآخر.

لذلك تسعى هذه الدراسة عبر المنهج الوصفي- التحليلي إلى إبراز أنماط صورة الآخر الفرنسي بين السلبي والإيجابي في أربع روايات معمر حجيج (الليالي حبلى بالأقمار، معزوفات العبور، ذاكرة منفى الجنون، مهاجر ينتظر الأنصار) بما تحمله من مرجعيات ثقافية وكولونيالية عبر الإجابة عن السؤالين التاليين:

١. على ماذا اعتمد الروائي معمر حجيج في تصويره للآخر الفرنسي في الروايات الأربعة الآنف ذكرها؟

٢. كيف الصورة التي رسمها الروائي الجزائري عن الآخر الفرنسي؟

١-١. فرضية البحث

١. من خلال نظرة شاملة إلى روايات معمر حجيج الأربع يمكن أن نشاهد أنها تتمحور حول عدة صراعات بما يشمل الصراع الحضاري المضاد بين الغرب والشرق، والصراع القائم بين الهوية الجزائرية والفرنسية التي يحاول الاستعمار بمسحها، والصراع القائم بين الأدباء الفرنسيين المتحمسين لمصالح فرنسا.

٢. من خلال نظرة فاحصة في مضامين روايات معمر حجيج الأربع يشاهد أن صورة الآخر الفرنسي ذات نمطين: سلبي وإيجابي.

١-٢. خلفية البحث

أما بالنسبة إلى موضوع البحث فقد جرى حتى الآن عدة بحوث فيما يلي يشار إلى بعض منها:

- شريف، بموسى عبد القادر (٢٠١٠). «صورة الآخر الفرنسي في الرواية الجزائرية "ما لا تذروه الرياح" أنموذجا». تتناول هذه الدّراسة الجانب النّفسي من الصّراع الحضاري بين الشرق والغرب في الرّواية العربية الجزائرية.

-مير قادري، أعظم السادات (٢٠١٢). «الأنا والآخر في رواية "سهرة تنكرية للموتى" لغادة السمان». في هذه الدراسة قامت الباحثة بدراسة أهم مظاهر العلاقة بين الأنا والآخر بما يتمثل في مواجهة الشرق للغرب أو العلاقة بينهما.

– شفيري، فتيحة (٢٠١٣). «الأنا والآخر في الرواية الجزائرية». في هذه الدراسة قامت الباحثة بدراسة صورة الأنا والآخر في رواية "القلاع المتآكلية" لمحمد ساري في مختلف المستويات والصور.

– أميرة، كتال ومحمد، زرمان (٢٠٢١). «شعرية السرد في رواية ذاكرة منفى الجنون لمعمر حجيج». يحاول البحث ليسلط الضوء على أبرز العناصر المكوّنة للسرد ورصد الآليات التي جسدت دلالات متنوعة وجعلت الرواية ترقى لمصاف الشعرية، فجعلت القارئ يستقطبها كمشارك ضمني لإنتاج محكي يتشابك ضمن نسيج روائي متكامل ومتماسك.

عيسى، قدور والسعدي، إسماعيل (٢٠٢١). «تمثلات الأنساق الثقافية في الرواية الجزائرية: "مهاجر ينتظر الأنصار" لمعمر حجيج أنموذجا». هذا المقال يحاول أن يسلط الضوء على الأنساق الثقافية في الرواية الجزائرية المعاصرة من أجل فهم كيفية اشتغال الأنساق الثقافية داخل المنجز الإبداعي بالاعتماد على رواية "مهاجر ينتظر الأنصار" لمعمر حجيج وبالاستفادة من أطروحات النقد الثقافي.

–مرج، نادية (٢٠٢١). «الأنثروبولوجيا الثقافية في الرواية الجزائرية، "الليالي حبلى بالأقمار" و"معزوفات العبور" لمعمر حجيج أنموذجا. يهدف هذا البحث إلى كشف ملامح الأنثروبولوجيا الثقافية في الرواية الجزائرية الممثلة في أنموذج الروائي معمر حجيج كالأساطير والدين والطقوس الشعبية، حيث أبدعت الروايتان شكلا روائيا تمازج فيه الفني الجمالي بالمعرفي الإبستيمولوجي وتكونان تعبيرا عن ثقافة المجتمع الجزائري وتراثه الشعبي.

– شهيناز، بوصبع ونجوى، منصوري (٢٠٢٢). «المضمر الثقافي في رواية "مهاجر ينتظر الأنصار" لمعمر حجيج (الحدود والتمثلات)». تبحث هذه الدراسة في النسق الثقافي المضمر من حيث حدوده الاصطلاحية والمفهومية من منظور النقد الثقافي، ومن حيث تمثّلاته النصية في رواية "مهاجر ينتظر الأنصار" للروائي الجزائري "معمر حجيج" والتي تتمتع بقدر من الخصوصية الجمالية والفكرية تضمر دلالات ثقافية تختلف عما تصرح به في الظاهر، وتشكل إحدى صور مساءلة الذات الكاتبة لواقع اجتماعي، أو لثقافة سائدة.

– ملاوي، محفوظ وعلي، كرباع (٢٠٢٢). «جينيالوجيا الأنساق الثقافية في الرواية الجزائرية المعاصرة وتمثلاتها على مستوى المضامين: رواية "الليالي حبلى بالأقمار" أنموذجا». تحاول هذه الدراسة قراءة بعض الأنساق الثقافية قراءة مقارنة من أجل بحث فاعلية النسق في تكوين المنظومة الخطابية في الرواية الجزائرية المعاصرة، والكشف عن المضمرات النسقية، وجدل المراوحة بين المنطوق الجمالي والكامن الثقافي من خلال فعل الحفر.

استنادا إلى ما سبق ذكره، فلم يتم الحصول على أي عنوان يتعلق بموضوع البحث الحالي، فمن ثم يكون موضوعا جديدا غير مدروس حتى الآن.

٢. الإطار النظري للبحث: مفهوم الأنا والآخر

ما من شك في أن الإحساس بالهوية أو الوعي بالذات وبالتالي الوعي بصورة الإنسان عن نفسه أو تصوره لنفسه وعلاقة ذلك بمفهوم الغيرية أي بمعنى الوعي بوجود الآخر المغاير ومعرفة السمات المميزة والحدود الفاصلة بين الأنا والآخر من أقدم وأرسخ وأوضح حقائق الوجود البشري. وكثيرا ما عولج هذا الموضوع تحت مصطلحات كثيرة ومفاهيم تختزل هذه العلاقة الجدلية منها:

نحن والآخر، الذات والآخر، الأنا والآخر. ولكن يبقى مفهوم هذه الثنائية معقدا ويختلف باختلاف المفكرين وتوجهاتهم، فالأنا «لا معنى له سوى أنه المقابل للآخر (Autre) تقابل تعارض وتضاد أو أنه المطابق لنفسه المعبر عنه

(Identite) وهو ما نترجمه اليوم بلفظ الهوية أو العينية أي كون الشيء هو عين نفسه» (الجابري، ٢٠٠٩: ٢١). فالأنا هو النفس البشرية بما يملكه ويحمله من مميزات ومظاهر ثقافية نفسية إيديولوجية وما يحويه من أفكار وطموحات وصراعات.

فعلينا أن نشير إلى أن أول من كانت له الصدارة في الحديث عن الأنا هو الفيلسوف الألماني سيغموند فرويد في «اكتشاف تلك الحقيقة الهامة وهي أن جزءا كبيرا من حياتنا العقلية لا شعوري وأن لهذا الجزء اللاشعوري من حياتنا العقلية تأثيرا كبيرا على سلوكنا ومشاعرنا سواء في حياتنا السوية أو فيما تتعرض له من اضطرابات وأمراض نفسية» (فرويد، د.ت: ١٢).

أما في المجال الأدبي، فإن الأنا يتقاطع مع الذات، الهوية والشخصية ويشكل مترادفات بالنسبة له في الاصطلاح، والأنا هو الذات وما يحمله من مظاهر وخصائص ثقافية أو نفسية أو إيديولوجية وما يشتمل عليه من أفكار وآمال وطموحات وصراعات وتوترات...» (الذويخ، ٢٠٠٩: ٧). أي إنه مجموعة السمات التي تميز الذات وتعرف بها من خلال مظاهر داخلية (التفكير، الوعي، القيم، والمكتسبات...) وأخرى خارجية (الشكل والمظهر واللباس وطريقة الأكل...).

«عرف سارتر الآخر بأنه كائن آخر مماثل للأنا، لكنه مستقل في وجوده ومختلف عن الأنا، والغير هو الأنا الذي ليس أنا، ويعتبره عاملا فاعلا في تكوين الذات، إذ يرى سارتر أن وعي الذات الوجودي يتأسس تحت تحديق الآخر، لكن الآخر ليس آخر خيرا، بل ينطوي على عداء يدمر إنسانيتنا، وتأتي أهمية الآخر في الفلسفة السارترية الوجودية وعلم النفس اللاكاني من جوهريته الأساسية في توطين الذات وتحديد الهوية وكذلك من إسهامه في تأسيس وتوجيه المنطلق الذاتي الشخصي القومي والثقافي» (الرويلي، ٢٠٠٢: ٢٣-٢٤).

وعليه يكون الآخر هو «الكائن المختلف عن الذات وهو مفهوم نسبي ومتحرك، ذلك أن الآخر لا يتحدد إلا بالقياس إلى نقطة مركزية هي الذات، وهذه النقطة المركزية ليست ثابتة بصورة مطلقة، فقد يتحدد الآخر بالقياس إلى فرد أو جماعة معينة وقد تكون داخلية كالنساء والرجال» (كاظم، ٢٠٠٤: ٢٠). إذا لتحديد مفهوم الأنا لا بد من وجود الأنا/ الذات المركزية نقيس من خلالها ذلك الآخر ونتعرف عليه، فالآخر يعني شخصا آخر أو جماعة مغايرة. قد ينتمي لنفس المجتمع الذي أنتمي إليه ويشترك معي في الثقافة والدين والوطن (نساء/ رجال) أو يختلف عني تماما في اللغة والعقيدة والوطن ويحمل سمات ثقافية وحضارية متمايزة.

«يعتبر الآخر موضوعا قيد النقاش من لدن المهتمين بالحقل الفلسفي والحقول المفاهيمية الأخرى الراغبة في وضع الأطر الصحيحة للمصطلحات. فنجد الآخر تأتي بمعنى صفة كل ما هو غير أنا، وفكرة الآخر بمعنى غير الأنا، مقولة إبستمولوجية ملخصها الإقرار بوجود خارج الذات العارفة أي كينونات موضوعية» (بوحلايس، ٢٠٠٨: ٨).

إذا لا وجود لآخر دون وجود الأنا، فلا بد من توفر شروط الاختلاف والتمايز حتى يمكن التفريق بينهما فكلاهما يحدد غيره ويحيل إليه، فبمجرد قول عبارة صورة الآخر يتبادر إلى الأذهان مفهوم الذات/ الأنا. وعموما الأنا نعني به العرب، الشرق، بلدان العالم الثالث، التخلف، الضعف، الفقر، الخوف، التبعية، الهامش، أما الآخر فهو الغربي الشمال، التفوق، التحضر، التطورـ القوة، المركز، الهيمنة، وبذلك نجد الكثير من العلاقات داخل النص الأدبي مفيدة من أجل دراسة الآخر. مثلا: دراسة العلاقات الذكرية والأنثوية ضمن الانتساب إلى ثقافات متنوعة (الرجل العربي يقيم علاقة مع المرأة الغربية أكثر من المرأة العربية مع الرجل الغربي)، وهناك الوصف المخالف الذي يساعد على تقديم صورة الآخر من خلال ثنائيات متناقضة تدمج الطبيعة والثقافة، مثلا: متوحش مقابل متحضر، وبربري مقابل مثقف، وإنسان مقابل حيوان، ورجل مقابل امرأة، وكائن متفوق مقابل كائن ضعيف (حمود، ٢٠٠٠: ٢٥٦).

«فإن ما يتشكل لدينا من صورة لذواتنا أو الآخرين لا تكون دائما -في جميع الحالات- محددة ونقية، فإذا كانت صورتنا عن الآخر قواما مكونا للأنا/ النحن، فإن صورة النحن هي النقطة التي عندها نستدرج الصورة التي لنا الآخر أو الآخرين والصورة التي للآخرين عنا نحن» (الكنز، ١٩٩٣: ٦٥١)، وربما تتشكل صورة الآخر من عناصر انتقائية، هي ما نريد أن نثبتها في أذهاننا عن هذا الآخر، في حين تغيب عنها عناصر أخرى لا نراها أو لا نريد الاعتراف بها وأحيانا غرائبية عن الإطارين: الزماني والمكاني معا لوصف أوضاع الآخر وطبائعه (البرزي، ٢٠٠٠: ١٠١).

ورصدت الرواية العربية جدل العلاقة بين الأنا والآخر وطرحتها بوجهات نظر مختلفة، «تختلف باختلاف وجهة نظر الروائي، قد يبرزها بصورة معقدة وشائكة وقد يظهرها بصورة واضحة خاصة، إذا اقترنت بالآخر، وهو العدو بحد ذاته، لتصبح الأنا في موقع صدامي وصراعي على الدوام معه» (عبيد، ٢٠١٢: ٣٦). حيث يصوغ الروائي العلاقة بينهما عن طريق المقابلة صورة الأنا/ الذات أو النحن العربي وصورة الآخر/ الغربي المتحضر، لتصبح بذلك هذه الثنائية الجدلية الأنا والآخر قيمة مركزية في الخطاب الروائي، يظهر صراعها جليا في بعض البنى النصية وينصره في بنى أخرى حتى يوهم المتلقي بالتواؤم والانسجام، لكنه يخفي الصراع الحضاري بين الشرق والغرب.

وتعد فكرة التمايز والتفاضل فكرة متأصلة في التاريخ البشري، وكانت سبب أول جريمة بين بني البشر، قال تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ، قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (المائدة: ٢٧). فالصراع من أجل المكان والتميز صفة بشرية لا يمكن العدول عنه بسهولة وتبلورت هذه الفكرة حديثا في الثقافة الكولونيالية التي تنبت النظرة الفوقية المتعالية وأسست لثنائية المركز/ الهامش، الأنا/ الآخر.

وقد شكلت ثنائية الأنا/ الآخر البؤرة المركزية التي اتكأ عليها المؤلف (معمر حجيج) في بناء نصوصه الروائية (مهاجر ينتظر الأنصار، الليالي حبلى بالأقمار، ذاكرة منفى الجنون، معزوفات العبور)، فهي روايات تزخر بالصراعات بين الشرق الممثل في الجزائر والغرب الممثل في فرنسا، وعليه سنحدد مجال هذه الدراسة في الروايات بتحديد رؤية الجزائري للآخر الفرنسي باعتباره مقابلا للأنا مختلفا عنها ثقافيا واجتماعيا وإيديولوجيا- وكيف تشكلت صورة فرنسا في الرواية من خلال الحوار الذي دار بين الشخصيات في الروايات، لينقل لنا صورة المتخيل الجزائري عن فرنسا.

٣. الإطار التطبيقي للبحث

فيما يلي تتم دراسة أهم مظاهر صورة الآخر الفرنسي في روايات معمر حجيج الأربع (الليالي حبلى بالأقمار، معزوفات العبور، ذاكرة منفى الجنون، مهاجر ينتظر الأنصار) مرتكزة على صورة الضابط والأستاذ والأديب.

٣-١. صورة الضابط

«الشخصية كائن له سمات إنسانية ومنخرط في أفعال إنسانية وملتزم بأحداث بشرية، وممثّل متسم بصفات بشرية. الشخصية محور الصفات والإيدئولوجيات والأفعال والتصرفات ولأعمالها وأدوارها مكانة في النص» (فتحي دهكردي، ١٤٤٣: ٥٥).

تعد شخصية الضابط الفرنسي من أهم الشخصيات التي ميزت روايتي (الليالي حبلى بالأقمار) و(معزوفات العبور)، لأنهما روايتان تعالجان موضوع الثورة التحريرية الكبرى والصراع العسكري بين فرنسا والجزائر، وشخصية الضابط تمثل السلطة الفرنسية بكل ما تحمله من كراهية وحقد ضد الجزائريين، ويعكس الضابط الهمجية الاستعمارية.

وتتجلى النظرة الاستعلائية والإحساس بالتفوق في رواية (الليالي حبلى بالأقمار) منطلقا من اعتزازه بالحضارة الأوروبية: «ألا تتذكر ما قاله الضابط الفرنسي لجدي؟- بلى. بلى. أتذكر ذلك جيدا. كان يقصد تثبيط عزائم أبي العظيم رحمه الله قال له يومذاك: أنتم لا تخشون من الموت، لأنكم لم تستطيعوا صنع حياة الرفاهية التي ننعم بها. أنتم مهرة في صنع تماثيل للموت بوجوه مكفهرة مقززة ميتة، لكنكم لا تحسنون صنع تمثال واحد للحياة. أجابه جدي بالقول الفصل: أنتم صورة ممسوخة مزورة من مشاريع بشر تحسنون صنع رفاهية الحياة المشوهة بوجوه آدمية براقة خادعة وأنياب ذئبية ومخالب كواسر والسباع ونفوس شريرة وقلوب صدرت إليكم من وحوش منقرضة ليس فيها أي: دماء آدمية، تتلذذون بتعذيب وتقتيل غيركم، وشرب دمائهم بشراهة الذئاب المعسورة. أما نحن فلا نخشى من العباد حتى لو أنهم كانوا وحوشا دمويين مدججين بآلات التنكيل والتقتيل مثلكم، ولكننا نخشى رب العباد والحياة عندنا مقدسة لكل الخلق، والموت حق على كل نفس، ونحن لا نصنع تماثيل نعبدها، بل نعبد الله الواحد الأحد، والقلوب لا تكون ميتة حتى تفرغ من الإيمان، تكفر بخالق ربها المنان» (حجيج، ٢٠١٨: ٣٢٢).

فهذا الصراع بين الجد والضابط نموذج مصغر عن الصراع الحضاري بين الغرب المادي والشرق الروحاني، ففي حين يفتخر الغرب بقدرته على صناعة الرفاهية، يسطع نور الإيمان من الشرق، فالحضارة الأوروبية ركزت على الصناعة وشيأت العلاقات الإنسانية وتحولت إلى آلات مستعدة للتدمير والقتل.

والاستعمار الفرنسي لم يستطع إطفاء شعلة الوطنية وروحها في نفوس الجزائريين مهما ارتكبوا من أعمال تنأى عن الأخلاق والقيم، ولا يجود متنفسا لغضبه إلا بالعودة لحضارة الأنوار ليستمدوا منها القوة، في حين تكون الشتائم والازدراء للآخر الجزائري الذي فرض تفوقه في حرب السلام، فلن يسمحوا له بالتفوق في الحرب الكلامية: «بقي ذلك الهروب غصة في حلق الضابط الفرنسي، ولم يستطع بلعه، وكان يصبح كالمعتوه: أنا ممتلئ بخطط حربية على بدء أشهر الجنرالات، وتخرجت من المدارس الحربية، وأخسر الرهان أمام هذا البدوي المتخلف الجلف. هذه من سخريات القدر. كتيبتي وقعت بغبائي وغروري في فخ كمين محكم وأبيد معظمها. أسأل نفسي بمرارة من يكون هؤلاء؟! بالتأكيد هم وحوش من أدغال إفريقيا، بل أشباح تظهر فجأة وتختفي. سنسجل كل من ينتمي إليهم في القائمة السوداء. هؤلاء خارجون على القانون، وليسوا ببشر، وبالقانون نصادر كل أراضيهم ومواشيهم ورقابهم، ويصبحون لا حيلة لهم على غير العمل عند أسيادهم الكولون ليعيدوا ترويضهم، إن لم ينفع هذا العقار السحري لتحويلهم إلى مشاريع بشر لا مفر من تشريدهم ليعيشوا كالكلاب المسعورة. لا بد من الرمي بهم في البحار لإفراغهم من الدماء التي تغلي في عروقهم أو رمي أشباحهم في الصحاري لتخنق أنفاسهم ويمسخون سلاحف لا نخرج رؤوسها أبدا» (المصدر نفسه: ١١٠).

فالثوار أثبتوا أن الانتصار يتحقق من الإرادة والإيمان، وساحة المعركة لا تعترف بالشهادات والتحصيل العلمي، فنجد الثوار الذين لم يلجوا المدارس يتفوقون بعزيمة وحبهم للوطن الذي يجري في عروقهم، في المقابل نجد الضابط الفرنسي بكل معارفه وعتاده الحربي يبوء بفشل ساحقٍ، يشوه مسيرته كقائد في جيش يتغنى بحضارته وقوته.

وأما رواية (معزوفات العبور) فتصور لنا شخصية الضابط الذي يتميز بالعنف والقسوة، فهو شخصية سادية تتلذذ بممارسة فعل التعذيب على المساجين: «سأتركه يموت كالقنفذ ببطء، وأنا سأتلذذ كلما مات منه جزء. سأجعله يموت بالتقسيط، والموت بالجملة نوع من السخاء يهدي مجانا لهذا الصعلوك، خذوه وارموه في المطمور رقم سبعة ليعيش مع الفئران والصراصير والعناكب والقمل والبرغوث ولا تتركوا معه الأفاعي، فهي تهدي له نيابة عنا الموت بالجملة، سأحرمه منها ما دمت

هنا. لا تبخلوا بالبول عليه» (حجيج، ٢٠١٦أ: ١٣٧). فهم يتلذذون بالتعذيب لدرجة يرفضون فيها أن يقتل السجين مرة واحدة، بل يسعون لقتله مرات عديدة وبقتل أجزاء من روحه مرة بعد مرة ليصبح مسخا وجسدا بلا روح.

وتبلغ النتعة بالتعذيب مداها عندما يتخلى الضباط الفرنسيون عما بقي من إنسانيتهم باستعمالهم لكل الطرق التي لا تخطر على البال، فهم يتحولون لحيوانات هائجة عندما يتعلق الأمر بالثوار المساجين: «سأقطع لك ما يفقدك رجولتك، ويستأصلك، ولن تنجب بعدها مخلوقات هابطة، ووقحة مثلك. وأمر أعوانه بالتنفيذ، فسمع المعتقلون صراخا غير معهود من (بوحة النية) يتجاوب في أنحاء المعتقل كله، وكل واحد منهم راح يفسر ويفك لغز ما وقع لـ(بوحة النية) المسكين» (المصدر نفسه: ١١٨). وكل هذه السادية انفجرت من كلا (بوحة النية) عن الجزائر وعن الإسلام، فالآخر الفرنسي ليس مستعدا لأي كلام يمجد الإسلام، فهم أصحاب الحضارة وغيرهم لا يمكن أن يرقى ليكون إنسانا فما بالك بإبداء رأيه، «ألا سيكون الكلام لي وحدي لأفرغ غضبي من كلام هذا الحقير، ها هو قد فقد وعيه. إن استطعت الآن رُدَّ عليّ بكلامك السخيف. إذا كان قرآنكم يقول لكم: كنتم خير أمة أخرجتم للناس، فأنا لا أؤمن به، وهيهات أن تكونوا كذلك، يا أيها الكائن من المخلوقات الهابطة، فمن أراد أن يعرف صحة نظرية (داروين)، فليأت هنا، وليعش مع هذه الكائنات غير المكتملة، فسيتأكد بأنهم يمثلون الحلقة المفقودة ما قبل القرود، وليس ما بعدها كما يتحذلق (داروين)، وله العذر، فهو لم يشاهد بأم عينه هذه المخلوقات الهابطة، وإلا سيكون له رأي آخر، فهؤلاء لم تسمح لهم الطبيعة بأن يصبحوا أنصاف بشر أو قرودا كاملة. قرآنكم يقول لكم: نحن مسخنا خنازير أو قرودا، ولكن أنتم لم تكونوا بشرا حتى تمسخون والأجدر بكم أن تنقرضوا» (المصدر نفسه: ١١٨). فالضابط الحاقد على كل الجزائريين، صبّ كل الغضب الذي يكنّه لهم في شكل تعذيب لـ(بوحة النيه) وهذا الضابط المؤمن بنظرية داروين التطورية لا يسمح بأن يتساوى الفرنسي مع الجزائري في الأصل، ففي نظره هم مخلوقات لم ولن تتطور ومآلها الانقراض، فهم مخلوقات غير مكتملة وبالتالي لن تقدر على بناء حضارة.

وهذه النظرية العنصرية امتدت إلى كل شيء متعلق بالدين، فهم يتربصون بيوم الجمعة الذي يمثل عيدا للمسلمين ويفضلونه لتنفيذ أحكام الإعدام: «عشتم في إحدى الجمعات يوما من أكثر أيامكم مأساوية واختار السفاحون هذا اليوم المبارك المقدس عندكم نكاية بكم، واستخفافا بدينكم الحنيف، فقاموا بإعدام أكثر من عشرة أبطال أمام أعينكم، وعذب أكثر من عشرين، فكان يوما مفجعا حزينا، كانت مناظره الدموية المرعبة لا تكاد تفارق أرواحكم، وتحفر ألمًا لا يمحي من ذاكرتكم بشظايا من الزجاج» (المصدر نفسه: ٩٥). فكل ما يمثل رمزا للإسلام يحاول هؤلاء الفرنسيون تدميره، فلم يكتفوا بإيذائهم في أجسادهم، وراحوا يسلّطون عليهم عذابا آخر، آلامه لا تُنسى وآثاره لا تُشفى ويبقى أثره في نفسيتهم إلى الأبد.

وبالرغم من كل هذه الوحشية، إلا أن هنالك ضباطا ليسوا بنفس همجية سابقيهم: «انهزم الكولونيل حين تعرضت قافلته العسكرية لكمين، فقتل من قتل، ومن بينهم الكولونيل ونجا نائبه، فتولى مهمة المعتقل وكان يعارض أسلوب سلفه في معاملتكم وكان جامعيا متخصصا في الفلسفة الماركسية، ومن الذين يؤيدون الخدمة العسكرية، فأمر بإخراجكم من (المطامير)، فاستقبلكم زملاؤكم بالتهليل والتكبير، وكان (الحركي) والمجندون من أبناء (الكولون) ينتظرون انتقاما شرسا وشنيعا من العملية التي اندحروا فيها، لا يقل عن الإعدام الجماعي لكم حرقا بالنيران وللشعب كله في تلك الناحية» (المصدر نفسه: ١٦٧-١٦٨). فهذا الضابط الجديد المتسربل برداء الماركسية لم يكن كسابقه في التعذيب ورحم السجناء من البقاء في المطامير.

وكذلك وجود ضابط آخر ساعد السجناء لكتابة مسرحياتهم التي تساعد على رفع الهمم من جهة والمقاومة على الاستعمار، ولكن هذا لم يكن محبة منه، ولكن كون هو وجماعته يحارب ضد فرنسا، فالهدف المشترك هو ما جعله يساعد

السجناء، فإذا اندلعت الفوضى في الجزائر يساعد ذلك على تحرير كورسيكا: «فقد اكتشف ضابط برتبة ملازم نشاطك، فكنت تنتظر عقابا يصل إلى حد الإعدام أو التعذيب إلى درجة فقدان الإحساس بخروج الروح من جسدها، ولكن ما وقع لم يكن في الحسبان، فقد أحضر لك كل مستلزمات الكتابة خفية عن زملائه، فظننت أنه يلعب بعقلك ويتسلى بك، كما تلعب وتتسلى القطط بالفئران قبل أن تفتك بها، ولكنه انفرد بك وسلمك الأمانة وأرشدك إلى طريقة إخفائها وأسر في أذنك بأنه ينتمي لحركة من كورسيكا تسعى للاستقلال عن فرنسا وقال لك بكل ثقة واطمئنان: لا تخافوا مني! منذ اليوم، فإننا مشتركون في الهدف» (المصدر نفسه: ١١٠-١١١).

٣-٢. صورة الأستاذ

«يحدد علم الصورة السمة الأساسية للصورة بأنها ناشئة عن الاختلاف بين ذات وأخرى، وبين هنا وهناك. ولذلك فإن الصور هي تعبير عن الاختلاف بين نظامي الواقع والمكان» (قبول وآخرون، ١٤٠٠: ٢٤).

سعى الروائي معمر حجيج إلى إبراز النظرة المتطرفة والعدائية لكل ما هو جزائري وكل ما يميز هذا المجتمع من ثقافة وعادات وتقاليد، والتي تعود غالبا إلى الدين الإسلامي، فالآخر يسعى دائما لخلخلة كل ما يمثل الهوية الجزائرية العربية الإسلامية. وهذه النظرة المتعالية تجسدت في رواية (ذاكرة منفى الجنون) على لسان الشخصيات الفرنسية وأولها أستاذة معيوفة في مادة التاريخ التي غيرت اسم معيوفة ليتماشى وحضارة الأنوار: «رأتني أستاذة التاريخ العنصرية مهمومة، فسألتني، فشرحت لها السبب، فقالت لي: سأخلصك من اليوم من حرف العين الحلقي العربي المنجس لاسمك واسميك على بركت الرب والابن وروح القدس مادموازول جولييت مأيوفة (Madenoiselle Juliette Maioffa)، أهذا يرضيك ويبعد عنك نحس حروف من سلالة الحفاة العراة رعاة الإبل والشاة؟!» (حجيج، ٢٠١٩: ٧٣). إن اللغة ترتبط بالهوية ارتباطا وثيقا، فهي رمز للمجتمع الذي تعبّر عنه وتبرز طريقة أهله في التفكير والتعبير والاستعمار، حاول بكل الطرق مسح الهوية الجزائرية بالقضاء على اللغة العربية والاستعمار اللغوي والثقافي يسعى لتشويه اللغة العربية وهو ما تبنته مدرسة التاريخ في تغييرها لاسم معيوفة بمحو حرف العين الذي يرمز للغة العربية وكذلك التحقير من كل ما ينتمي إلى هذه الثقافة المتدنية، ثقافة الحفاة العراة حسب النظرة العنصرية الفرنسية، فأستاذة التاريخ تحاول تدمير كل ما يربط معيوفة بثقافتها العربية الإسلامية.

وبالرغم من كل هذا الرفض الذي يلقاه كل ما يمثل صورة الجزائر، إلا أن الهوية الجزائرية والاعتزاز بهذه الحضارة الإسلامية بقي راسخا في قلب بطلة الرواية معيوفة، فتحول الاسم من اليسار إلى اليمين يعني أنه سيكتب باللغة الفرنسية وينطق بها، وسيمتلئ شيطان العنصرية ويتخلى عن الروح الإنسانية.

ومن بين الفرنسيين الذين كانت صورتهم عن الجزائر سليمة وغير مشوهة هي أستاذة الأدب لبطلة الرواية معيوفة، فقد شجعتها على حفظ الأشعار المنادية بالحرية: «حفظت أشعار أبي مدين الغوث وحفظت أشعار آنا غريكي وقدمت بحثا عن قصيدتها عن حبها للأطفال في قرية منعة الجوهرة في حضن جبال الأوراس الشماء مهد الثوار وعن بول إلوار في قصيدته عن الحرية، وقصائد لشعراء آخرين متعاطفين من روحهم الإنسانية الحرة مع الثورة التحريرية في الجزائر، وقد شجعتني أستاذة الأدب، ويبدو أنها أيضا متعاطفة مع كل الحركات التحررية في العالم وأخفيت ذلك عن أمي وأبي وأخشى من أحد طلبة محتشد ريفزالت أن يفشي ذلك ويكون على كارثة عليّ» (المصدر نفسه: ٩١)، فأستاذة الأدب التي تنبت الفكر التحرري، لم تكن تمانع من أن طلبتها يحفظون أشعارا لمن تعتبرهم حضارة الأنوار خونة.

وإن كانت رواية (ذاكرة منفى الجنون) التي تجري أحداثها في فرنسا، كانت حرية الأساتذة واضحة في التعبير عن كرههم لكل جزائري، أما في رواية (مهاجر ينتظر الأنصار) يظهر الكره للجزائر مختفيا تحت رداء الثقافة، حين استعمل الأستاذ السربوني شخص كولومبوس (Columbus) لوصف بطل الرواية مراد: «كنت متفوقا على كل الفرنسيين وعلى رأس دفعتي في الدراسات المعمقة. كنت أتخيل نفسي كأنني إمبراطور العلوم في جامعات بقاع الدنيا كلها.. اختارني أستاذي السوربوني المرموق لإنجاز بحث أكاديمي لتحضير أطروحة الدكتوراه الدولة وأكون له كولومبس جزائري واكتشف له قارة غرداية» (المصدر نفسه: ٨٥).

وكريستوفو كولومبس هو أشهر رحالة ينسب إليه اكتشاف القارة الأمريكية، فيفسر المتلقي هذا التشبيه بأن الأستاذ السوربوني يريد أن يحفز مراد ويحثه ليصبح مكتشفا يكتشف قارة سادسة متمثلة في لغز المرأة الميزابية، إلا أن كولومبس يضمر دلالات في شخصه، فهو يعد أكبر مجرم في تاريخ البشرية، فاكتشافه هذا أدى إلى إبادة عراقة حضارية وإنسانية ومجتمعات بأكملها حضارة الهنود الحمر التي تعرضت لحرب تصفية وتنقية عرقية عنصرية، قادتها الجيوش الأوروبية المعتزة بمركزيتها، كما أسس لخطاب يبرر الاستعمار – فحسب رأيه- الأراضي المكتشفة قابلة للاستيطان، لأن سكانها أقل تحضرا مقارنة بالأوروبيين، وهذه التورية الثقافية تبرز لنا هذه العداوة المتجذرة بين الأنا (الجزائري) والآخر (الفرنسي)، فهذا الأوروبي بحثّه لمراد على اكتشاف لغز المرأة الميزابية إنما هو بحث عن خلخلة هذا المجتمع الميزابي المحافظ ومحاولة لإعدام الثقافة الجزائرية وما يتصل بها من فكر عربي إسلامي.

ويطمح هذا الأستاذ السوربوني أن يتشيع مراد بحضارة الأنوار الممجدة للعقل والمناهضة لكل أشكال التدين ويأمل أن يرقص على أنغام بحث مراد، هذا البحث الذي سيخلد في الأذهان كلحن أورفيوس الأسطوري، يقول: «يا مسيو مراد كن لك(أورفيوس) تسحر أسماعنا بصوت بحثك الريان وموسيقاه حق يرقص لك الشجر والحجر، وتتغير مجاري أنهار المعرفة في كل بقاع الدنيا، ولا تتركه للدغات أفاعي الصحراء، فيموت كما ماتت حبيبة أورفيوس بلدغة ثعبان وكن كفلاسفة الأنوار حين رفعوا شعارا خلال الثورة الفرنسية: لتكن لديك الشجاعة على استخدام عقلك وأن ذاك يمكن افتكاك حريتك من وصاية أي كائن من كان..» (المصدر نفسه: ١٥٣).

ويصرح مراد عن حقيقة هذا البحث بقوله: «فرض عليّ أستاذي بعد أخذ وردّ أن أحضر أطروحتي عن المرأة اللغز في المجتمع الميزابي.. هي كلؤلؤة مسجونة في صدفتها. ويجهلها المستشرقون الفرنسيون، فأراد أن يفتح هذا القمم ببحثي» (المصدر نفسه: ١٧)، بحث اقترحه الأستاذ السوربوني ليفتح المجال أمام المستشرقين لبث سمومهم في المجتمع الميزابي الذي وقف صامدا أمام كل محاولات اختراقه. هذا ما يوضح أن الآخر يمتاز بذكاء وخبث في الوقت نفسه، فهو لا يكشف ما يكنّه من مشاعر حقيقية داخله اتجاه الأنا وإنما يتوارى خلف عباءة العلم وحضارة الأنوار.

٣-٣. صورة الأديب

كانت آراء الأدباء مختلفة بين دعم الجزائريين والثورة والحرية وبين من فضلوا أن يختاروا أوطانهم رغم كل شيء، ومن بينهم «ألبير كامو، فهو جوهر الأدب الفرنسي ومفخرته.. أليس هو الذي لا يرى الجزائر إلا من غواني فرنسا التي ورثت نقاء دمائها من جدودنا الرومان؟ لا وجود لحضارة عتيقة قائمة في الجزائر غير حضارة أجدادنا الرومان والبيزينطيين، ولا وجود للتخلف فيها غير تخلف العرب الحفاة العراة. لا يمكن التفريط في الجزائر فزواجها الفرنسي كاثوليكي، ولا يمكن لها الطلاق للتزوج على الرغم من أنفها بالإرهاب الأعمى الذي تمارسه جبهة التحرير المصنوعة من مخابرات الأمبريالية العربية الغارقة

في التخلف والوحشية، وهم من سلالة إرهاب السيوف وقطع الرؤوس الذي يخفونه بمهارة السحرة ويسمونه فتوحات إسلامية» (حجيج، ٢٠١٩: ١٢٦). فحضارة الجزائر حسب كامو هي ما تركه الرومان، والتخلف كل ما تعلق بالعرب ووجوههم، فالفرنسيون نظرتهم للجزائر دونية، ولكنهم يرفضون أن تعيش الجزائر حرة، ويدعون أن الحضارة لكل ما هو فرنسي، أما التخلف والفساد متجذر في كل ما هو جزائري وبالرغم من عيشه بالجزائر إلا أنه اختار فرنسا.

فكامو قد تخلى عن كل قيم الحرية والعدالة وقال مقولته الشهيرة: «سأدافع عن أمي قبل أن أدافع عن العدالة» (بودربالة، د.ت: ١٧) في حفل استلام جائزة نوبل للأدب عام ١٩٥٨، وهذا يعني أنه يضع فرنسا فوق كل اعتبار ويدافع عن مصالحها وحضارتها بما يكتبه ويبدعه.

والصورة المتعالية للفرنسيين والكره المتجذر للجزائر حطمه الأديب والفيلسوف جون بول سارتر بكتابه (عارنا في الجزائر)، فقد فضح من خلاله جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر، أمضى بيان ١٢١ المؤيد للثورة الجزائرية واستقلال الجزائر وكانت مواقفه صريحة وواضحة على مستوى النصوص والكتابات وكذلك بالمواقف والمظاهرات التي قادها في باريس.

وسارتر بمواقفه الصامدة أثر في غيره من الأوروبيين وأسهم في نشر الوعي وتدويل القضية الجزائرية: «أليس سارتر هو من وراء تحريك عبقرية بيكاسو في الفن باسم الإنسانية والذي فضحنا في العالم بلوحته التي جابت معارض العالم دفاعا عن جميلة بوباشة التي حكم عليها بالإعدام بالمقصلة، لفصل رأسها عن جسدها المحشو بالحقد على فرنسا؟ أليست تلك التافهة القندس سيمون دي بوفوار وجيزيل حليمي تستحقان الحرق على نار، تلتهم جسميهما عضوا عضوا جزاء خيانتهما؟» (حجيج، ٢٠١٩: ١٢٥)، ففرنسا كانت تمارس التعتيم الإعلامي حول القضية الجزائرية وتخشى من التعاطف الدولي مع الجزائر التي وصفت شعبها بالهمجية وحين أصدرت المحامية جيزيل حليمي كتابا بالاشتراك مع الفيلسوفة الفرنسية سيمون دي بوفوار تشيد فيه بكفاح ومقاومة وشجاعة جميلة بوباشا، وتعرضها لكل ألوان البطش والتعذيب من طرف الاستعمار الفرنسي، يتضمن غلاف الكتاب لوحة شهيرة للمناضلة الجزائرية الكبيرة رسمها الفنان العالمي بيكاسو، جعلت كل العالم يرى همجية ووحشية الاستعمار الفرنسي وتدليسه للحقائق لربط الهمجية بالثوار المدافعين عن حقهم في الاستقلال والحرية.

وسارتر المتشبع بالفلسفة الماركسية وحق الشعوب في التحرر كان يرى أن الصمت على جرائم الاستعمار هو جريمة أخرى، ولكن أصحاب النظرة المشبعة بالإرث اليوناني ترى أنه «لا عدو للحضارات الإنسانية العظيمة إلا الفلسفة الماركسية والوجودية وهما وجهان للفوضى. هذه تبشر بتقسيم الثروة على الفئران والجرذان وتلك تبشر بتقسيم الحرية على الأفاعي والذئاب.كان سارتر يفتخر بلباس جلباب راهب الإلحاد التائه في متاهات كهوف الوجود الأسطوري المزعوم المزخرف بألوان لا حدود فيه للحريات الحيوانية المتمردة لتحطيم آلهة أصنام الماهية الصماء بحسب زعم صاحبها الأعمى، ويدعي بأنه فيلسوف الإنسانية المبشر بعالم أبهى وأحلى. وما يحزّ في قلبي أكثر خيانة: فرانز فانون ومحامي الثعابين جاك فيرجاس اللذين لم يجدا احتضانا إلا في دولتنا، فكانا يأكلان بيدٍ من خيراتنا وينعمان بحريات دولتنا ويخونان باليد الأخرى» (المصدر نفسه: ١٢٥).

فسارتر دافع بكل ما يملك من قوة عن القضية الجزائرية، وقد تجلت مواقفه الواضحة أيضا، عندما وقَّع مقدمة الكتاب الشهير (معذبو الأرض) لفرانز فانون، مثمنا ما جاء في الكتاب ومشجعا لنصوص تفضح سياسات الاستعمار وفانون الطبيب والفيلسوف الاجتماعي، صاحب فكر التحرر ضد العنصرية الاستعمارية، وهو فرنسي ولكنه استطاع أن يكون مع الثورة

الجزائرية ومع الكفاح الجزائري ضد المستعمر، وقد اختار أن يكون جزائريا، ودفن مع أحرار الجزائر والمحامي جاك فيرجاس الذي رأى في الجزائريين أصحاب حق، ودافع عن مسلحي جبهة التحرير الوطني.

أما رونية قوته فلقب بصديق الثورة الجزائرية، وذلك لأنه قام بتصوير معاناة الجزائريين إبان الاستعمار، لكن فيلم (ساقية سيدي يوسف) الذي تعاون على إنجازه مع ألبير أليموم بطلب من فرانس فانون، وهو الفيلم الذي يستعرض الجريمة التي اقترفها الاستعمار في حق سكان قرية ساقية سيدي يوسف، الواقعة على الحدود الجزائرية التونسية كشهادة حية على وحشية الاستعمار متسببا في إثارة الرأي العام العالمي ضد فرنسا، ما جعل كل المؤيدين للاحتلال الفرنسي يرونها من الخونة: «وأما رونية قوته وألبير أليمون فهما جروان من كلاب سوء، مسخا الفن السابع ليجعلا منه كلبا متشردا جائعا، يدور في مزابل التخلف، ويحاول إقناع أصحاب الفكر المتنور في فيلمه السخيف (الجزائر أمة)، ولم يندم بأنه ارتكب فاحشة سينمائية وفيلمهما ساقية سيدي يوسف، وهما يتعاطفان فيه مع الذئاب التي لا دواء لشرها غير الإبادة وفيلمه الجنوني جيش التحرير وهل من عاقل يصدق بتغليف الإجرام بالحرية؟ وفيلمه العبثي (الجزائر تلتهب) ومن يتجرأ على إشعال النار في كل شيء إلا المجانين أو المجرمون» (المصدر نفسه: ١٢٦). فهذه الصورة التي قمتها السينما الفرنسية عن القضية الجزائرية ووحشية الاستعمار، حركت الرأي العام في مختلف أرجاء العالم وحصدت فرنسا من هذه الحركة السينمائية إدانة المجتمع الدولي.

وأسهم العديد من الشعراء والأدباء الفرنسيين في كتاباتهم وتبنوا القضية الجزائرية، «هؤلاء الشعراء والمفكرون والأدباء هم جان بول سارتر وما كتبه في الأزمنة الحديثة عن (حاملي الحقائب) وهم شبكة الدعم المباشر للثورة التحريرية الجزائرية، وكتاب جان جينيه (الحجب)، وكتاب بيار غيوتا (قبر لخمسمائة ألف جندي) ومادلين ريفو التي عانت من العذاب النازيين واغتالها منظمة الجيش السري لمواقفها من الثورة الجزائرية ومساندتها لاستقلال الجزائر، ومن الشعراء الذين كانوا ضد الحرب في الجزائر وقصائدهم منشورة في مجلة عمل الشعرية» (المصدر نفسه: ٩١-٩٢).

كل هؤلاء الأدباء دافعوا عن حق الجزائر في الاستقلال، ولكن رواية (ذاكرة منفى الجنون) ركزت على الشاعرة العظيمة آنا غريكي التي سكنت الجزائر وتغنت بأشعارها بالثورة الجزائرية: «نامت آنا غريكي قريرة العين بهدهدة الأشعار لثورة الأطفال وتسللت أنوار الأقمار خجولة هادئة لتبوح لها بفاجعة ترشح كل الثوار لمن يلفظهم التاريخ كالبحر، حين يرمي خارجه كل من يعكره بتبقى مياهه صافية نقية إلى الأبد.. كانت آنا غريكي تردد: أخشى أن ينخدع أحبابي الثائرون في آخر نفس الثورة ولكن حلم الثورة لن يبرح أي ذاكرة ذاقت من فاكهتها اللذيذة التي لا مثيل لها، حتى ولو أثخنت بالجراح، بل ستبقى شجرتها تزهر وتفوح بروائحها الطيبة في الروح ليشقى الجسد ويتمنى أن تنفصل روحه عنه» (المصدر نفسه: ١٤٣)، فآنا غريكي عاشت بالجزائر، وأصبحت جزائرية العشق والهوى، وأسهمت بأشعارها في بث العزيمة والأمل في النفوس الحرة، لكن خوفها كان من الغدر الذي قد يفتك بالثورة ويحلم الاستقلال أواخر الثورة، ولكن ذلك تحول واقعا بعد خيانة حبيبها الشيخ علاوة الذي في آخر نفس للثورة خانها، وغدر بالثوار أولا، وأنهى قصة حبه لآنا بقصة خيانة، وظلت تلك الخيانة غصة تنخص عليه حياته البائسة في محتشد العذاب محتشد ريفزالت، «كان شيخي علاوة سيد المنبوذين وإمامهم والمزع للبركات على أولادهم والكرامات على نسائهم وحفار قبورهم وقراءة سورة (يس) لتحرير أرواحهم من أجسادهم.. كان لا شوق له إلا بسماع صوت الشيخ حمدان من رسائله تذكره بروحانياته الثورية المغتالة بخيانته في آخر لحظة من عمر الثورة والتي مازالت غصة في حلقه وخيانة العهد بينه وبين حبيبته آنا نور التي مازالت تزف له تحايا الثوار معطرة من نسمات جبال منعته المعطرة مع كل شروق شمس وغروبها إلى آخر رمق لها في ٦ يناير ١٩٦٦ في الجزائر البيضاء» (المصدر نفسه: ١٠٠).

النتيجة

ومن خلال ما مرّ، توصلت الدراسة إلى ما يلي:

١. فاعتمد حجيج في تصويره للآخر الفرنسي على عدة صراعات: منها الصراع الحضاري القائم بين الغرب والشرق والنظرة الاستعلائية التي يتميز بها الغرب، حيث يعد نفسها صاحب حضارة عريقة كبرى، وسعى إلى تدمير الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر وهدم الإنسان الجزائري نفسيا، حتى لا يتمكن من المقاومة والاستسلام لحضارة الأنوار. والصراع القائم بين الهوية الجزائرية والفرنسية التي يحاول الاستعمار بمسحها، وذلك بالاعتماد على القضاء على اللغة العربية والاستعمار اللغوي، والصراع القائم بين الأدباء الفرنسيين المتحمسين لمصالح فرنسا وحقوق شعبهم والمتحمسين لتحرر الجزائر والمناهضة لجرائم الاستعمار الفرنسي.

٢. صورة الضابط الفرنسي في رواية (الليالي حبلى بالأقمار) ذات نظرة استعلائية، تحس بالتفوق على الجزائريين، وأما في رواية (معزوفات العبور) فتوجد صورتان: صورة تتميز بالعنف والقسوة، تتلذذ بممارسة فعل التعذيب على المساجين، وصورة تتميز بالشفقة على المساجين وليست على مستوى شخصية ضباط آخرين قساوة، حيث يعطونهم بعضا من الحرية فيما يتعلق بشؤونهم.

٣. صورة الأستاذ في رواية (ذاكرة منفى الجنون) ذات نمطين: سلبية، حيث تحاول تدمير كل ما يتعلق بالهوية الجزائرية الإسلامية، وكذلك في رواية (مهاجر ينتظر الأنصار)، حيث يحاول لتحطيم كل ما يتعلق بالثقافة الجزائرية وإيجابية، حيث تدعم كل الحركات على مستوى الدفاع عن الحرية والاستقلال الجزائري.

٤. صورة الأديب في رواية (ذاكرة منفى الجنون) ذات نمطين: ينظر كامو نظرة دونية إلى الجزائر، فحضارة الجزائر حسب كامو هي ما تركه الرومان، والتخلف كل ما تعلق بالعرب ووجوههم، بينما سارتر في نفس الرواية، يدافع بكل ما يملك من قوة عن القضية الجزائرية، ويفضح جرائم الاستعمار الفرنسي، ويندد الصمت عليها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. البرزي، دلال (٢٠٠٠). **الآخر: المفارقة الضرورية**، ط١، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

٢. الجابري، محمد العابد (٢٠٠٩). **الإسلام والغرب: الأنا والآخر**، القاهرة: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

٣. حمود، ماجدة (٢٠٠٠). **مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن**، بيروت: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

٤. ذونيخ، سعد فهم (٢٠٠٩). **صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى العصر العباسي**، إربد: عالم الكتب الحديث.

٥. الرويلي، ميجان والبازغي، سعد (٢٠٠٢). **دليل الناقد الأدبي**، ط٣، بيروت: المركز الثقافي العربي.

٦. عبيد، محمد صابر (٢٠١٢). **جماليات التشكيل الروائي**، الأردن: عالم الكتب الحديث.

٧. كاظم، نادر (٢٠٠٤). **تمثيلات الآخر (صورة السود في المتخيل العربي في العصر الوسيط)**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٨. الكنز، علي (١٩٩٣). **الآخرية والتراث**، تونس: منشورات الجمعية.

٩. معمر، حجيج (٢٠١٦). **معزوفات العبور**، باتنة، الجزائر: دار قانة للنشر والتوزيع.
١٠. _____ (٢٠١٦). **مهاجر ينتظر الأنصار**، باتنة، الجزائر: دار قانة للنشر والتوزيع.
١١. _____ (٢٠١٨). **الليالي حبلى بالأقمار**، الجزائر: دار المثقف للنشر والتوزيع.
١٢. _____ (٢٠١٩). **ذاكرة منفى الجنون**، باتنة، الجزائر: دار قانة للنشر والتوزيع.
١٣. أميرة، كتال ومحمد، زرمان (٢٠٢١). «شعرية السرد في رواية ذاكرة منفى الجنون لمعمر حجيج»، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد ١٣، العدد ١، صص ٢٣٣٩- ٢٣٥٨.
١٤. بودر بالة، الطيب (د.ت). «صورة الجزائر في الرواية الفرنسية»، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، المجلد٢، العدد٢، صص ٦-١٩.
١٥. شريف، موسى عبد القادر. (٢٠١٠). «صورة الآخر الفرنسي في الرواية الجزائرية: ما لا تذروه الرياح أنموذجا»، حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد٤، المجلد١، صص ١-٢٦.
١٦. شفيري، فتيحة (٢٠١٣). «الأنا والآخر في الرواية الجزائرية»، مجلة الآداب واللغات، العدد١، المجلد ٤، صص ١٤١- ١٦٢.
١٧. شهيناز، بوصبع، ومنصوري، نجوى (٢٠٢٢). «المضمر الثقافي في رواية مهاجر ينتظر الأنصار لمعمر حجيج (الحدود و التمثلات)» مجلة آفاق علمية، المجلد ١٤، العدد ١، صص ٣٨٢- ٣٩٧.
١٨. عيسى، قدور والسعدي، إسماعيل (٢٠٢١). «تمثلات الأنساق الثقافية في الرواية الجزائرية: مهاجر ينتظر الأنصار لمعمر حجيج أنموذجا»، حوليات الآداب واللغات، المجلد ٩، العدد ١، صص ١٥٦- ١٧٢.
١٩. فتحي دهكردي، صادق وحسيني، سكينة (١٤٤٣). «التحليل السيميائي للشخصيات في شعر محمد الفيتوري المقاوم»، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد١٣، صص ٥١-٧٢. doi:10.22067/jallv13.i1.65995
٢٠. قبول، إحسان وعبدالله راد مرد وزهرا شريعت پناه (١٤٠٠). «تصويرشناسى ايرانيان در شهرهاى شرقى و غربى ايران در سفرنامه ابن بطوطه»، مجلة اللغة العربية وآدابها ، العدد ٢، المجلد ١٣، صص ٢٢-٤٤.
Doi:10.22067/jall.v13.i2.84508
٢١. مرج، نادية (٢٠٢١) الأنثروبولوجيا الثقافية في الرواية الجزائرية، (الليالي حبلى بالأقمار ومعزوفات العبور) لمعمر حجيج أنموذجا. المجلة الأردنية الدولية أريام للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٣، عدد خاص من الدورية الدولية الثانية، صص ٧٢٤-٧٣٥.
٢٢. ملاوي، محفوظ وعلي، كرباع (٢٠٢٢). «جينيالوجيا الأنساق الثقافية في الرواية الجزائرية المعاصرة وتمثلاتها على مستوى المضامين: رواية الليالي حبلى بالأقمار أنموذجا»، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد٥، العدد ٥، صص ٢٤٠-٢٥٠.
٢٣. بوحلايس، سلاف (٢٠٠٨). صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد العماري، شهادة الماجستير، باتنة: جامعة الحاج لخضر.
٢٤. مير قادري، أعظم السادات (٢٠١٢). الأنا و الآخر في رواية سهرة تنكرية للموتى لغادة السمان، رسالة الماجستير، جامعة الزهراء.

Refrences

The Holy Quran

Al-Barzi, D (2000). *The Other: The Necessary Paradox*, 1st edition, Beirut: Center for Arab Unity Studies.[In Arabic].

Al-Jaberi, M. A (2009). *Islam and the West, I and the Other*, Cairo: Arab Network for Research and Publishing. [In Arabic].

Dhunikh, S. F (2009). *The image of the other in Arabic poetry from the Umayyad era until the Abbasid era*, Irbid: Modern World of Books. [In Arabic].

Al-Ruwaili, M & Al-Bazghi, S (2002). *The Literary Critic's Guide*, 3rd edition, Beirut - Lebanon: Arab Cultural Center. [In Arabic].

Obaid, M. S (2012). *Aesthetics of narrative composition*, Jordan: The Modern World of Books. [In Arabic].

Kazem, N (2004**).** *Representations of the Other (The Image of Blacks in the Arab Imaginary in the Middle Ages***)**, Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing. [In Arabic].

Al-Kanz, A (1993). *Otherness and Heritage*, Tunisia: Society Publications. [In Arabic].

Muammar. H (2016). *Transit songs*, Batena, Algeria: Dar Qana for Publishing and Distribution. [In Arabic].

_____(2016). *An immigrant waits for the helpers*, Batena, Algeria: Dar Qana for Publishing and Distribution. [In Arabic].

_____(2018). *The nights are pregnant with moons*, Algeria: Dar Al-Muthaqaf for Publishing and Distribution. [In Arabic].

_____(2019). *Memory of the exile of madness*, Baetna, Algeria: Dar Qana for Publishing and Distribution. [In Arabic].

Hammoud, M (2000). *Applied Approaches in Comparative Literature*, Beirut: Arab Writers Union Publications. [In Arabic].

Amira, K & Muhammad, Z (2021). "The Poetics of Narrative in the Novel Memory of the exile of madness by Muammar Hajij," *Journal of Arabic Language Sciences and Literature*, 13(1), 2339-2358.

Bohlais, S (2008). *The image of the ego and the end in the poetry of Mustafa Muhammad Al-Amari, Master's certificate*, Batna: Al-Hajj Lakhdar University. [In Arabic].

Mir Qaderi, A (2012). *Al-Ana and Al-Alkher" in the novel "Sahrah Tankariyah for Death" by Laghada Al-Saman, Risalat* Al-Majasrat, Al-Zahra University. [In Arabic].

Bouder .B (n.d). "The Image of Algeria in the French Novel," *Journal of Arabic Language and Literature*, University of Shahid Hamma Lakhdar Alwadi, vol. 2, no. 2. [In Arabic].

Sharif, M.A (2010). "The image of the French other in the Algerian novel "What the wind does not blow away" as a model," *Annals of the Guelma University of Social and Human Sciences*, 1(4), 1-26.[In Arabic].

Shafiri, F (2013). "The Ego and the Other in the Algerian Novel*," Journal of Arts and Languages*, 4(1), 141-162.[In Arabic].

Shahinaz, Bou Saba and Najwa, Mansouri (2022). “The Cultural Content in the Novel “An immigrant waits for the helpers” by Muammar Hajij (Borders and Representations)” *Afaq Scientific Magazine*, 1(14), 382-397.[In Arabic].

Jesus, Q & Al-Saadi, E (2021). “Representations of Cultural Patterns in the Algerian Novel: An immigrant waits for the helpers by Muammar Hajej as a Model,” *Annals of Literature and Languages*, 9(1), 156-172.[In Arabic].

Fathi Dehkordi, S & Hosseini, S (2022). “Semiotic Analysis of Characters in the Resistant Poetry of Muhammad al-Fitouri,” *Journal of Arabic Language and Literature*, 13(1), 51-72.[In Arabic]. doi:10.22067/jallv13.i1.65995

Ghabool, E & Abdullah Rad Mard & Zahra Shariat panah (2021). "Imagination of Iranians in the eastern and western cities of Iran in Ibn Battuta's travel book", *Arabic language and literature magazine*,13(2).22-44. [In Persian].
Doi:10.22067/jall.v13.i2.84508

Marj, N (2021). Cultural Anthropology in the Algerian Novel, (The nights are pregnant with moons & Transit songs) by Muammar Hajeij is a model. *Jordanian International Journal of Humanities and Social Sciences*, Volume 3, Special Issue of the Second International Journal, pp. 724-735. [In Arabic].

Malawi, M & Ali, K (2022). “The genealogy of cultural patterns in the contemporary Algerian novel and its representations at the level of content: the novel The nights are pregnant with moons as an example,” *Al-Qare Journal for Literary, Critical, and Linguistic Studies*, 5(5). 240-250. [In Arabic].

Print ISSN: 2008 - 7217
Online ISSN: 2383 - 2681
Journal of Arabic Language & Literature
www.jall.um.ac.ir

Journal of Arabic Language & Literature, Vol. 16, No.1 Serial Number. 36 Page:6

Reading the Image of the French Other Between the Negative and Positive Patterns in the Algerian Novel (Muammar Hajij's Novels are an Example)

Doi: 10.22067/jallv16.i1. 2402-1385

Dana Talebpour[6]
PhD Graduated in Arabic Language and Literature, University of Tehran, Tehran, Iran.

Salah Najmuddin Amin Majid
Lecturer Department of Arabic Language and Literature, Kirkuk University, Kirkuk, Iraq.

Received: 6 March 2024 ▌Received in revised form: 9 April 2024 ▌Accepted: 24 June 2024

Abstract

The dualism of the ego and the other is one of the most important topics of comparative literature, as this dialectical dualism refers mostly to class and civilizational conflict. To define the concept of the ego, there must be an ego/central ego through which we measure that other and recognize him. The other means another person or a different group. The other is the being that is different from the ego, and it is a relative and moving concept, because the other is only determined by comparison to a central point, which is the ego. The other is a reflection of the ego, and the Algerian novel is filled with the image of the French other, who remained stuck in the minds of the Algerians and was embodied in their writings despite independence. Therefore, this attempt seeks, through the descriptive-analytical approach, to study the most important things that Muammar Hojeij adopted in his depiction of the French other in his novels and to highlight the patterns of this other between negativity and positivity through his depiction of French characters. The results indicate that Hajej relied in his portrayal of the French other on several conflicts: including the civilizational conflict existing between the West and the East, the conflict existing between the Algerian and French identity, which colonialism is trying to erase, and the existing conflict between French writers who are passionate about France's interests and the rights of their people, who are enthusiastic about the liberation of Algeria, and who oppose the crimes of French colonialism. The Frenchman and the images of the French other in the novels are of two types: negative and positive. The image of the French officer has a superior look and is characterized by violence and cruelty, and an image characterized by pity for the prisoners and sympathy for them. The same goes for the image of the professor, which is of two types: negative. It tries to destroy everything related to the Algerian Islamic identity, Algerian culture, and positivity, as it supports all movements at the level of defending Algerian freedom and independence, as well as with regard to the image of the writer, as Camus looks down on Algeria. Algeria's civilization, according to Camus, is what the Romans left behind and backwardness is all that is attached. With the Arabs and their faces, while Sartre, in the same novel, defends the Algerian cause with all his might, exposes the crimes of French colonialism, and denounces the silence on them.

Keywords: Comparative literature, the Algerian novel, the French other, the ego, Muammar Hajij.

[6] - Corresponding Author. Email: d.talebpour@ut.ac.ir

Print ISSN: 2008 - 7217
Online ISSN: 2383 - 2681
Journal of Arabic Language & Literature
www.jall.um.ac.ir

Quranic Phenomenon in Modern Iraqi Poetry (Mahdi Al-Nahiri as an Example)

Doi:10.22067/jallv16.i1. 2212-1221

Abdul -Amir Deli Mejbas
PhD Candidate, Department of Arabic Language & Literature, Faculty of Letters and Humanities, Ferdowsi University of Mashhad, Mashhad, Iran.

Ahmadreza Heidaryan Shahri[5]
Associate Professor Department of Arabic Language & Literature, Faculty of Letters and Humanities, Ferdowsi University of Mashhad, Mashhad, Iran.

Yahya Hassan Khudair
Assistant Professor Department of Arabic Language & Literature, Faculty of Letters and Humanities, University of Thi Qar, Iraq.

Received: 18 January 2024 ▌Received in revised form: 8 March 2024 ▌Accepted: 16 May 2024

Abstract

The Quranic text represents one of the means through which the Creator expresses His creativity and shapes His messages, reflecting visions and patterns in accordance with the context of the Holy Quran. Given the significant and sacred role of the Holy Quran in human life, particularly for Muslims, many creators, especially poets, are drawn to narrate from this sacred text to enhance their works with realism and aesthetic depth. This topic highlights the profound interaction between the Quran and poetic expression. This research aims to illuminate the aesthetic and artistic value of Quranic references in contemporary Iraqi poetic discourse through the poetry of Mahdi Al-Nurairi. It seeks to reveal Al-Nurairi's use of Quranic techniques while pursuing valuable insights. The researcher employed a descriptive analytical approach to analyze and compare phenomena in detail, examining texts that exhibit either explicit or subtle manifestations of Quranic influence or its connotations. The analysis explains how these elements enhance the poetic text. The research yielded several key findings, notably that Al-Nurairi's poetry employs Quranic texts as a means of aesthetic depiction. He skillfully integrates these sacred texts into his work, utilizing his talent and poetic abilities to realize his artistic vision. As a result, his poetry is rich with various forms of Quranic influence that significantly contribute to its aesthetic appeal—an endeavor that Mahdi Al-Nurairi has successfully pursued throughout his poetic expression.

Keywords: The Qur'anic Compatibility, Poetry, Mahdi Al-Nuhairi.

[5] - Corresponding Author. Email: heidaryan@um.ac.ir

Print ISSN: 2008 - 7217
Online ISSN: 2383 - 2681
Journal of Arabic Language & Literature
www.jall.um.ac.ir

Journal of Arabic Language & Literature, Vol. 16, No.1 Serial Number. 36 Page:4

The Working Woman in Khawla Hamdy's Novels (The Novel Youth Dreams... Diary of a Muslim Girl, To Stay, Jasmine's is back as a Model)

Doi: 10.22067/jallv16.i1. 2401-1369

Mahmood Abdanan Mahdizadeh[4]
Professor in Arabic Language and Literature, Shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz, Iran.

Hasan Dadkhah Tehrani
Professor in Arabic Language and Literature, Shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz, Iran.

Narjes Hashemi
PhD Candidate in Arabic Language and Literature, Shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz, Iran.

Received:14 January 2024 ▌Received in revised form: 7 March 2024 ▌Accepted: 8 May 2024

Abstract

Women are the foundation of every nation and civilization, holding a status and image that is as sacred as that of men. They are the birthplace of humanity and the originators of its generations, especially when their cause is linked to literature. Women serve as indispensable icons, particularly in Arabic literature. In the Arabic novel, women have a prominent presence and are central to how writers portray their ideas and perceptions. They represent an intellectual starting point for exploring various concerns, social and economic realities, and humanitarian issues. Consequently, women's issues have been a significant focus for Tunisian novelist Khawla Hamdy. This research aims to illuminate different aspects of working women's lives and their living conditions in Hamdy's novels. It seeks to clarify Hamdy's vision regarding working women in various contexts while showcasing her skill through character descriptions and analyses of imagined events. The study also aims to present the situation faced by Arab working women in society using a descriptive-analytical approach. Our findings indicate that women have successfully asserted their creative influence in Tunisian thought and literature. In her novels, Hamdy portrays working women as self-confident individuals who understand their rights. Their struggles to balance family responsibilities with professional tasks are evident, along with their dedication to their work.

Keywords: Arabic Novel, Image, Woman, Khawla Hamdy.

[4]- Corresponding Author. Email: abdanan@scu.ac.ir

Print ISSN: 2008 - 7217
Online ISSN: 2383 - 2681
Journal of Arabic Language & Literature
www.jall.um.ac.ir

Functions of the Village in Mohammad Afifi Matar's Poem, Narrative Study in His Complete Poetry Collections

Doi: 10.22067/jallv16.i1.75648

Shahriar Hemmati
Associate Professor of Arabic Language and Literature, Razi University, Kermansha, Iran.

Hamed Poorheshmati [3]
Visiting Professor of Arabic Language and Literature, University of Guilan, Guilan, Iran.

Received: 6 January 2024 ▌Received in revised form: 15 March 2024 ▌Accepted: 12 May 2024

Abstract

The village holds a significant place in contemporary narrative discourse, showcasing its narrative essence through ballads and vivid imagery. Utilizing various conceptual connotations, the village adapts its functions based on the poet's interactions and his reliance on themes that relate either realistically or dreamily to this setting. Mohammad Afifi Matar, a prominent Egyptian poet, perceives the village as an open space rich in narrative mechanisms and characteristics, emphasizing its importance through scenes from his hometown and the needs of its inhabitants. His poetry introduces readers to a series of real or imagined events, inviting them to engage more deeply with the narrative process. This research employs a descriptive-analytical method to explore the portrayal of the village in Matar's poetry. The findings suggest that the poet serves as a wise narrator with a significant presence in shaping these narratives. His depiction of the village encompasses three main aspects: nostalgia for his childhood and past; an optimistic image characterized by natural beauty and abundance; and a darker tragedy linked to the village's social and environmental challenges, manifesting in drought, poverty, and hunger among its residents.

Keywords: Contemporary Egyptian poetry, Narrative, Village, Mohammad Afifi Matar.

[3] -Corresponding Author. Email: poorheshmati@gmail.com

Print ISSN: 2008 - 7217
Online ISSN: 2383 - 2681
Journal of Arabic Language & Literature
www.jall.um.ac.ir

Manifestations of Social Conflict in the Novel "Adrakaha Al-Nesian" by Sanaa Shaalan. Based on Lewis Coser's Theory

Doi: 10.22067/jallv16.i1.2312-1354

Yousef Mottaqiannia
PhD Student Department of Arabic Language and Literature. Shahid Chamran University of Ahvaz. Ahvaz. Iran.

Abdolvahid Navidi[2]
Assistant Professor Department of Arabic Language and Literature. Shahid Chamran University of Ahvaz. Ahvaz. Iran.

Received: 18 December 2023 ▌Received in revised form: 24 January 2024 ▌Accepted: 20 May 2024

Abstract

Many researchers and sociologists have sought to investigate social conflict, its phenomena, and its effects on human society. Coser, influenced by Marxist thought, emphasized that social conflict arises when incompatible goals—whether tangible or intangible—collide. Given the deep-rooted and consistent relationship between literature and society, literature is shaped by its social context. It can be said that every literary text represents a social experience and serves as a tool for evaluating society, which is responsible for identifying social confrontations and potentially preventing them. This novel addresses the concerns of orphans, the homeless poor, and societal reformers, portraying their tragedies and conflicts with society and those in power. Consequently, the researchers decided to employ a descriptive analytical method based on Coser's theory. Their goal is to analyze the conflicting representations within the text and their role in shaping social and ideological relations as well as the discourse governing the novel. The motivation behind this research stems from the belief that studying literature—especially novels—from a sociological perspective provides a new and accurate lens for analysis. One of the key findings of this research is that various types of contrasts exist in the text according to Coser's theory, with power playing a decisive role in real conflict. When the two protagonists realize they are distant from political decisions that affect their lives and have no stake in them, their tension with authorities intensifies, rendering their conflict increasingly unrealistic. Internal conflict also manifests through conflicting goals and beliefs within society, where self-interest becomes the primary objective.

Keywords: "Social Conflict". "The Fall". " Lewis Coser ". "Sanaa Shaalan". "The Novel " Adraka ha Al-Nasian"

[2] - Corresponding Author. Email: a.v.navidi@scu.ac.ir

Print ISSN: 2008 - 7217
Online ISSN: 2383 - 2681
Journal of Arabic Language & Literature
www.jall.um.ac.ir

Journal of Arabic Language & Literature, Vol. 16, No.1 Serial Number. 36 Page:1

Reflection of the Woman in Poetry of Abū al-ʿAlāʾ al-Maʿarrī and Khāqāni Shervani From the Perspective of Comparative Literature

Doi: 10.22067/jallv16.i1.54775

Sayyed Mehdi Masboogh[1]
Professor of Arabic Language and Literature, Bu- Ali Sina University, Hamedan, Iran.

Rasoul Fathi Mozaffari
PhD in Arabic Language and Literature, Bu- Ali Sina University, Hamedan, Iran.

Javad Mohammadzadeh
Assistant Professor of Arabic Language and Literature, Mazandaran University, Babolsar, Iran.

Received: 2 December 2023 ▌Received in revised form: 18 February 2024 ▌ Accepted: 12 April 2024

Abstract

This article examines the views of two poets, Abū al-ʿAlāʾ al-Maʿarrī and Khāqāni Shervani, towards women. Abū al-ʿAlā was a blind poet known for his pessimism, which led to his anger towards material life and its people, particularly women. In contrast, Khāqāni, a Persian poet recognized for the complexity of his lyrics and hidden meanings, is also noted for his pessimism; some researchers consider him one of the most pessimistic Persian poets regarding women. The issue of women occupies a central place in the poetry of both poets. Despite their negative views, they attribute significant positive roles to women, especially as mothers, elevating them from a state of inferiority to one filled with passion, love, and sublime spiritual feelings. This article aims to reveal the portrayal of women in the poetry of Al-Maʿarrī and Khaqani. This distinctive topic is central to their work and has been explored through a descriptive-analytical approach. The article follows the American School of Comparative Literature, seeking to identify similarities and differences in how both poets view women as mothers, daughters, wives, and lovers. It highlights the private and public motivations that have shaped their often hostile perspectives towards women. The conclusion suggests that both poets do not harbor hostility towards mothers; rather, they see them as sanctuaries providing comfort. However, regarding daughters, both express relief at their burial or death, albeit for different reasons. Overall, the lyrical themes in both poets' works are somewhat limited by their reliance on traditional meanings. The poetic landscape during their time did not allow for new interpretations; however, Khāqāni appears to have drawn more from lyrical meanings compared to Al-Maʿarrī.

Key words: Maʿarrī, Khāqāni, wife, mother, daughter, beloved.

[1]- Corresponding Author. Email: smm@basu.ac.ir

Table of Contents

		pages
Reflection of the Woman in Poetry of Abū al-ʿAlāʾ al-Maʿarrī and Khāqāni Shervani From the Perspective of Comparative Literature	Sayyed Mehdi Masboogh Rasoul Fathi Mozaffari Javad Mohammadzadeh	**1**
Manifestations of Social Conflict in the Novel "Adrakaha Al-Nesian" by Sanaa Shaalan. Based on Lewis Coser's Theory	Yousef Mottaqiannia Abdolvahid Navidi	**2**
Functions of the Village in Mohammad Afifi Matar's Poem, Narrative Study in His Complete Poetry Collections	Shahriar Hemmati Hamed Poorheshmati	**3**
The Working Woman in Khawla Hamdy's Novels (The Novel Youth Dreams... Diary of a Muslim Girl, To Stay, Jasmine's is back as a Model)	Mahmood Abdanan Mahdizadeh Hasan Dadkhah Tehrani Narjes Hashemi	**4**
Quranic Phenomenon in Modern Iraqi Poetry (Mahdi Al-Nahiri as an Example)	Abdul -Amir Deli Mejbas Ahmadreza Heidaryan Shahri Yahya Hassan Khudair	**5**
Reading the Image of the French Other Between the Negative and Positive Patterns in the Algerian Novel (Muammar Hajij's Novels are an Example)	Dana Talebpour Salah Najmuddin Amin Majid	**6**

EXTENDED ABSTRACTS

In The Name Of God

Jornal of Arabic Language & Literature

Vol.16, No.1, winter 2024
Serial Number 36/1/193

License Holder:
Ferdowsi University of Mashhad

Managing Director:
Dr. Sayyed Hosain Sayyedi

Editor-in-Chief:
Dr. Sayyed Hosain Sayyedi

Editorial Board:

Dr. Abbas Eghbali
Kashan University-Iran

Dr. Abolhasan Amin Moghaddasi
Tehran University-Iran

Dr. Ahmadreza Heidaryan Shahri
Ferdowsi University of Mashhad-Iran

Dr. Mohammad Khaghani Esfahani
University of Isfahan-Iran

Dr. Asaad Khalaf alAwadi
Thi-Qar University-Iraq

Dr. Hasan Dadkhah Tehrani
Chamran University of Ahvaz-Iran

Dr. Hojat Rasouli
Shahid Beheshti University of Tehran-Iran

Dr. Sayyed Hosain Sayyedi
Ferdowsi University of Mashhad-Iran

Dr. Bahar Seddighi
Ferdowsi University of Mashhad-Iran

Dr. Abbas Talebzadeh Shoshtari
Ferdowsi University of Mashhad-Iran

Dr. Enaya Othman
Marquette University-USA

Dr. Abbas Arab
Ferdowsi University of Mashhad-Iran

Dr. Ali Gatea albasri
University of Kufa-Iraq

Dr. Hosain Nazeri
Ferdowsi University of Mashhad-Iran

Executive Manager:
Dr. Bahar Seddighi

Persian Editor:
Dr. Ahmadreza Heidaryan Shahri
Dr. Hasan Khalaf
Dr. Monir Zibaei

English Language Editor:
Ali Noormandi Poor

Design & Page layout:
Emadoddin Talebi Mazaheri

Printing & Binding:
Ferdowsi University Press

Address:
Faculty of Letters & Humanities
Ferdowsi University Campus
Azadi Sq.
Mashhad-Iran

Post code:
9177948883

Tel:
+98 9033629533
(+98 51) 38806723

Website & E-mail:
https://jall.um.ac.ir/
jal@ferdowsi.um.ac.ir

JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE & LITERATURE

Ferdowsi University Of Mashhad
Volume 16, No.1, Spring 2024, Serial Number 36/1/193

Reflection of the Woman in Poetry of Abū al-ʻAlāʾ al-Maʿarrī and Khāqāni Shervani From the Perspective of Comparative Literature
Sayyed Mehdi Masboogh
Rasoul Fathi Mozaffari
Javad Mohammadzadeh

Manifestations of Social Conflict in the Novel "Adrakaha Al-Nesian" by Sanaa Shaalan. Based on Lewis Coser's Theory
Yousef Mottaqiannia
Abdolvahid Navidi

The consistency of the threshold and the plot in the novel "Barid Al-Layil" by Hoda Barakat, Analytical semiotic analysis
Shahriar Hemmati
Hamed Poorheshmati

The Working Woman in Khawla Hamdy's Novels (The Novel Youth Dreams... Diary of a Muslim Girl, To Stay, Jasmine's is back as a Model)
Mahmood Abdanan Mahdizadeh
Hasan Dadkhah Tehrani
Narjes Hashemi

Quranic Phenomenon in Modern Iraqi Poetry(Mahdi Al-Nahiri as an Example)
Abdul -Amir Deli Mejbas
Ahmadreza Heidaryan Shahri
Yahya Hassan Khudair

Reading the Image of the French Other Between the Negative and Positive Patterns in the Algerian Novel
Dana Talebpour
Salah Najmuddin Amin Majid

Print ISSN: 2008 - 7217
Online ISSN: 2383 - 2681